مواجس وحراسين

خواطر شخصية من وحي ذكريات قديمة

حسن علي المدني

من اصدارات مؤسسة الايام للصحافة والنشر والتوزيع

الكتاب: مواجي وحراسين
المؤلف: حسن علي المدني
رقم الايداع في المكتبة العامة ـ البحرين
1901/د.ع/1996م

الاشراف العام: ابراهيم بشمي
تصميم الغلاف: انس الشيخ
الاخراج الفني: عبدالعزيز عبدالحميد

الاصدار: مؤسسة الايام للصحافة والنشر والتوزيع
هاتف: 727111ـ فاكس: 729009
ص.ب : 3232 المنامةـ البحرين

مواجس وحراسين

خواطر شخصية من وحي ذكريات قديمة

حسن علي المدني

من اصدارات مؤسسة الايام للصحافة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الأهداء:

الى

روحي

أبي وجدي

شآبيب

الرحمة . . والرضوان

منه تعالى عليهما

والسلام

والمحبة

لهما . . في الراحلين . . والصالحين .



مقـدمـة:

بعض الأسماء.. اسماء اي شيء بدون تحديد.. تكون راسخة في النفوس رسوخ الجبال الثابتات.. انها تنغرز في نفس الانسان ولا تفارقه حتى يفارق هذه الحياة.

ومرة. قرأت بعض السطور في احدى الجرائد العربية اليومية التى تصدر في لندن.. للكاتب الامريكي «ارسكين كالدويل» وهو ايضا روائي معروف.. نقلها كاتب عربي.. من محرري الجريدة رد فيها الكاتب الامريكي المذكور على اسئلة قرائه وجاء فيها:

اكتب لانني احب الكتابة.. واخصص كل وقتي للكتابة لانني اعيش على دخلي منها. انني اكتب لان الكتابة هواية اساسا مثل هواية جمع الطوابع.. او هواية الصيد.. لكن لا استطيع ترك عملي والاعتماد على الكتابة كمصدر رزق. انني احتفظ بعملي واكتب. وليس كل الكتاب الذين تنشر اعمالهم محترفين. اعمال كثيرة جيدة كتبها كتاب تحيط بهم ظروف قاسية ان قليلا من جامعي الطوابع او هواة الصيد تركوا اعمالهم وتفرغوا لهواياتهم. انني اكتب من الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة السادسة مساء.. ستة ايام في الاسبوع.. عشرة اشهر في السنة.. انني اكتب بدرجة المعاناة نفسها لأي فرد يرغب ان يصبح ناجحا في ميدانه. فالاطباء والمحامون والخبازون والحلاقون والمهندسون والميكانيكيون جميعا يتعلمون بالخبرة. لماذا لا يكون الكتاب كذلك؟

لم اطلع للاسف على كتاب هذا المؤلف. لكنني لا انكر انني تأثرت بما ورد في هذا الفصل القصير من كتابه.

هذا النوع من الكتابة ليس مما جرت العادة الكتابة فيه في بلدنا او بعض بلدان وطننا العربي. ولكنه في بلدان اخرى نوع من الكتابة يستهوى الكثيرين. وهو في الحقيقة اشبه ما يكون بالسيرة الذاتية عند البعض اذا ما امعنا النظر والتدقيق ولم يكن في نيتى بداية اعداد هذه الاوراق نشرها او طبعها في كتاب. ولكن القصد ـ كله ـ كان تدوينها وحفظها في مكان ما من مكتبتي. فقد يأتى يوم يحتاج اليها من يحتاج من الاسرة.. او

الاصدقاء. . تذكرهم على الدوام باشياء قريبة منهم كلما عن لهم الاستفسار عنها. . لكنها تكون غائبة من اذهانهم.

هذه المكتبة التى رأت اول خيوط النور قبل سنوات طويلة في احدى زوايا غرفتي. . برف متواضع حمل بعض الكتب القديمة والكراسات المدرسية التى تجمعت لدي على مر الايام. لكن هذا الرف مالبث ان ناء بحمله من الكتب واصبح رفين. . ثم ثلاثة. . واربعة. واتضح ان هذه الزيادات فى عدد الرفوف لن تقف عند حد. . ولذلك اضطررت اخيرا الى تحويل الغرفة باكملها الى غرفة جديدة للمكتبة. وربطها من كل جوانبها برفوف جديدة تتسع لهذا الكم من الكتب والمطبوعات التى يتزايد عددها كل يوم.

لقد استنزف هذا التحويل في غرفة المكتبة ولازال متواصلا الى صرف مبالغ كبيرة لو ذكرتها الآن ما صدقني احد فيها.

كثيرون ينظرون الى مكتبة البيت على انها ركن من اركان المنزل. لا يختلف في اثاثه وديكوراته عن اي ركن اخر. كما ان بعضهم يقيم هذه المكتبة لاغراض تتفاوت. الكتب تصف على رفوفها بشكل او باخر. وفي الغالب كثيرا ما تكون للزينة والمباهاة كأي قطعة من قطع الاثاث. لكن الواقع الذي عايشته مع مكتبتى العزيزة وعلى مدى اربعين سنة او تزيد قليلا يختلف عن ذلك. لقد شاهدت هذه المكتبة تكبر كل يوم ويزداد عدد الكتب فيها حتى لم يعد بامكانى حصر هذه الكتب. . او تصنيفها. لقد جاوزت المئات ودخلت خانة الالوف. وبين الحين والاخر كنت اشاهد مثل هذه الزيادة وافرح لها من قلبي. واروح اعدل في وضع الكتب. . ونقل بعضها من رف الى اخر. وتمر ايام اقضي بينها الساعات الطوال. . واتذكر المبالغ التى دفعتها. . او المعارض او دور المكتبات التى اشتريتها منها.

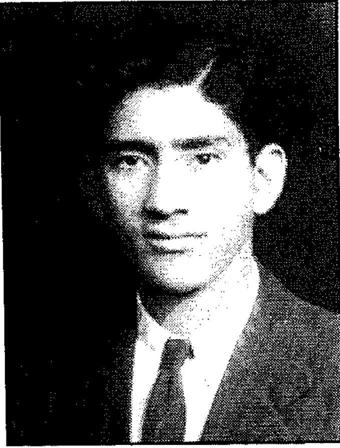
اننى حين اشيد بمكتبتي العزيزة. اشعر اننى حققت ما تمنيته ويراودني احيانا الشعور بانها تستحق الاشادة والعناية. انني وبعد هذه السنوات الطويلة ارى ان اي بيت من بيوتنا لايستغنى عن وجود مكتبة فيه ــ بأي مستوى ــ بين مرافقه وغرفه اذا كانت الامكانات المادية لدى صاحب البيت تسمح له بذلك.

ان المكتبة فضلا عن كونها مخزنا نظيفا للكتب فانها تمثل الشعلة النيرة التى تتضاءل امامها كل الشموع والانوار.

تصدير:

من تلك الاسماء التى رسخت في نفسي.. مواجى.. وحراسين اللتين اخترتهما عنوانا لهذا الكتاب. وقد يبدو هذا الاختيار غريبا عندما تقع عيون من يقدر له لاول وهلة ان يقرأها او يطلع عليها. ولكن بالنسبة لي فليس في ذلك شيىء من الغرابة.

هذه الاوراق ليست تاريخا او ادبا.. او حتى مذكرات بالمعنى الذي تعارف عليه كثيرون.. وانما هي في الواقع حديث نفس..خواطر وذكريات متناثرة.. ومن منظور شخصي بحت قمت بتدوينها فقرة.. فقرة وخلال سنوات طويلة زادت على ٤٠ سنة.



■ حسن علي المدني

مواجى.. اول بواكر فاكهة التمر او الرطب التى تشتهر بها اشجار النخيل في البحرين وما جاورها من اقطار الخليج العربي من عهود موغلة في القدم. وتكاد النخيل هذه ان تكون رمزا خاصا بهذه الاقطار كلما ورد اسمها في احاديث الناس واقوالهم كما

وردت في دواوين الشعر العربي وغيرها من كتب الاولين.

وقديما قالت العرب في امثالها السائرة.. كناقل التمر الى هجر. وهجر هذه موضع من مواضع بلاد «البحرين» في تاريخها الغابر. او الجزيرة العربية قبل ان يطلق اسم البحرين الحالي على هذه البلاد على وجه الخصوص. ولان هذا النوع من «الرطب» من البشائر التى يفرح الناس لقدومها في مواسمها.. فانها في البحرين يطلقون عليها اسم «بجيرة» بتعجيم حرف الجيم حين ينطقونها. كما انها ايضا تحريف لكلمة بشاير. انها فاكهة مقدسة حلوة المذاق.. لونها احمر قاني يتحول الى الاسود الداكن عندما تنضج.
وتنتشر اشجار النخيل في قرى الساحل الشمالى من البحرين.. وهي اشهر مناطق زراعتها واجودها واكثرها انواعا. كما تنتشر في عدة قرى. ويندر ان لا تجد اشجار النخيل الباسقة في اي مكان تتوجه اليه. ولكنها تنعدم في المناطق الجنوبية من البلاد لانعدام وجود المياه فيها، ويرتبط اهل البحرين ارتباطا وثيقا بالنخيل.. فقد كانت الى وقت قريب جدا.. مصدر الرزق الوحيد لهم.. الى جانب مهنة «الغوص» وصيد الاسماك.. او الغوص على اللؤلؤ قبل ظهور الثروة النفطية التى انعم الله بها عليهم.

وتبقى «مواجي» اول كلمة ترد على ألسنة الناس حين يبدأ موسم الرطب.. يتداولها الصغار والكبار في كل مكان توجد فيه نخلة.

اما «حراسين» فهي تكاد تكون غريبة على اسماع العديد من اهالي البحرين.. رغم انها وثيقة الصلة باختها «مواجى» لاشتراكها في موطن.. وارض واحدة. انها تكاد تكون غريبة فعلا على اؤلئك الناس الذين نشأوا في مناطق بعيدة عن الاراضي الزراعية.

مفرد حراسين.. حرسون.. وهي انواع كثيرة من الاسماك الصغيرة جدا تعيش عادة في البرك وغدران المياه.. والعيون مثل عذاري.. وقصاري.. وهي في العادة لاتزيد في حجمها عن حجم اصبع اليد.. او اصغر قليلا لا تعمر طويلا في المياه.. ونادرا ما توجد على سواحل البحر. انها تتغذى على الحشائش الخضراء التى تتكاثر على حواف البرك وجداول المياه.. او احيانا المستنقعات الآسنة التى تكثر في بعض مناطق قرى البحرين.

يطلق عليها آخرون اسم «عفاطى» ومفردها «عفطي» اما الغريب في الأمر فان من يطلق عليها حراسين لا يعرف انها العفاطي والعكس صحيح. كما هو الحال في كلمات ومعاني كثيرة. تجرى على ألسنة الناس.. كم هو جميل وجذاب منظر هذه الاسماك

الصغيرة الـوادعـة وهي تتهـادى في اسراب تـروح وتجيء.. وتنتظر مـن يرمـي لها ببعض الطعام من كسرات الخبز او غيره. والذي تلتهمه في بضع لحظات بشراهة لا تصدق.

في سن الطفولـة الاولى (اواخر 1940) يوم كانـت الدنيا غير هذه الدنيـا التى نعيشها الآن.. وعندمـا يشتد لهيـب الصيف يهرع الناس.. الغنى منهـم والفقير.. ومن مختلف الطبقات والطـوائف. وتقوم ربات البيوت. مـن مختلف مناطق مدينـة المنامة بالتـوجه في مجموعات تتفـاوت في عددها.. ومكانتهـا الاجتماعية لقضاء يوم او بعض يـوم في نزهات «كشتات» الى البسـاتين والمزارع وحيث تـوجد عيون المياه الحلوة المتـدفقة حيـث يقضون الوقت في هـذه الاماكن الجميلـة.. هربا من الحرارة. وكـان من اشهر هـذه الاماكن.. حمام «ابو ابهام» الذى تصله المياه عبر جدول طـويل «ساب» من عين عذاري.. الذائعة الصيت وحمام «ابو زيدان» الواقع في الطـرف الغربي من سوق «الخميس» او من حمامات اخرى معـروفة مثل عين «الرحـى» في جزيرة سترة او عين «السفـاحية» في جزيـرة النبيه صالـح.. التى ينتقلون اليهـا في قوارب صغيرة من اي سـاحل من البحـر يرغبـون فيه. ومن اشهر الحمامات والعيون في ذلك الوقت ايضا حمام «الكرش» بقرية «الشاخورة».

وقـد كنا ونحـن اطفالاً.. نـرافق امهـاتنا.. واهلنـا في مثل هـذه النـزهات.. تـرويحا للنفس وللمسـاعدة في تقـديم مـا يطلب منا مـن خدمـات تتناسب واعمارنـا الصغيرة.. نجمع اعواد النخيـل اليابسة والاغصـان المتكسرة الصغيرة التى تصلح وقودا للنـار لاعداد وجبة الطعام التى تقوم بها بعض السيدات الماهرات.

ان اول ما يـواجهنا حين نصل الى مثل هذه المزارع والعيون هـي اشجار النخيل.. التى تحمل في اعـلاهـا.. واحيانـا على ارتفـاع قصير ثمـرات الرطـب.. الداني القطـوف.. بلونيه الاحمر والاصفر وهو غالبا مـا يكون من نوع «المواجى» الاحمر.. الذي لا نتأخر في قطف وجمع حبـات منـه دون حسيب او رقيب. ثم نـروح نتحلق حـول الجداول والبرك نـرقب حـركة الحراسين في ميـاههـا.. ولا نتورع عـن صيد بعضهـا في اوعيـة خاصـة نحضرها معنـا كلما تيسر ذلك. وهكـذا ينقضى اليوم بطـوله. ونعـود الى بيوتنـا في المساء ونظل نتحدث عن هذه النـزهة «الكشتة» لأيام.. وايام حتى يحل موعد نـزهة جديدة الى مكان جديد.

هذه المشاهد.. والذكريـات انطبعت في ذهني وتجذرت ومنها جاء عنوان هذه السطور. والتى لا تخرج عن كـونها خواطر وتأمـلات.. من منظور شخصي قـد لا تكون لها تلك

القيمة التى يأملها القارىء. اضفت لها بعض الاحداث والمشاهد التى مررت بها في حياتي.. او كنت قريبا منها.. هذا الى جانب بعض الفصول عن سفرنا الى القاهرة في الفترة 45/ 1946 لاستكمال الدراسة الثانوية بمعاهدها اذ لم تكن هذه متوفرة في مدارس البحرين انذاك.

انني ارى فى هذا السفر الى القاهرة وفي الظروف التى كانت سائدة في ذلك الوقت نقطة انعطاف كبيرة في حياتي.. وحياة بقية طلاب البعثة الذين رافقتهم في تلك السفرة. وان كان هذا الانعطاف على درجات متفاوته.

واذا كانت هذه الكتابة لا تروق للبعض.. وهم كثر او قليلون.. فان هناك البعض الآخر.. ومهما يكونون سيقرؤنها.

والله الموفق،

حسن على المدني

البحرين مايو 1995

يصعب على الانســـان ان يتحـدث عن نفســه.. واصعــب منــه اضطـراره في مثل هذا الحديــث الى ذكر وقـائع وحكايـات يجد فيها نفســه عاجزا ان يلم بها المام دقيقـا شاملا.. هي مشــاعر واحاسيس تـراكمت عبر سنوات وتجمعت خيــوطها المتشــابكة في فترة زمنية محدودة.. فترة يغيب فيها الــوعي. اشياء كثيرة تقع كل يوم.. تذهب طــي النسيان.. وتختلط فيها الموازين ولا يبقى منها من اثر.

لكن ليس من المستحيل ان تبقى بعض ذكريات تلك السنوات مــاثلــة في الاذهـــان. انني احاول ان انقل صورة ـ هي باهتة بلاشك ـ عن تلك الفترة.. واسارع للقول ـ باديء ذي بدء ـ بان حياتي يمكن ان تختلف عن حياة الاخرين الذين ولدوا ونشأوا مثلي في ظروف هي واحدة.. بكل ما تحمله من مقومات وعوامل.

طفولتي.. ونشأتي:

انها فترة خمس او ست سنوات لا تـزيـد منذ رأيـت النور حتـى دخولي المدرسـة. ذكـر والدى ـ رحمة الله عليه ـ اننـى ولدت بمدينة المنامة في 21 من شهر رمضان عام 1349 هجـرية يـوافقهـا 8 فبرايـر شباط عـام 1931 ميـلاديـة. ومسقط رأسي في بيت جـدى لوالدتي.. الحاج ماجد بن علي بن حسن المسقطي.. الـواقع بفريق «المخارقة» احد اقدم

واشهر الاحياء بالمنامة. كما ان هذا البيت كان ومايزال احد اكبر البيوت بالفريق.. وقد شهد هذا الفريق على مدى عقود طويلة ربما جاوزت القرن اكبر واغنى العائلات والاسر في المنامة. وكغيرى من اطفال الاسرة فقد جمعنا ذلك البيت الذي كان الجميع يطلقون عليه اسم «البيت العود» وقد كان يضم جميع افراد عائلة المسقطى من ابناء وبنات.. واحفادهم. وفي غرفه ودهاليزه تفتحت عيوننا اول ما تفتحت على هذه الحياة.

كانت الوشائج والعلاقات الوثيقة تجمع بين سكان هذا البيت والبيوت المجاورة حتى انك لتحسب ان جميع الاسر الموجودة فيها هي اسرة واحدة. كان هناك مجتمع الرجال.. ومجتمع النساء اما الاطفال — امثالي - فهم أينما حلوا وأينما ذهبوا. فان جميع البيوت لاتضيق بهم. ابواب البيوت مشرعة في كل وقت وحتى ساعة متأخرة من الليل. يؤمها الداخلون والخارجون دون ان يحتاج احد لطرق الابواب. انهم اسرة كبيرة واحدة تجمع بينهم التقاليد الواحدة. لم يكن هذا البيت وحده يطلق عليه.. البيت العود. ففى معظم فرقان المنامة فى ذلك العهد كانت توجد بيوت مماثلة يطلق عليها هذا التعبير ولا زال هذا التعبير عالقا فى اذهان الناس.. الذين مروا في حياتهم بنفس هذه الظروف.. وهم لازالوا يرددونه في حكاياتهم.

من بيوت الجيران التى كانت عامرة باهلها في تلك السنين اتذكر منها بيوتا عديدة، لازال بعضها قائما حتى الآن. من هذه البيوت.. بيت الحاج عبدالله بن يعقوب القصاب اشهر تاجر لبيع اللحوم في سوق المنامة. وكان هذا البيت يشتمل على زريبة للبقر في مدخله. وبيت الحاج يوسف بن مكي المخرق.. تاجر اللؤلؤ المعروف. ويلاصق البيت في جهته الشمالية بيت السيد عبدالله الزيرة.. بياع الحلوى والخنفروش والزلابية.. وغيرها من اصناف الحلاوة التى كان يقوم باعدادها في هذا البيت. والتى كثيرا ما شهدت مراحل اعدادها في افرانها الخاصة قبل ان تنقل الى السوق لبيعها. وفي اقصى الطريق كان يقع بيت «الكردي» وهي اسرة كبيرة العدد.. عراقية الاصل، كما كنا نسمع نزحت الى منطقة «الاحساء» بالمملكة العربية السعودية.. خلال حرب الاتراك في الحرب العالمية الاولى. كما يقع خلف البيت العود.. بيت الحاج محمد الدرازي.. وهو تاجر من تجار الاغذية المعروفين بثرائهم.

وفي الطريق المؤدي الى جهة الشرق.. بيت الحاج منصور الزيرة. المشهور ايضا بصناعة الحلوى. لم يرزق الحاج منصور باي ذرية في حياته.. لذلك عرف عنه حدة مزاجه وعصبيته الشديدتين ولم يجرؤ احد من الاطفال من اهل المنطقة من الدنو الى

بيته. ويقـابل بيت الحاج منصور مجلس الشيخ بـاقر بن احمد العصفـور. . قاضي الشرع الجعفري الذي كان لا ينقطع زواره ومراجعيه في كل وقت.

هذه هي البيـوت المجاورة للبيت العـود. وتبقى بعض البيوت التى لا تبعـد كثيرا ومنها بيـوت. السهلاوي. . والاقـرش. . والمحـروس وبيت طـاهـر بن رضي. . وبيت الحاج راشـد . . . وبيـوت اخرى يسكنها افـراد من عـائلـة المنصـور. وتتـوزع في كل حـارة وزقاق.

لقد كانت حالة هذه البيوت احسن من كثير غيرهـا في بقية مناطق وفرقان المنامة. فقد كـانت مبنيـة من الطين. . والحجـارة. وبعضها او معظمهـا يتألـف من دورين اثنين. . يستعمل الـدور العلـوي فيهـا خـلال شهور الصيـف فقط. ومعـروف ان معظم بيـوت المنـامة في تلك الفترة كـانت من بيـوت السعف. . والعرشـان. التى كثيرا ما سمعنـا ان الحرائق كانت تلحق بها بين حين وآخر.

ذكريات قديمة من أيام الصيف:

ونحن لا نـزال نعيش في البيت العـود. . كـان يحلـو لي في بعض ليـالي الصيف الحارة اللاهبـة. . ان أنفصل عن والدي في غـرفتها بالسطح الشرقـي. . والانضمام الى جدتي ـ رحمة الله عليهـا ـ في غرفتها بـالسطح الشمالي. كانت جدتي تستبقيني معهـا الى الصباح حيث اشاركها النوم في سريرها.

لا أنسى ابدا ما كـانت تقوم به. ولان الجو كان لاهبا كما ذكرت. . كـانت جدتي تقوم برش الماء البارد على اغطيـة السرير وكانت تلك القطرات القليلـة تحول السرير الى مكان لا يريـد الانسان ان يغادره. كما كانت تقـوم بنشر بعض اغصان «المشموم» ذي الـرائحة النفـاذه لترطيب الجو والتخفيف من الحرارة. وبـالفعل كنـت اشعر بسعـادة غـامرة وانـا اتقلب في هـذا السرير. استمع الى القصص والحكـايات التى ترويها الجدة قبـل ان يخلد اي منا للنـوم. قصص وحكايات جميلـة استمع اليها على ضوء النجـوم المتلألأة التى تملأ السماء فوقنـا. وفي الصباح تروح الجدة تحضر بعض اباريق الماء وتصبهـا على جسدي في

ناحية قريبة من السرير حيث تنساب الى حوش البيت المكشوف.

اتـذكر ان هـذه المياه التى تنسـاب الى الحوش كانـت تثير حنق بقية سيـدات العائلـة في السطوح المجـاورة وتروح كل منهن في معـزوفة من العبارات الغـريبة يتبـادلنها حتى تهدأ ثائرتهن.

وكانت جدتي ـ رحمة اللـه عليها. تقوم بكنس حوش البيت يوميا لـوحدها دون ان يعاونها معاون في عملها وبقى هذا دأبها طول حياتها. . حتى انتقلت الى رحمة ربها.

انها لذكـريات قديمـة. . ولكنها لازالت راسخة في ذهنى. واتـذكرها كلما مـررت بالبيت العود. . قبل ان يصبح اثرا بعد عين.

ذكـر لي والـدي ــ رحمة اللـه عليـه ــ انـه بعـد سنتين او ثـلاث من اشتغـالـه بمهنـة التدريس. . تم زواجه. واستقر نهائيا في البيت العـود تحقيقا لرغبة مؤسس الاسرة الكبير المغفور له الحاج علي بن حسن. . الذي كان بمثـابة الوالد للجميع. ثم انتقل بعد ذلك الى احدى الدور في بيت الزيرة الملاصق للبيت العود من جهته الشمالية.

وفي القسم الذي كان مخصصـا لنا من هذا البيت الجديد بـدأت اتفهم واعي بعض ما كان يـدور من احداث وشئـون حولنا. ومن الحكـايات والاحداث التـى كان يخصني بها والدي في بعض الليالي الشتويـة الباردة. . او الممطرة. حيث يفضل البقاء مع الاسرة ولا يخرج فيها لقضـاء سهرته الليليـة التى اعتاد عليها في بيـوت بعض الجيران او مجالسهـم. ذكر لي انه كان يحتفـظ بدفتر صغير. . ويحرص عليه حرصا شديدا. . يـدون فيه كل ما يمـر على افـراد العـائلـة. . او العائلات الاخـرى مـن وقـائع. . وعلى الأخص تـواريخ الولادة او الـوفاة. . وحفلات الزواج وغيرهـا من الاحداث المهمة. وكـان يعتز كثيرا بهذا الدفتر. لـذلك عـرف عنه دقة روايـاته واحـاديثه فيما يتعلق بمثـل هذه الشئـون. لكنه ـ للاسف ــ اضاع هذا الـدفتر في فترة انتقالنا من بيـت الى بيت. ولم يعثر له على اثـر بعد ذلك. . وقـد عـاهدت والـدي بـانني سأتـرسم خطـاه. . واقوم بتـدوين الاحـاديث. . استمرارا لطريقته بعد ان يشتد عودى. واكون قادرا على الكتابة مثله.

منذ ذلك الـوقت. . وكنا لانـزال بعد فى اوائل الاربعينيات مـرت احداث كثيرة وتغيرت امور. وتتـابعت الحكايات. . حكـاية بعد حكايـة. وبقيت فكرة «دفتر اليوميـات» الذي بدأته في شكل قصاصات صغيرة مـن الورق. . ثم ما لبث ان تطور. . وتغير حتى وصل الى ما وصل اليه. واصبح هذا الدفتر بالنسبة لى اكثر من هواية. . اعتز بها ولا ازال.

ـــــــــــ اهزوجة قديمة:

اتذكر اهزوجة قديمة يرددها المشتركون في الرحلات «الكشتات» من نساء واطفال في تلك السنين الغابرة.. يقول مطلعها:

عين عذاري حلوة.. حلوة .. حلوة.

عسى «الحلايل» بلوتين وبلوة.

كلمات قصيرة ولكنها معبرة. لكن الطريف فيها كلمة «الحلايل» الذين يقصد بهم سكان الارياف. ولعلها مشتقة من كلمة «حلي».. او الحلاوة» ولكن بالنظر لوجود عيون المياه الحلوة في مناطقهم وقراهم.. مثل عين عذارى وغيرها. كان يحلو لسكان بقية المناطق الذين يقصدون هذه العيون للنزهة والاستمتاع ترديد هذه الاغنية وهم في طريقهم اليها.. كنوع من الحسد او الغيرة لوجود مثل هذه العيون قريبة منهم.

كيف جاءت هذه الاغنية. وماهي بقية كلماتها. لاشك انها شعبية تراثية.

الى اليوم.. لا احد يعرف.

ـــــــــــ حادثة غرق:

في احدى هذه الرحلات.. اذكر حادثة مؤسفة كادت ان تعصف بنا فى تلك السنوات البعيدة. فقد كانت الأسرة مع بعض عائلات وأسر المنطقة التى نسكنها يقومون برحلة «كشتة» الى حمام «ابو ابهام» المتفرع من مجرى «ساب» عين عذاري الرئيسي.. حيث يقع الحمام المذكور في نهاية المجرى المؤدي بدوره الى الطريق العام.. في الجهة الشمالية من العين.

وخلال قيام الجماعة المشتركين في هذه الرحلة ومعظمهم من نساء واطفال. وانشغالهم بالواجبات المتعددة التى حضروا من اجلها. . من طبخ وغسيل الخ كان الاطفال الصغار يتجولون ويتنقلون من مكان الى مكان قريب من الحمام. ولا يبتعدون عنه كثيرا حتى تسهل مراقبتهم. وكانوا لا يستقرون في مكان واحد ومن بين الاطفال الذين توزعوا فى كل مكان الشقيقة رباب التى لم يتعد عمرها في ذلك الوقت عن ست او سبع سنوات. ويظهر انه اثناء تواجدها للسباحة في الساب القريب من الحمام. اخذها تيار المياه المتدفقة ولم تقو على مقاومته. وبقيت فترة من الوقت تحاول المقاومة والخروج دون ان تستطيع.

وقد صادف في تلك الساعة مرور السيد مجيد طاهر رضى «من جيران البيت العود» بالساب ومشاهدته لمنظر الطفلة رباب وهى تصارع المياه. . فما كان منه الا مغادرة السيارة التى كان قادما فيها والنزول الى الساب دون ان يخلع ملابسه وانتشال رباب. . واجراء بعض الاسعافات الاولية لها. وبذلك كان للسيد مجيد فضل انقاذ الشقيقة من مصير محقق في ذلك اليوم المشئوم.

السيد مجيد لايزال يتذكر هذه الحادثة. . اما رباب فلا تتذكرها.

في تلك الحقبة من الزمن. . كان الاهالي من مدينة المنامة وغيرها من مدن وقرى البحرين يتجنبون، او يعارضون في ارسال اولادهم الى المدارس. . رغم انه لم يكن منها في طول البلاد وعرضها سوى مدرسة او مدرستين اعتقادا منهم بأن مثل تلك المدارس تطبق المناهج التعليمية التى لا تتفق مع تعاليم الدين والشريعة الاسلامية. او انها تختلف عن الاعراف والتقاليد التى درجوا عليها. اعراف وتقاليد كان من الصعب ان تمس او تنتهك. وكان ينظر الى من يجرؤ على الاخلال بها، او العمل على تغييرها نظرة لا تخلو من الاهانة. . والاحتقار.

كان الناس يكتفون بأن يتعلم اطفالهم. . من بنين وبنات في «الكتاتيب» الاهلية. . التى يطلق عليها «بيت المطوع» او «المعلم» او «الملا» حيث يتم تعليمهم تلاوة القرآن الكريم وحفظ ما يتيسر من اجزائه. . ومبادىء اللغة العربية. . وبصورة محدودة جدا. . الحساب والرياضيات. وذلك في مقابل مبالغ مالية زهيدة. . تدفع في نهاية كل اسبوع. هذه البيوت تضم الاولاد فقط. . وللبنات بيوتهن ايضا. . وبعضها تضم الجنسين معا حتى سن معينة. وتنتشر هذه البيوت فى كل ارجاء البحرين. . وتكاد لا تخلو منها

منطقة من المناطق. وفي الماضي. . عندما يختم الطفل سور القرآن الكريم تقام له حفلة خاصة. . يقوم بتنظيمها المطوع او المعلم حيث يطوف الطفل المحتفى به. . وهو يلبس ازهى واجمل لباس يحف بـه اقرانه. . ومن أولاد الجيران بأزقة وحوارى المنطقة. . يرددون ما حفظوه من دروس.

ويتقدمهم المطوع وهو ينشد قصيدة خاصة. . من الشعر العربي القديم. . سمى «التحميدة». . ويعتبر اهالي الطفل هذه المناسبة عيدا خاصا بالاسرة. . يقدمون فيها الحلويات. . او يقيمون المآدب . . . والاكلات الخاصة بالمناسبة. وتختلف طرق الاحتفال بها في بعض مناطق البحرين.

لقد اندثرت هذه العادات والتقاليد الجميلة وطواها الزمن. . باندثار هذه الكتاتيب. . ولم نعد نراها الآن الا فى المسلسلات التى يبثها التلفزيون بين فترة واخرى. . وبشكل مفتعل في اغلب الاحيان. . يفقدها الاصالة. . والحب.

لم ادخل الكتاب. . كغيرى من اطفال الفريق الذين اعرف بعضهم. . ولم يكن السبب في اننى لم ارغب في ذلك. . ولكن الوالد ــ رحمه الله ــ كان ينوي ان ادخل المدرسة حين ابلغ الخامسة. وقد بقيت انتظر هذا اليوم. . حتى تيسر لي دخول المدرسة. ولم يكن في هذا اي مشكلة لان الوالد نفسه كان يعمل مدرسا فيها. . والى اليوم يذكر كثير من افراد الاسر في الفريق فضل الوالد ومساعدته في ادخال اطفالهم الى المدرسة. . وما بذله طول حياته من تقديم المساعدة الى كل من كان في حاجة اليها منهم.

والدي.. والاسرة:

حدثنى الوالد ـ رحمة الله عليه ــ عن حياته ونشأته الاولى فذكر انه ولد ونشأ في قرية «البلاد القديم» احدى اقرب القرى الى المنامة. واحدى اقدم واشهر مراكز العلم في البحرين. . وفي وسط اسرة صغيرة. . من والديه اخ واحد واخت واحدة. . وعاشوا جميعا في بيت صغير متواضع مبنى من الطين. . ومن دور واحد به ثلاث غرف فقط «او ثلاث دور» كما كانت تعرف. وامام الغرفتين ليوان طويل يظلل البيت ويقيه حرارة الشمس. . وهطول المطر. . وحوش مكشوف يقع على احدى اركانه مدخل البيت. .

او الدهليز. . حيث يحلو لوالده «جدي» الجلوس فيه معظم وقته. . وحالة البيت هذه لا تختلف عن حالة بقية بيوت القرية. وفي الجهة الشرقية الشمالية كانت توجد مزرعة صغيرة او «دالية» تعود لاحد الجيران. وكانت البيوت عامرة بالسكان الذين تربط بينهم اواصر القربى.

لا يتذكر والدي سنواته الاولى التى عاشها في هذا البيت لكنها كما يقول كانت سنوات قاسية. . لاقي فيها شظف العيش ومرارة الحياة. وكان اكثر ما يضايقه هو الفراغ. . فلم يكن هو او شقيقه الاكبر. . محمد علي يدرسان مع اى احد. . ولم يعملا في مكان ما. . وقد امتهن جدي في اخريات ايامه مهنة الخياطة ولم تكن تدخل على الاسرة دخلا مقبولا. . وظل يزاولها حتى وفاته. . فقد كانت مهنة الزراعة. . الى جانب بعض المهن الصغيرة. . هي المهنة السائدة بين اهالي القرية. . كما هو شأن معظم اهالي القرى في تلك الفترة. وكان الناس قانعين بما يرزقهم الله. وفي تلك الايام لم تكن مطالب الحياة كما نعرفها هذه الايام. لكن والدي وشقيقه ضاقا ذرعا بنمط المعيشة التى وجدا نفسيهما مشدودين اليها. . وكانا دائمى التفكير في ايجاد الوسيلة المواتية لتغيير وضعهما. .

اما جدى فقد كان قانعا بحياته البسيطة. . رغم تبرمه احيانا ولم يكن يغادر دهليز البيت الا نادرا. يقول الوالد ان جدي لم يزر المنامة طيلة حياته الامرات معدودة. . فلم يكن له فيها ما يشغله. وهذا ما يفسر انه لم يفكر يوما في امتلاك بيت له في المنامة. . في الوقت الذي كان فيه ذلك ممكنا. . ومن ايسر الامور.

في تلك السنين كانت قرية «البلاد» محاطة بالبساتين من جهاتها الاربع تقريبا. وتكثر المزارع والبساتين فى وسطها. وهي تزخر بمنتوجات وفيرة من اشجار التين والعنب واشجار «الترنج» واللومي. فضلا عن اشجار النخيل بجميع اصنافها المعروفة. وفي مدخل القرية للقادم من المنامة توجد عين «قصاري» المشهورة بمياهها الحلوة. . المتدفقة. . يقصدها الناس من كل مكان للاستمتاع بالسباحة في مياهها. كما يوجد في طرف القرية من ناحية الغرب حمام «عين ابو زيدان».

في الثلاثينيات. . والاربعينيات كانت تقام في منطقة «البلاد» سوق اسبوعية هي سوق «الخميس» جنوب الارض الفضاء المقابل لمسجد الخميس «ابو منارتين» وهي سوق عامرة كان يقصدها المئات. . للتسوق. . ومشاهدة ما يعرض من منتوجات زراعية. . وأدوات يقوم بصناعتها الفلاحون وسكان بقية الارياف البعيدة. . كما يعرض في السوق. . ايضا

الابقار والماعز . . والدجاج . . وسائر انواع الطيور . . وبقية الدواجن . . والجمال . . والحمير . . ويباع كل ذلك باسعار زهيدة . . لا تصدق هذه الايام .

كما تشتهر القرية . . بوجود عدد من المساجد والمزارات التى يقصدها الاهالي . . لاسيما النساء . . للوفاء بنذورهن التى كانت متفشية على نطاق واسع في تلك السنين . ومن اغرب القصص التى تروى في هذا الشأن . . انه يوجد بقرية البلاد مسجد من غير سقف . وكل من يحاول ان يقوم بعملية بناء السقف يحيق به الموت . وحاول ذلك كثيرون وكان نصيبهم ان مسهم الضر وماتوا . ومن يومها انتشرت الاشاعات والاقاويل حول هذه القصة وظلت الاجيال المتعاقبة تتناقلها حتى اليوم . . ولم يتم تسقيف المسجد . . . ان الاغرب في هذه القصة هو ان احدا من الناس لم يحاول ان ينفى هذه الشائعة . ومن المعروف ان مثل هذه الاشاعات وامثالها تنتشر في القرى . . والارياف في كل بلد . . وفي كل وقت .



،، ويمضى الوالـد فى سرد أحاديثـه.. وذكرياتـه ويقول أن سكان القـرية.. والقرى المجـاورة لها يقصدون المنـامة لقضـاء اشغـالهم التى بـدأت تـزدهـر.. وتنشأ فيهـا الحوانيت.. ومرافق الخدمات.. وتدخلها الكهرباء.. ويتزايد فيها السكان.. من جميع الطبقات.. والطوائف.

كانـت وسيلة الانتقـال المنتشرة اكثر من غيرهـا فى تلك الايـام هـى الـدواب.. الحمير غـالبـا.. وأحيـانـا المشى على الاقدام.. وكـان اول ما يطـالع القادم اليهـا من القريـة هو قلعـة «الـديـوان» او قلعـة «الشرطـة» كما تعـرف الان.. وبعض البيـوت الكبيرة.. النـاصعـة البيـاض ويسكنهـا بعض افـراد من اسرة آل خليفـة الحاكمة.. امـا اليوم فقـد زالت معظم هـذه البيوت.. وأنشىء الجديـد منها بصـورة يصعب حصرهـا وبقيت القلعة فى مكـانها رابضة بعـد ان نالها التوسع والتحسين. ،،

بقى والـدى مع أبيه فترة. . كـان يتوق الى تلقى العلـم بأى وسيلة. . لكن الظـروف والاحوال المحيطـة بالاسرة لم تمكنه مـن ذلك. . كان يتحين الفرص لـلانتقال الى المنـامة وزيارتها. . وقضاء بعض الأيام والليالي بالمبيت فى البيت العود.

بعد وفـاة والده ـ جـدى ـ الحاج حسن. . أقدم أخـوه ـ عمي ـ الـذى اصبح يعرف بـالشيخ محمـد علي. . بعـد نيله الشهـادة فى علـوم الـدين والفقـة. . على مغادرة قـريـة البلاد. . مع شقيقته عمتـى ـ فاطمة ـ الى قريـة «جدحفص» وهو ما يـزال فتى يانعا. . والتى لا تبعد كثيرا عن «البلاد» كـانت «جدحفص» هى الاخرى مركـزا من مراكز العلم والاشعاع. . ويسكنها كثير من رجال العلم المعـروفين بمكانتهم الرفيعة. . وتضلعهم فى علوم الـدين. . وشئون الحيـاة. . واستقر بـه المقام فى القريـة الجديدة. . وتتلمـذ على يد

العلامـة المعروف. . المغفـور له الشيخ أحمد حرز ثـم من بعده المغفور لـه السيد عـدنان الموسـوي. . وكان هـذا العـالم يتولى شئـون الاوقـاف الجعفريـة اول مـا أنشأت. . وهى وظيفة كان لها أثرها وخطرها بين النـاس فى تلك الأيام. . واستطابت الحياة للشيخ محمد علي. . فى جـدحفص. . وتـزوج منهـا. . واقترن بـاكثـر من واحـدة. . ورزق بـالبنين والبنات. . وظل مقيما بها حتى وفـاته وأننى لاذكر هذا اليوم. . فقـد كان بها مشهودا. . حضر جمع غفير من النـاس. . من كل انحـاء البحـرين. . لتشييع جنـازتـه. . ودفن فى مقبرة «عين الدار» الواقعة على طريق جدحفص الغربية.

وفى السنوات الاخيرة. . اقيمت قبـة بالمقبرة المذكورة تضم رفـاته ورفات مـن سبقه من العلماء. . ومنهم الشيخ أحمد حرز. . وقريبـة الشيخ سلمان حرز. . والد زوجته الاولى. . ووالدة ولده الشيخ سليمان أما جدى. . الحاج حسـن فقد دفن بمقبرة «ابو عنبرة» الواقعة شرقى مسجد سوق الخميس. . وهى لا تزال قـائمة فى هذا الموقع حتى الآن. . لكننى لم أقم بزيارتها.

قبل وفـاة عمى بمـدة وجيزة. . أذكـر ان والدى أخـذنى الى جـدحفص صباح احـد الايام بحجـة حضور احدى ولائم الغـذاء التى يقيمها عمى فى بيتهم. . ومـا كنت اعلم ان ذلك لم يكـن سـوى مصيـدة. . فحين وصلت بـاب بيت عمى. . تلقفنـى رجـلان واقتـادانى الى مكان داخل البيـت. . حيث تمت عملية «ختـان» لي بالطـريقة المعهـودة، وأجريت كذلك لابنى عمى الصغيرين آنذاك. . سليمان وعبدالله.

أمـا الوليمـة التى تحدث عنها الـوالـد فقد كـانت فعلا صحيحـة. . ففى ظهـر ذلك اليوم. . اقيمت فى مجلس البيت وحضرها عدد مـن المدعوين ولم تقتصر هذه الوليمة على ذلك اليوم فحسب. . بـل تواصلت لمدة يومين آخريـن. . أننى اتذكر هذه الـواقعة بكثير مـن الاشفـاق والخوف. . وبقيـت فى بيت عمـى بعـدهـا لبضعـة ايـام حتى تماثلـت للشفاء. . وعدت الى بيتنا فى المنامة.

لا بد لى من ان اذكر فى هذا الصدد. . ان عمري خلال هذه الفترة قد تجاوز العاشرة بقليل. . او أننـى لم أبلغ بعـد العـاشرة. . امـا سليمان فلم يبلغ بعـد السنـة الثـانيـة وعبدالله. . اصغرنا لم يتعد السنة الاولى من عمره.

تتواصل الذكريات والحكايات. . ويذكـر الوالد انه بعد انتقال أخيه الشيخ من البيت فى قريـة «البلاد» استقر رأيه هـو الآخر ايضا على مغادرة البيـت فيها. والسكن فى البيت

العود بـالمنامة. . وفى بضع سنين قليلـة راح يؤهل نفسه للتعليم. . وينكب على مطـالعة كل مـا تقع عليـه عينـاه من الكتـب. . وحاول فى هـذه الفترة العصيبـة من حيـاتـه. . الالتحاق بمدرسة «الارسالية الامريكية» بالمنامة.

وقد كـانت تشجع الـراغبين فى الالتحاق بها من ابنـاء بعض العائلات بشتـى الطرق والـوسـائل. . الا ان معـارضـة عميـد الاسرة المغفـور لـه. . الحاج علي بن حسـن المسقطى. . وقفت حـائلا فى طـريق تحقيق هـذه الـرغبة. . وبـدلا من ذلك كـان يتردد يوميا على زيارة مجلس الشيخ باقر العصفور. . القريب من البيت. . والـذى كان بمثابة مدرسـة فى الواقـع. . لما كان يدور فيـه من دروس وعظات. . تـركت اثـرها على تفكير الوالد وسلوكه. . بمضى الايام والسنين.

بهذا القدر المحدود مـن المعرفة. . يقول الوالـد انه استطاع ان يشق طـريقة للتقدم فى طلب وظيفة مدرس بالمدرسة الجعفـرية التى تم افتتاحها فى منتصف سنة 1927. . وكم كانت فـرحته كبيرة. . بل لا توصف حين وصلتـه موافقة ادارة المدرسة على التحـاقه بها. لقـد كان طلب التقـدم للحصول على وظيفـة عامـة فى دوائر حكـومة البحـرين فى ذلك الوقت محدودا جدا. . لان عدد الدوائر نفسها كـان محدودا. لقد كانت هذه المدرسة هى الاولى والـوحيدة من نـوعهـا فى المنامـة. . اما الـرواتب فمهما قيل عـن ضآلتهـا فى تلك السنين العجاف. . فأنها لا تصـدق. . لقد كان مشغوفا بمهنتـه الجديدة وبقى يعمل فى المدرسـة حتى تحولها الى مدرسـة حكوميـة. . وبقى مخلصـا لها كل الاخلاص حتى آخـر لحظة من حياته.

جـــدي:

لم أحاول يـوما التوقـف من سؤال الوالـد. . عن السبب او الاسباب التـى جعلتنا لا نملك البيت الخاص بنـا. . وذلك لكثـرة تنقلنـا للسكن بـالايجار فى بيوت عـدة. . وفى مناطق مختلفـة فكان يـرد على بأنه لا يوجـد سبب سوى قلـة المال لديه. . وان الـراتب الذى يتقاضـه من عمله. . كمدرس. . يكاد لا يكفى بـالوفاء بطلبات الحيـاة اليومية فى البيت. . وانه لم يـدخر طيلة حياتـه فلسا واحدا يقية نكبـات الحياة. . وانه لم يمد يـديه طـالبا الاقتراض من اى كـان. . فى الـوقت الـذى لم يغب عن بـاله مسـألة اقتنـاء بيت

خاص. . وقد لاحظت انني من كثرة ما رددته من اسئلة في هذا الموضوع. . ان نوبة من الحزن العميق تعتريه وتغير من ملامحه. من المؤكد. . ان صراعا قويا كان يدور بداخله. . كلما جرى على ألسنتنا هذا الحديث.

في احدى المرات. . حدثني الوالد نفسه عن هذا الموضوع فقال انه لم يتوان أبدا ولم يقصر. . فقد كتب طلبا الى «ادارة الطابو» المسئولة عن التسجيل العقاري. . يطلب شراء مساحة من الارض تصلح لبناء بيت للسكن وتقع قريبا من المدرسة التي يعمل فيها. . ورد عليه مستشار حكومة البحرين. . بلجريف في رسالة بتوقيعه بعدم التمكن من بيع قطعة الارض المطلوبة لحاجة الحكومة اليها. . وبعد سنوات قليلة تغيرت ظروف الارض كما يبدو، حصل احد المواطنين المعروفين على قطعة الارض ذاتها. . والطريف ان هذا المواطن كان من طلاب المدرسة السابقين. . ربما كان من المتيسر ان يحصل والدي على الارض التي يرغب فيها لو تقدم بطلب في موقع آخر. . فقد كانت الارض الحكومية متوفرة في كل مكان من المنامة. .ولكن هذا ما حدث. . وانني حتى الان اتذكر هذه القصة كلما مررت ببيت هذا المواطن الذي اقامه على الارض المذكورة. . او جرى بيننا حديث عن الارض. . واوضاعها في البحرين اليوم انني احتفظ بالرسالة التي بعث بها المستشار ضمن اوراقي.

روى والدي. . ان جدي كان في شبابه كثير الاسفار وكانت تأخذه في بعضها الى سواحل افريقيا الشرقية مثل زنجبار. . وبعض الجزر. . لغرض التبادل في تجارة الاخشاب وغيرها. . وكان في طريقه. . يعرج احيانا على سلطنة عمان. . ويظهر انه في احد رحلاته تزوج من احدى السيدات. . ورزق منها بولد اسمه «ابراهيم» وفي مسقط. . العاصمة أشترى أرضا وبنى له بيتا عليها. . وقد رزق ابراهيم بطفلة هي وحيدته. . ومرت سنوات طويلة على هذا الزواج. . كف فيها بصر ابراهيم وبقي مقيما في ارضه لا يغادرها حتى وفاته في منتصف الثلاثينات. وقد سافر عمي الشيخ محمد علي علي اثر ذلك الى مسقط. . وأحضر معه الطفلة «فاطمة» وعاشت معه في بيته في جدحفص. قبل ان تنتقل الى العيش معنا في المنامة. . حتى زواجها من الحاج أحمد السلمابادي في منتصف الاربعينات حين كنت لا أزال ادرس في القاهرة والحاج أحمد هذا. . كان يمتهن صياغة الذهب. . في بيته الواقع على عدة خطوات من «مأتم بن سلوم» بالمنامة.

كنت اسمع كثيرا عن هذا البيت الذي تركه جدنا في مسقط. . وفي احدى زياراتي

الى سلطنة عمان. . سنة 1979. . خطر لي ان امر بموقع البيت للاطلاع على ما آل اليه والوقوف على حقيقة الامر. . بعد طول تلك السنين. . وقد دلنى جماعة من اهل المنطقة. . الى مكان البيت. . وذكروا لى انهم كانوا يشاهدون العم ابراهيم ـ رحمه الله ـ وهو يقيم حتى آخر حياته فى هذه الارض التى تقع فى حارة صغيرة من مسقط يسمونها «حارة البحارنة» وكان البيت عبارة عن عشة. . الى جانبها سدرة «كنار». . لكن كل اثر لذلك قد زال. . وبيعت الارض. . والجماعة لا يعرفون كيف تم ذلك. . وتحت أي ظروف. . وقد رأيت بعينى ان أرض بيت العم. . قد تحولت الى عمارة حديثة. . شغلتها السفارة الفرنسية فى مسقط. . وقد أجريت بعض الاتصالات مع من أعرفهم من الاخوة العمانيين. . ومنهم المرحوم الحاج «حسن بن مكي» وغيره من افراد اسرة «المكى» هناك. . لكن اتضح ان موضوع المطالبة باسترداد الارض. . بعد طول هذه السنين يتطلب بذل جهود كبيرة لدى البلدية. . والسلطات الاخرى. . ومتابعة الموضوع. . ومن الجماعة الذين اتصلت بهم صاحب أحد الكراجات المهجورة بالمنطقة. . واسمه. . اسماعيل عبدالله أحمد/ كراج الشرق. . ص.ب 351 مسقط. . فى تلك الزيارة التقطت عدة صور تشير الى موقع البيت. . والارض.

اذا كانت قصة هذه الارض فى مسقط تبدو شائكة فأن موضوع أرض بيت جدى فى قرية «البلاد» لا تقل عنها فقد سكنه أحد الافراد من سكان القرية لبضع سنين ثم بقى مهجورا. وقد زرته اكثر من مرة. . وقد نصح كثيرون من الجماعة الذين اتصلت بهم فى شأن بيعه. . لصغر مساحته وعدم الحاجة اليه.

وقد اوكلنا ذلك كله لابن العم. . الشيخ سليمان فهو الاقدر على متابعة الموضوع والتصرف فيه. . والى جانب بيت الجد. . توجد قطعة ارض اخرى فى القرية ايضا. . فى منطقة تدعى «الصداغة» قريبة من بيت عبدالوهاب بن شعبان. . وجنوب مأتم «السطيح» يقال انها كانت مسكنا لجدنا الاكبر. محمد. . والد الحاج حسن. وهى أرض واسعة يقال ان محمد. . قتل وهو فى ريعان شبابه فى مدينة بومباى بالهند بعد ان أوصى ولده. . الحاج حسن فى البحرين بأن يدفن فيها. . ولكن هذه الرغبة لم تتحقق. . وفى أحدى زياراتى لموقع هذه الارض شاهدت قطعة حجر كبيرة. . منقوشا عليها بعض الكتابة القرآنية لتضم قبر المرحوم محمد. . لولا الحادث الذى وقع له بالهند. . الغريب ان أحدا. . بمن فيهم والدى. . كان لا يعرف شيئا عن الاسباب التى ادت لمقتله فى تلك الديار البعيدة. . وحين تحدثت الى من اعرفهم عن هذه

القصـة. . وبعضهم كـان من المعمـريـن من اهـالى القـريـة. . ومن جيران الارض. . لم أسمع من اى واحد منهـم. . ما يساعد على معـرفة تفاصيل هذا الامـر. . وقد سمعت من عمتى ـ رحمها الله ـ ترداد مثل هذه الاقوال فى احاديثها.

أختى نعيمة

اكبر شقيقـاتى سنا. . واكثـر من عشت معهـن عن قـرب. . ربطتنى معها صـلات وعلاقات قـوية منذ سن الطفولة. لم نفترق فى حياتنـا العملية كثيرا. . كما كان الحال مع بقية الاخـوة. . والاخوات. . شهـدت زواجها من المرحـوم حسن وفـرحنا بهذه المنـاسبة السعيدة فرحة عامرة اننى لا أنسى ان نعيمة كـانت بالنسبة لى فى مراحل العمر المختلفة بمثابة الاخت والام. . لحنوها وطيب مشاعـرها وشعورها بالعطف والاهتمام بجميع افراد الاسرة. . ورجاحة عقلها طول حياتها التى قدر لها ان تعيشها فى هذه الدنيا.

لم تتح لها الظـروف اكمال دراستهـا لزواجهـا المبكـر بعـد ان انهت الشهادة الابتـدائيـة حسب الانظمـة السـابقـة ولكنها كما تقـول احـدى بنـاتها فهى على جـانب من الثقـافـة والاطلاع.

كانـت تطالع دائما الكتب والمطبـوعات الجديـدة. . وكتب الشعر والادب العـربى. . والقصص بشكل دؤوب لا يجاريها فيه احد منهم. . رغـم مستواهم الثقافى وتخرجهم من الجامعات. . والكليات ورغم انشغالها باعمال البيت التى لا تتوقف يوما.

كـانت على الشدة صبـورة. . ومـا دخلت عليها فى بيتهـا يـوما. . الا ورأيتهـا قانعـة صابـرة. . واذا شكت حالها وقليلا مـا كانت تشكو فـأن شكواها لا تخلـو من حكمة او عبرة ترسلها الى كل من حولها.

ان ما اتذكره من حياتها. . التى هـى حياتى ايضا اشياء كثيرة لا يمكن ان تغيب عن البال ابـدا. . لكن من الصعوبـة ان الم بكل تفاصيلهـا فى هذه السطور المحـدودة فضلا عن الاشـارة اليهـا. لكنى سـأذكـر بعضهـا وفـاء لـذكراهـا العطـرة التـى لا تنسى مهما حاولت. . ففى ايـام الطفولة عنـدما كنا نعيش كأسرة واحـدة فى البيت العود. . قبل ان

يستقل والدانا فى بيت واحد. . خلال سني الحرب العالمية الثانية. . والى ما بعد منتصف الاربعينات.

أذكر عن أختى قصة وقعت لها سنة 1940 ففى أحد الأيام. . ولا زلنا نعيش فى البيت العود كانت نعيمة تلهو وتلعب فى السطوح. . ودون ان تعى أو تدرك ما يخبئه لها القدر. . والوضع الذى كانت تمر به فى البيت فى ذلك الوقت دون ان يراها احد تعلقت رجلاها بشباك احد السطوح المقامة هناك.

وسرعان ما زلت دون ان تشعر بذلك مما اوقعها فى سقطة سريعة فى حوش البيت على ارتفاع يزيد على عشرة اقدام. ومن حسن حظها ان أحدى سيدات العائلة كانت مارة فى الحوش قريبا من المكان الذى سقطت فيه نعيمة. شاهدت هذه المرأة الحادث فسارعت لنجدتها ونقلها. كما سارع من حضر فى ذلك الوقت وتم نقلها الى بيت المرحوم الحاج يوسف بن مكى المخرق. . المقابل للبيت. . او الباب بالباب كما يقولون. . وقام الحاج يوسف ـ رحمه الله ـ المشهود له بمكانته وحنكته بعملية تدليك لنعيمة. وتم تجبير الرجلين. . وبالطريقة المتبعة لدى العارفين من الناس فى مثل هذا العلاج المضمون لديهم فى تلك الايام. . والحمد لله ان نعيمة شفيت من مضاعفات حادث السقوط بعد ايام قليلة.

فى 1951 تزوجت نعيمة من المرحوم السيد حسن مهدى المسقطى. . وعاشا مع اولادهم عيشة هانئة سعيدة. . فى بيتهم الجديد الذى تم بناؤه بفريق الخضر «قريبا من دار سينما اوال» وسافرا الى بلدان عديدة. فقد كان السفر هواية الاثنين.

الا انه ومنذ منتصف الستينات بدأت العلل والاسقام تنتاب نعيمة مما كان يضطرها للبقاء لبعض الفترات فى المستشفى. . او السفر الى الخارج لتلقى العلاج.

فى صيف 1968 زاملت نعيمة فى سفرة طويلة اخذتنا الى لندن. وقبل ان نصل هذه المدينة مررنا بالقاهرة. . وبيروت وفرانكفورت بالمانيا الغربية. كما أمضينا بضعة ايام فى مدينة باريس. . العاصمة الفرنسية فى طريق العودة الى البحرين. ونعيمة «أم توفيق» تهوى السفر. . ولطالما قامت بسفرات الى بلدان كثيرة. . بعضها للعلاج. . وبعضها للترفيه. . ومن البلدان التى زارتها. . ايران. . والعراق. . وسوريا. . ولبنان. . وقبرص والهند وايرلندا وغيرها. . ولم تتوقف عن السفر الا قبل وفاتها بمدة قصيرة.

عندما أشتد بها المرض طلبت نعيمة ان تعيش مع أسرتها فى بيتهم. . لتقوم والدتها

بمساعدتها فى اعمال البيت ورعاية الاولاد. والعودة الى لم الشمل بعد فترة التفرق التى مررنا بها بعد زواجها، لقد امضينا فى بيت نعيمة فترة طويلة زادت على عشر سنوات. . كانت من اسعد الاوقات وأجملها. . لقد حفلت بشتى المناسبات الجميلة، وقد رزقها الله خلال هذه السنوات بالبنين والبنات الذين كانوا جميعا والحمد لله من المهندسين والاطباء وغيرهم من خريجي المعاهد العليا وذلك بفضل تربيتها لهم التربية المثلى.

كانت امنية ام توفيق فى حياتها ان تزور بيت الله الحرام. . فى مكة المكرمة. . وقد مكنها الله تعالى من تحقيق هذه الامنية الغالية وشرفها بزيارة هذه الاماكن المقدسة.

بعد وفاة زوجها «يرحمة الله» فى 1975 فرقت بيننا الطرق مرة اخرى كأخوة واشقاء. . ولكن بقى بيت ام توفيق الصغير فى المساحة. . الكبير فى المعانى التى يمثلها. بقى هذا البيت المتواضع هو المكان الذى يجمعنا فى المناسبات والاعياد. . لا لكونه اكبر البيوت او اوسعها ولكن لان صاحبته ام توفيق هى من نعرف جميعا لقد بقى الجميع من أخوة واشقاء بنين وبنات واقرباء. نتبع هذا التقليد سنين عديدة حتى وفاتها. . يرحمها الله.

فى سنة 1990 دخلت نعيمة مستشفى السلمانية كما دخلته مرات عديدة قبل ذلك.

وكنت وبقية ابنائها والاهل والاصدقاء نزورها يوميا. . وفى اى وقت وفى ليلة من الليالى كنت عائدا الى بيتنا القريب من المستشفى. . بقيت ساهرا بعض الوقت لسبب لا ادريه. . وخلافا للعادة التى درجت عليها. اتصل بى توفيق وهو اكبر الاولاد وكان اتصاله فى مثل هذا الوقت شيئا غير عادي اتصل وهو يحمل لى النبأ الفاجع بوفاة والدته وانتقالها الى ربها فى ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم المشئوم.

رحم الله نعيمة. . وجازاها عنا خير الجزاء واسكنها فسيح جناته وتغمدها برحمته ورضوانه ابد الابدين. . ودهر الداهرين.

انه نعم المولى ونعم المجيب السميع.



صورة تذكارية... قديمة:

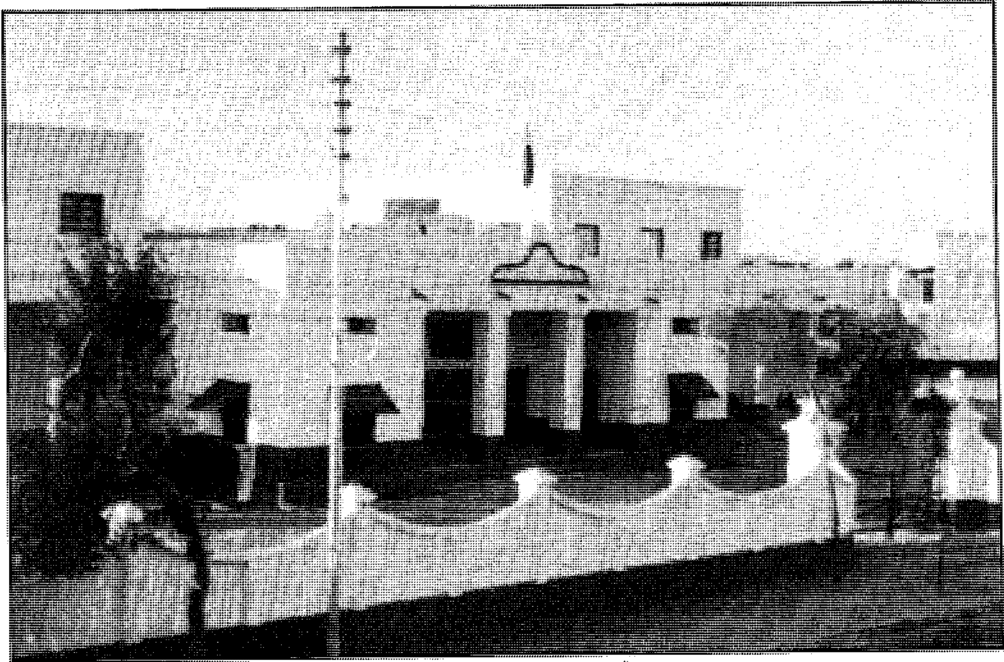
سعدت كثيرا لحصولي على صورة تذكـارية.. قديمة لجدي الحاج حسن.. حصل عليها بـدوره تـاجر خضراوات مـن عمان كان يـزور البحـرين خـلال سنـة 1965. وعثر على الصورة عامل بنـاء في بيت العم ابراهيم بمسقط.. ملقاة تحت احدى الدعـائم الحجرية خلال العمل.. والصـورة محفوظة لحسن الحظ داخل اطـار معدني قديم.. ويظهـر فيها جدي وهو يـرتدي ملابسا غـاية في الاناقة والقيافـة القديمة.. واثنان من اخـوته.. مع بعض مرافقيهـم.. ويبدو ان الصورة التقطت في احـد ستديـوهات التصويـر بمستعمرة «زنجبـــار» او «مـــوزامبيـق» البرتغـــاليـــة.. واسـم المحـل كما هــو ظـــاهــر خلـف الصـورة.. MARCOS BRUNO, AFRICA.. بتـاريخ 2 شـوال سنـة 1309 هجـريـة.. الموافق لـ ٣٠ ابريل سنة 1892 الميلادية. ويظهر في الصـورة.. جلوسا الحاج حسن بن محمـد المدني.. وعلى يمينـه اخـوه.. حمود. ووقف خلفهم.. صـالـح الشقيق الاصغـر لجدي.. ثم احد الخدم من الافـريقيين السود واسمه «سعـود خادم العم سليمان».. ثم يوسف بـن مكي «البحراني» جد انجـال الحاج راشد بن علي بن حسـن المسقطي. تظهر اهمية هذه الصورة النادرة في مرور اكثر من مائة سنة «قرن كامل» من تاريخها.

تمنيت.. لـو قدر للـوالد في حياتـه.. ان يطلع على هذه الصـورة فمما لا شك فيـه انه سيطلعنـا على كثير من المعلومـات عن اولئك الـرجال.. ومـا يحيط بحيـاة كل منهم.. ولكن.. ليس كل ما يتمنى المرء يدركه.. كما قال شـاعرنا من قديم. وهو وان لم يكن من هواة جمع الصـور.. الا انه كان يحرص ــ رحمة الله عليه ـ ان يقتنـى كل ما يستطيع الحصول عليـه منها.. وانني لأذكـر انه احضر لي قبل وفـاته بقليل.. عددا مـن صور قديمـة جدا.. التقطت له مع بعض المدرسين ممـن كانوا يعملون معـه في المدرسة.. وفي

سنة ١٩٥٤ عنـدما ذهب الى بيروت. . في دورة دراسيـة قصيرة مع بعض زمـلائه. . عاد وهو يحمل معه البوم صور. . ضم العشرات من الصور التذكارية. . الجميلة. .

المدرسة الجعفرية.. في المنامة

قصـة تأسيس المدرسـة الجعفريـة في المنامـة. . قصة طـويلـة، تحدث والدي عن قصـة تأسيس المدرسـة الجعفرية. . فقـال: على اثر تأسيس مـدرسة الهداية الخليفيـة في المحرق خلال 1919/1922. . رأى نفـر من رجالات المنـامة القيـام بمبـادرة لتأسيس مدرسـة جـديدة لابنـائهم. وقد نشطـوا في جمع التبرعـات لتحقيق هذه الغـاية. . وكـانت تـرعى شئـون هذه الحملـة. . دائرة الاوقاف الجعفـرية التى يـرأسها المغفـور له السيـد عدنـان الموسـوي. من رجـال الديـن المرموقين في البحـرين. وكـانت دائرة الاوقـاف ذات نفـوذ قـوي. . وقـد تشكلت لجنـة خيريـة اخـذت على عـاتقهـا مشروع تـأسيس المدرسـة. .



■ المدرسة الجعفرية « ابوبكر الصديق حالياً في اوائل الاربعينات

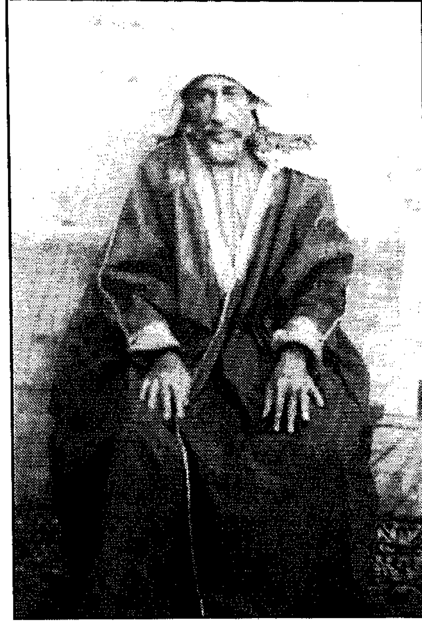
وضمت بعض الـوجهاء والاعيان ومنهـم الحاج عبدعلي بن رجب. . والسيـد احمد السيد جواد العلوي والحاج ابراهيم عبد العـال «بلاد القديم» والحاج محمد علي الابريق والحاج على السماهيجي. . والحاج محمد بن مكي البحارنة. . وغيرهم من اولياء امور الطلاب في المدرسة.

رأت اللجنـة المسئولـة تأسيس المدرسة الجديـدة اولا بمنطقـة البلاد القـديم. . في نفس الموقع الـذي تقـوم عليه الآن مـدرسـة الخميس. . وذلك في اوائل سنـة 1926. . ريثما يكتمل بنـاء المدرسـة الجعفـريـة. . في المنامـة. . واطلـق على المدرسة الجديـدة «المبـاركـة العلوية» وانضم اليها عدد من التلاميـذ. . ومعظمهم من ابناء القرية. . والقرى المجاورة لها. ويعـد ان حصلت اللجنة على مـوافقـة صاحب العظمـة حاكـم البحرين آنـذاك. . المغفـور له الشيـخ عيسى بن علي آل خليفـة. . اكتمل بنـاء المدرسـة الذي اشرف عليـه فريق من اشهر العمال والبنائين. . وكان مبنـى المدرسة حديث الناس في كل مكان لجمال تصميمه وهندسته. . وكان الى جانب ذلك مـن أكبر المبانى في مدينة المنامة. . ويقع الى الشرق قليلا من قلعة الشرطة. . بالمنامة.

في اواخر 1927. . تعـاقدت اللجنـة مع هيئة التـدريس التى كـان جميع افرادهـا من العـراق. وعلى رأسهم المرحوم الاستـاذ محمـد سعيد ال جمعـة. . وعين اول مديـر لها. . وهو ينحـدر من اسرة مرمـوقة. . يقيم بعض افرادهـا في القطيف. . بالمنطقـة الشرقية في المملكـة العربيـة السعوديـة. . نزحت اليهـا الأسرة المذكورة ايـام تولى الاتـراك الحكم. . خلال الحرب العالمية الاولى.

في نفـس الفترة تألـف مجلس اعلى للمعـارف بـرئاسـة نجـل الشيـخ عيسى بـن علي الحاكم. . هو الشيخ عبداللـه بن عيسى آل خليفة. . وكان مقر المجلس بمـدينة المحرق التى كـانت تستقطب اهتمامـات المسئولين في البحـرين بصفـة خـاصة. . لكن يظهـر ان اللجنـة المسئولة عـن ادارة المدرسـة الجعفريـة بـالمنـامـة . . وشقيقتهـا المدرسة العلـويـة بالخميس. . سـارت في طريق لا يرضى عنـه مجلس المعارف بسبب تـدخل من المستشار الانجليزي. . بلجريف. .

في هـذه الاثناء. . انتظمت الـدراسـة في الجعفريـة وفق المنهـاج التعليمي الذي وضعـه الاستاذ محمد سعيد وبقيت اللجنة الخيرية تسير امـورها. . وتدفع رواتب مدرسيها وحث ابناء العائلات في المنامة على الالتحاق بها.



■ المرحوم الحاج عبدعلي بن رجب في اوائل الثلاثينات

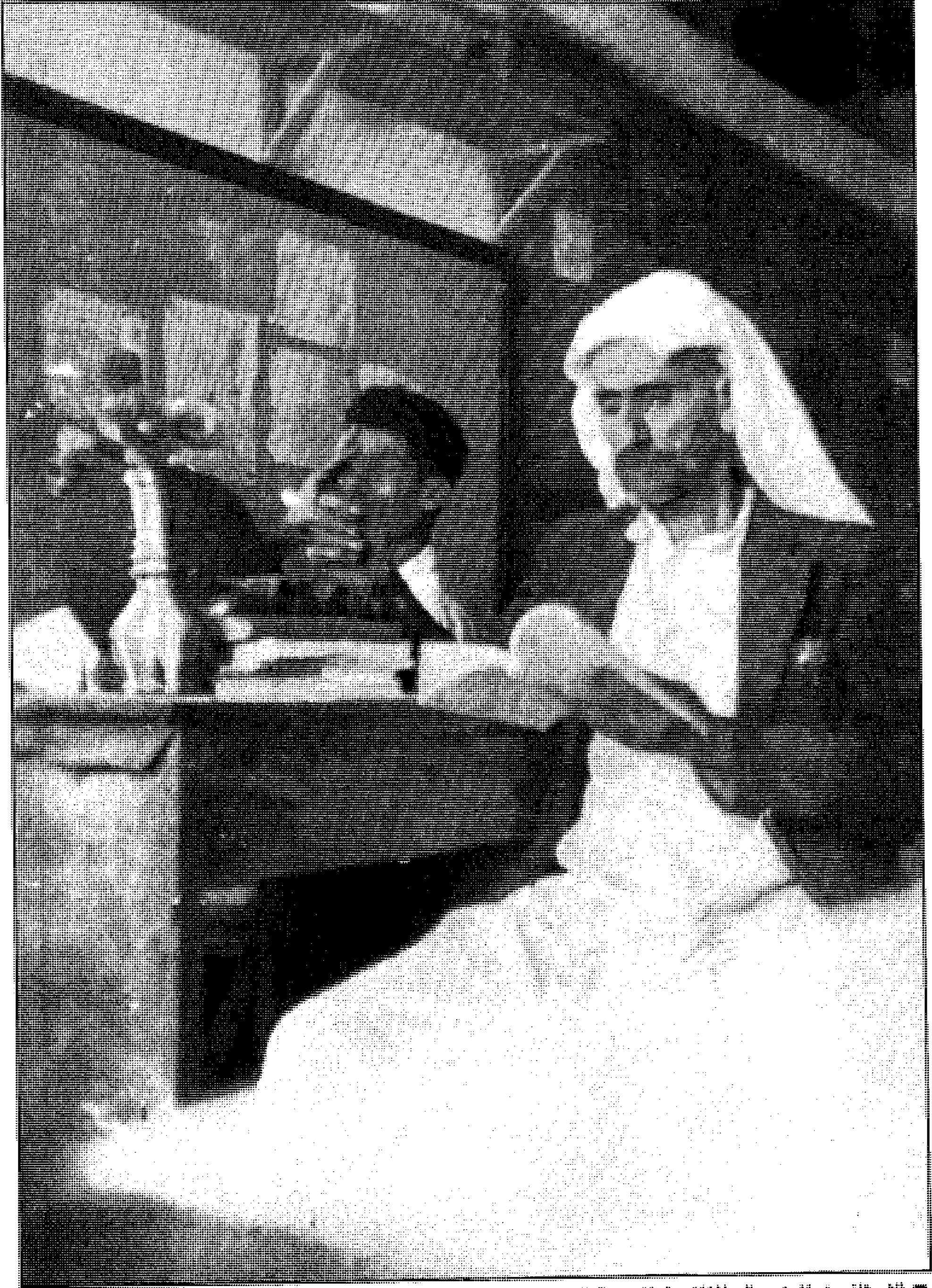


■ احدى المناسبات الهامة التي اقامتها المدرسة الجعفرية لتكريم بعض تلاميذها سنة 1927م

بـدأت «الجعفريـة» تشع بـانـوارها وأصبحـت حديـث الناس الـذين يتنـاقلـون اخبارهـا ونشاطـاتها. . وما تقـدمه من دروس. . لم يسمع بها احـد من قبل. . وبعد عـدة شهور اقترح مديرها ان تبدأ المدرسة عطلتهـا الصيفية وان يفوض في استقدام المدرسين. . الذين كانت المدرسـة في حاجة اليهم. . وكـان كل اقتراح يتقدم به ينـال موافقة اعضـاء اللجنة دون مناقشـة. وكان من بين الامور التى تقـدم بها تشكيل فرقة للكشـافة. . ربما لم تكن الاولى في المدرسة او في البحـرين. . بل هي الاولى من نوعها على مستـوى اقطار الخليج العـربي. . والجزيرة العـربيـة برمتهـا. . كما يشهـد بذلك كـل العارفين والمهتمين بشئـون التعليم. بدأت اولى الطـلائع من فتيان وابنـاء العائلات المعروفـة في المنامة ينخـرطون في فرقة الكشافـة. . وبدأ افرادها يطوفون في نهاية كل اسبوع بشـوارع وطرق المنامة. . وهم يرتدون بزاتهم المميزة الجميلة. . ويحملون معهم الاتهم النحـاسية الموسيقية التى يشاهدها الناس لاول مرة في البحرين. . يعزفون ويـرددون مختلف الاناشيد الوطنية الحماسية. . لم تكن مسيرات الفرقـة تقتصر على شوارع مـدينة المنامـة. . بل امتدت حتى مـوقع المدرسة العلـويـة بمنطقـة الخميس. حيـث يتبـادل طـلاب المدرستين الشقيقتين التحيـة. . والانـاشيد. . ولم يتـوقف الامر عنـد هذا الحد. . فقـد حدث من خـلال مسيرات فرقـة الكشـافة الاسبـوعيـة. . وفي المناسبـات الخاصة. . انضمام اعـداد كبيرة من الاطفـال. . والشباب. . ومواكبة طابور الفرقة حينما تتوجه في الطريق.

اثارت هـذه الحركة الجديدة والنشـاطات غير المألوفـة حنق وغيظ مستشار الحكـومة. . تشارلـس بلجريف الـذي عين في هذا المنصب الـرفيع اوائل 1926. . ورأى انها ستترك آثارا بعيدة على رأي الناس. . لـذلك اوعز الى ناظر المعارف الذي عين حـديثا ايضا وهو مـدرس لبنـاني يـدعـى (فـائق ادهم)، وتمكينـه من وضـع يـده. . واحكـام قبضتـه على المدرسة. . وكـانت الحجة التى بـرر بها المسئولـون هذا التدبير هـو عجز اللجنـة الاهلية المسئولـة عن ادارة المدرسة ماليـا واداريا. . وتحمل الحكومـة دفع رواتب المدرسين. . ومن ذلك الوقت بـدأت نظارة المعارف تتدخـل في شئون المدرسة وتفرض اشرافهـا الكامل على المنـاهج والانشطـة فيهـا. . وتحولت اخيرا مـن مـدرسة اهليـة الى مـدرسـة حكـوميـة. . واصبحت تعرف باسم «المدرسة الابتدائية الخليفية للبنين».

يذكـر الوالـد في سرده لتاريخ المدرسـة. . انه يـوم افتتاحهـا في عام 1347 الهجري. . الموافق لعام 1927 الميلادي كان يوم عيد شعبى في تاريخ المنامة. . فقد حضر الاحتفال عـدد كبير من اولياء امـور الطـلاب واهاليهـم. . وغيرهم من المدعـوين. . وألقيت بهذه



■ الأستاذ علي المدني والد المؤلف في المدرسة الغربية اوائل الاربعينات .

المناسبة الكلمات والقصائد وقام تلاميذ المدرسة بالقاء الاناشيد التى أعدت لهذه المناسبة وعلق على مدخل المدرسة الرئيسي لوحة تذكارية.. حملت بيتي الشعر التاليين اللذين يرمزان الى تاريخ التأسيس:

اشرقت من هذه الدار العلية

لبني البحرين شموس المدنية

وسعيد الفال قد أرخها

كتب الفتح بباب الجعفرية

بقى الوالد يعمل مدرسا في المدرسة بعد تحويلها لعدة سنوات.. حتى تم نقله الى مدرسة البديع في بداية نشأتها ثم مديرا في مدرسة عالي.. الجديدة في اوائل الخمسينيات. وبقى في هذه الوظيفة حتى وفاته في ليلة الاثنين الواقع في 12 ربيع الاول 1374 هجرية.. ويوافقه 8 نوفمبر 1954 ميلادية.. ودفن بمقبرة «الحورة» بالمنامة.

لم يكن من الميسور ان تستمر اللجنة الخيرية المسئولة عن ادارة المدرسة في تسيير الامور كما يجب. كانت اللجنة برئاسة السيد عدنان الموسوي رجل الدين الذي يسكن قرية جدحفص. وبعد وفاته انتقلت المسئولية الى السيد احمد السيد علي السيد جواد العلوي.. الذي تولى رئاسة دائرة الاوقاف الجعفرية. وبدى ان اللجنة لم تفكر في تنمية الموارد المالية لتغطية مصروفات المدرستين في المنامة والخميس. ولم يكن امامها الا تسليم الامور الى نظارة المعارف كما تقضي طبيعة الامور. التى بدأت تنشر سلطتها على مدرستي الهداية في المنامة.. والمحرق.

لكن المؤسف في هذا الشأن هو اقدام الحكومة على تسفير الاستاذ محمد سعيد جمعة.. مدير المدرسة لا لشيء جنته يداه.. سوى عدم رضوخه لأوامر مستشار الحكومة.. ومعاونه اللبناني ناظر المعارف.. فائق ادهم، ولم يقتصر الامر على الاستاذ جمعة بل شمل الابعاد بقية مدرسي المدرسة.. ومحاولة اعطاء الرأي العام صورة مشوهة عن اهداف المدرسة النبيلة.

أخبرني احد تلامذة المدرسة القدامى ان طاقم الدراسة بالمدرسة الجعفرية كان يتألف بالاضافة الى منصب المدير.. من بضعة مدرسين مؤهلين معظمهم من العراقيين..



■ طلاب الصف الرابع الابتدائي بالمدرسة الغربية سنة 1965م .

منهم الاستاذ عبدالقادر افندي مدرس اللغة العربية والمحفوظات.. وكان يرتدي الفيصلية او ما يطلق عليها «السدارة» وهو غطاء خاص بالرأس كان منتشرا في العراق ايام حكم الملك فيصل الاول. والاستاذ عبدالحميد افندي والاستاذ المنشىء.. والاستاذ موسى افندي والاستاذ صالح الشارخ. وهو اسمر اللون ويظن انه من منطقة «الزبير» القريبة من البصرة او انه من الكويت، وكان الوالد رحمة الله عليه هو المدرس الوحيد من اهل البحرين في المدرسة منذ ايامها الاولى.

كان التلاميذ تقديرا واحتراما منهم لأساتذتهم ينادونهم بكلمة (سيدي) وكان في نية الاستاذ محمد سعيد وضع خطة متكاملة للنهوض بمستوى المدرسة.. وجعلها في مستوى لائق بين مثيلاتها في البحرين.. والوطن العربي. لكن خطوة المستشار فائق ادهم.. قوضت بهذه الخطط والآمال.

ذكر لي احد التلاميذ القدامى ان المدرسة كانت تشغل احد المباني القديمة في سوق المنامة.. جنوب مبنى شركة كرى ماكنزي (مجمع يتيم الحالي) لبضعة شهور في الوقت الذي كان يشيد فيه مبنى المدرسة الحالية كان عدد الفصول محدودا.. وكذلك عدد التلاميذ لكنهم كانوا من ابناء جميع الفئات في البحرين دون تمييز. كانوا يرتدون زيا موحدا.. هو عبارة عن بنطلون اسود وكذلك القميص. اما الغترة فقد كانت عبارة عن قطعة قماش من «الخاكي» الزيتي اللون وفوقها العقال الاسود. وبعد ان استكملت المدرسة مبناها الجديد تفرق تلاميذ المبنى القديم المؤقت.. والتحق بعضهم بمدرسة الهداية الحكومية الموجودة بمدرسة عائشة ام المؤمنين بفريق الفاضل... وقبل ان يتحول الى مدرسة خاصة بالبنات.

بقيت المدرسة شامخة.. ليس بمبناها فحسب بل بعدد التلاميذ الذين التحقوا بها منذ تأسيسها وعلى فترات متعاقبة حتى اليوم.. رغم تبدل الاسماء التى حملتها منذ ذلك الوقت.. وتبدل العصور والاحوال.



,, دخلت المدرسة.. وجـاءت الأيام التى تفتحت فيهـا عيناي على عالم جـديد.. كل ما فيـه يدعو للدهشـة والتأمل.. والتفكير. في كل يوم.. وفى كل ليلـة.. كان والدى يقـربنى منه.. ويطلعنى على كثير من تفصيلات حيـاته.. ومشاهـداته.. وكـانت اسعد الاوقات لـديه حين يجلـس في بيتنـا.. في بعـض ليـالي الشتــاء البــاردة. يترنـم ببضعة ابيات من الشعر.. ذي نغم مميز جميل.. اتذكر منها هذين البيتين:

في سما العلـيا كنـــا انجما زهـرا
قـد عدلنا اذ حكم نا البر والبحرا ،،

ولطـالما سألته عـن السر فى ترديـده لهذا الشعر. . فكـان يقـول لي أنه يـذكـره بأيامـه الاولى. . يوم التحق بالعمـل. . بالمدرسة. إنها ابيات من قصيدة شعـرية. . من دواوين الشعـر العربي القـديم. . فى الفخر. . يـرددهـا تلاميـذ المدرسة الجعفـرية وافـراد فرقـة الكشافـة عندمـا يقيمون بعض حفـلاتهم. وكان هذا وغيره ممـا يغريني على طلـب المزيد للاستماع له. . احاديـث وحكايات كثيرة. . كان يرويها لي. . وجميعها تقـريبا كانت عن المدرسة وما يتصل بها.

لازالت المدرسة في موقعها حيث انشئـت لاول مرة تقع شمال شرقى قلعة الشرطة. . ولم تتغير في شكلها العـام وان اضيفت اليها بعض الاقسـام الجديدة. . ولكن منـذ تأسيسها

في 1927 حملت عـدة اسماء. . منهـا المدرسـة الابتـدائيـة الخليفيـة للبنين. . والمدرسـة الغربيـة. . حتى استقـر عليها اسم. . مـدرسة ابـو بكر الصـديق. وقد كـانـت تضم في جنباتها خلال عهدنا. . كافة تلاميـذ المنامة. . ومن مختلف الفئات والطبقات فكان فيهم ابناء المسلمين. . والمسيحيين واليهود. وكـانت هى المدرسة الحكومية النظاميـة الوحيدة. . ولم يكن ينـافسهـا فى تلك الحقبـة سوى مـدرسـة الارساليـة الامـريكيـة والمدرسة الاهليـة الايرانية. اللتين أنشئتا في البحرين قبل ذلك بسنوات طويلة.

كانـت المدرسة تضم العـديد من الفصـول. . ابتداء من الفصـل التمهيدي. . واحيـانا يطلق عليـه. . التحضيري حتى الفصل التاسع حسب نظـام التعليم الذى سـاد في تلك الفترة.

أما عدد التلاميذ. . فى منتصف الثـلاثينيات فلم يكن يتعدى ٣٠٠ من مختلف الأعمار والمستويات.

تـولى ادارة المدرسـة فى نشأتها الأولى. . كما سبق ذكـره الاستـاذ محمد سعيـد جمعـة. . يعاونـه عدد من المدرسين العـراقيين وعدد آخـر من جنسيات مختلفة. . وبعـد ان تحولت ادارتها الى الحكومـة تولى إدارتها الاستاذ نديم احمد حـلاق . . وهو لبناني. . ثم في ايـامنا الاستـاذ سالم العـريض. . والـد الوزيـر جـواد العريض. . واستمـرت ادارتـه للمدرسـة سنوات طويلة.

كان والـدي ـ رحمة الله عليـه ـ لا يزال مـدرسا وقتها التحقت بـالمدرسة. . بل كـان من اوائل المدرسين الذين عملوا بها منـذ تأسيسها. . وكان يقوم لسنوات طويلـة بتقديم مادة «الفقه» للصفـوف المتقدمـة بالمدرسة. . ومـادة اللغة العـربية لبقية الصفـوف. . وبقى فى مزاولـة هذه المهنـة حتى تحولـه الى مدارس اخرى فيها بعـد. . وكان يـزامله فى التـدريس بعض المعلمين الافاضل الـذين اتذكر منهـم المرحوم الشيخ احمد بوبشيت. . الـذى كان من جيران بيتنا في الفريق. . والاستـاذ عبدالله المهزع والاستاذ محمد عبـدالرحمن المهزع. . من جيران البيت ايضـا. كما اتـذكر مـن المدرسين الاستاذ ابـراهيم على كـانو. . مـدرب التربية الـرياضية ومـدير اذاعة البحـرين السابق والاستـاذ احمد قاسم محمـود. . والاستاذ شاؤول فرايم وهـو من الطائفة اليهودية. . وبيت اسرته قـريب ايضا من بيتنا. كما عمل في مهنة التـدريس. . مدرس يهودي آخـر. . هو الاستـاذ سلمان يعقوب زلـوف. . وكان يتـولى شئون الـريـاضة ولعبـة كـرة القـدم ومن الشبـاب المعروفين في عـالم الـرياضـة في

البحرين. . قبل ان يغادر البحرين ويهاجر الى «اسرائيل» بعد حوادث 1948 المعروفة. . والتى يتذكرها الكثيرون.

وقبل سنة او سنتين من نشوب الحرب العالمية الثانية في سبتمبر/ ايلول من عام 1939. . بدأ عدد من المدرسين العرب. من سوريا. . ولبنان . . وفلسطين يتوافدون على البحرين للتدريس فى مدارسها. . واتذكر منهم الاستاذ عفيف البعلبكي من لبنان وكان مسئولا عن الانضباط العام فى مدرستنا. . ومدرسة الصناعة التى انشئت حديثا. . والاستاذ عارف محمود. . والاستاذ شحذة عمر. . والاستاذ يوسف الدجانى. . وثلاثتهم من فلسطين. . وقد عرف عن الاستاذ شحذة صرامته وميوله النازية وعداؤه للانجليز. . ولذلك لم يبق طويلا فى عمله بمدرستنا وغادر البحرين في ظروف لا نعرفها. واتذكر من المعلمين الاوائل الاستاذ عبد علي عباس أديبي. . نقل مديرا بمدرسة الخميس. . وكان يقوم بالتدريس الخاص خلال الاجازة الصيفية. . لقرب بيته من المدرسة.

واتذكر من اساتذتنا. . المرحوم الاستاذ ايوب حسين . . غادر بلده العراق واستقر في البحرين حتى وفاته. . وكان يقوم بمهمة الاشراف العام فى المدرسة ومساعدة المدير في المدرسة. كما كان يتولى قيادة الاناشيد وادارة الحفلات. وعندما بدأت اذاعة البحرين القديمة بمنطقة «الحورة» خلال سني الحرب العالمية الثانية. . عام ١٩٤٠ تبث براجها. . كان الاستاذ ايوب يصحبنا من بيته بمنطقة (رأس الرمان) القريبة من مقر الاذاعة . في منطقة الحورة ونقوم بتأدية بعض الاناشيد الوطنية. . والتى كان الاستاذ ايوب نفسه يقوم بتدريبنا عليها. كما زادت صلاتنا به اكثر من خلال اشتراكنا في عضوية نادي العروبة الذى كان عضوا بارزا فيه. . وحتى ذلك الوقت لم نكن نعلم ان الاستاذ سالم العريض. . مدير المدرسة. . كان يعمل مذيعا في دار الاذاعة تلك . . يشاركه زميل آخر له هو المرحوم الاستاذ محمد دويغر. . رئيس نادى العروبة.

ومن اقدم الذكريات في هذه الفترة. . اننى التقيت خلال زياراتنا للاذاعة. . بالمطرب الكويتي المعروف المرحوم «عبدالله الفضالة» وكان يقدم بعض اغانيه للاذاعة المذكورة.

لم اكن قد جاوزت التاسعة من عمري عندما نشبت الحرب العالمية الثانية (السنوات 39ـ1945) بين بريطانيا العظمى وحلفائها من دول الغرب من جهة. . وبين المانيا النازية وحلفائها من دول المحور. . من جهة اخرى. وكنا نحن في هذه البقعة من العالم نسمع بالاحداث. . والمعارك التى تدور بين هذه الدول. . كنا لا نزال اطفالا صغارا

على مقاعد الدراسة . . ولكننا رغم السن نعى بعض الوقائع والحوادث التى ظلت محفورة فى اذهاننا حتى اليوم.

كانت الحياة عموما صعبة فى بلدنا . . وبلدان العالم قاطبة . . لازلت اتذكر وأنا فى تلك السن المبكرة . . كنت شديد الحرص على شراء جريدة «البحرين» التى كان يصدرها الاستاذ عبدالله الزايد . . وفي صباح كل جمعة كنت اذهب الى مقر الجريدة الواقع بشارع الخليفة . . بالمنامة . . القريب جدا من مجمع «يتيم» التجارى . . الآن. فأشتري العدد . . بما يتوفر لدي من مصروف الجيب المتواضع . . واروح ألتهم كل ما كتب فيها من مقالات واخبار. مما كان يثير حنق وعجب بعضهم . . كما لاحظت.

لم يكن الناس فى تلك الايام يمتلكون اجهزة الراديو او يقرأون الصحف . . وكان من يمتلك راديو . . في منطقتنا على الاقل يعدون على الاصابع . . وكان الاستماع الى اذاعات دول المحور محظورا . . وعلى الاقل اذاعة «برلين». فى هذه الاذاعة كان صوت المذيع العراقي «يونس بحرى» يلعلع فيها . . كان عمي المرحوم الشيخ محمد علي المدنى يملك جهاز راديو في بيته . . في جدحفص، كذلك المرحوم الحاج ابراهيم بن علي بن حسن المسقطي . . يملك راديو . . وكنا نذهب الى مجلسه كل ليلة للاستماع الى الاخبار. كان والدى وبعض افراد العائلة . . والاصحاب يحضرون هذا المجلس ويتجاذب هؤلاء الرجال الاحاديث المتعلقة باخبار الحرب. ومن الاذاعات التى كان هؤلاء يحرصون على الاستماع إليها اذاعة «بارى» الايطالية واحيانا اذاعة «طوكيو» اليابانية، لكننى لازلت اتذكر انهم فى هذه الفترة كانوا لا يثقون الا بالاخبار التى تذيعها اذاعة «انقرة» التركية . . وذلك لان تركيا وقفت على الحياد فى هذه الحرب.

من اذاعة برلين كنا نستمع الى يونس بحري . . وهو يذيع تعليقاته على المعارك الدائرة . . . ومن الكلمات والعبارات التى كان يطلقها هذا المذيع العجيب . . ولا انساها حتى الآن . . استهلاله لاحاديثه بعبارة . . حى العرب . . ثم يروح يصب جام غضبه وكلماته النارية على رؤوس قادة الحلفاء . . وزعمائهم . . لا اخفي اننى كنت استمتع كل الاستمتاع . . وانا استمع الى تلك الاخبار والتعليقات . . والتى كانت تلقى الصدى والقبول . . من قبل عدد من المتابعين والمهتمين . . الذين كانوا يوالون . . الالمان وحلفاءهم ويتمنون لهم الانتصار فى هذه الحرب.

في المدرسة . . كنا نخشى من بين المدرسين الاستاذ عزالدين الذى كان مسئولا عن

التمارين الرياضية.. وهو من لبنان ويقيم معظم اوقاته فى مدرسة الصناعة.. ولكنه كان يحضر الينا بعد وقت وآخر. كان طويل القامة ومفتول العضل.. ومن الذكريات التى لا أنساها.. حادث وقع في مدرستنا.. كان بطله طالب من احدى العائلات.. من طلاب الصفوف العليا بالمدرسة.. وقد حدث انه في احد الايام وخلال عرض الطابور الصباحي للطلاب اراد مدير المدرسة المرحوم الاستاذ سالم العريض تأديب الطالب المذكور امام طلاب المدرسة.. لجرم ما، ارتكبه الطالب كما جرت العادة في مثل هذه الحالات. الا ان عملية التأديب استعصت على المدير.. رغم ما عرف عنه من قوة وسلطة. الامر الذى استوجب دعوة الاستاذ عزالدين للمساعدة في تكتيف الطالب.. وشل حركته واخضاعه بقوة للتأديب.

هذه الحادثة الفريدة.. يذكرها الطلاب الذين عايشوا تلك الفترة.. اما سبب الحادثة ذاتها فما من احد منا يذكره الآن.

في فترة من الفترات التى مررنا بها فى المدرسة.. كان يطبق على التلاميذ نوع من «التمايز» الذى لا يمكن تفسيره. ففي حصة الدين.. مثلا كان التلاميذ في كل صف يوزعون حسب مذهبهم مهما كان عددهم.. أما التلاميذ اليهود.. او غيرهم فانه يصرح لهم بقضاء حصة الدرس المقررة في ساحة المدرسة الخارجية.. ولكن مثل هذا الوضع لم يستمر طويلا.

كما كانت تقام الصلاة جماعية فى فناء المدرسة.. عندما كان دوام المدرسة على فترتين.. وعلى الاخص فريضة العصر. ولكنها كانت اختيارية.. ومتاحة لأي تلميذ او مدرس. ورغم هذا التمايز فقد كان جميع التلاميذ يتمسك بالمبادىء الوطنية.. وعشنا طول المدة التى امضيناها فى المدرسة فى ألفة ومحبة.. ولا نشعر بأية فوارق بيننا.. او بين اساتذتنا.. وربما كان من بين التلاميذ من يوصم بالجهل او التعصب.. ولكن عددهم كان قليلا على اي حال.

وعندما بدأ المدرسون القادمون من الاقطار العربية يأخذون نصيبهم من الاشراف والتوجيه.. كنا ـ نحن التلاميذ ـ في طوابير الصباح.. نؤدى الاناشيد الوطنية.. مثل «حماة الديار» ونشيد «نحن الشباب» وغيرها.. وفى ضمائرنا فيض لا ينضب من الاحاسيس والمشاعر الوطنية المتأججة.

من اقدم واجمل الاحداث التى مرت علينا خلال دراستنا الاولى.. حضور حفل

افتتاح جسر المنامة/ المحرق (جسر الشيخ حمد) الذى اقيم مساء احد الايام من شهر ديسمبر عام 1941. تحت رعاية صاحب العظمة الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة.. حاكم البحرين. كنت من ضمن عدد من كشافة المدرسة الذين طلب منهم القاء بعض الفواصل من الاناشيد احتفاء بهذه المناسبة وترحيبا بالضيوف الذين تقاطروا على الحضور الى مكان الاحتفال. فى هذا الاحتفال اتذكر ان الشاعر.. عبدالرحمن المعاودة الذى كان يطلق عليه شاعر الشباب ألقى قصيدة لاقت استحسان كل من حضر هذا الاحتفال.

قبل انشاء الجسر. كان الانتقال الى جزيرة المحرق وزيارتها يعد من اصعب الأمور التى يعانيها الناس.. وكانت وسيلة النقل الوحيدة المتيسرة هي «العبرة» التى ينتقل فيها العابرون فى كل رحلة بين المنامة والمحرق لقاء مبالغ زهيدة.. لكنها تتوقف عن العمل ليلا.. الا في ظروف غير اعتيادية. كنت سعيد الحظ اذ اتيحت لي فرصة ركوب «العبرة» مرة واحدة فى حياتي.. وقبل ان تتوقف نهائيا. مع بعض زملاء المدرسة.. لحضور حفل زواج لاحد اقرباء بعض التلاميذ.. اقيم حينها في احدى مناطق المحرق وعدنا الى المنامة عن طريق الباص.

فى تلك الايام كان مجرد التفكير في زيارة الى جزيرة المحرق حدثا يستحق الاهتمام... فلم يكن يقدم عليه الا الافراد الذين لهم مصالح او تجارة.. او الذين تربط بينهم العلاقات العائلية.. وكل هؤلاء كانت اوضاعهم المالية.. والاجتماعية تساعدهم على ذلك.. اما ما عداهم فإن التنقل بين الجزيرتين يعد مخاطرة.. او مغامرة يجب ان يحسب لها حسابها.

من ذكريات المدرسة القديمة.. زيارة تفضل بها صاحب العظمة الشيخ حمد الى مدرستنا خلال شهر يناير من عام 1942. واتذكر ان المرافقين الذين كانوا في معية الحاكم.. كانوا خلال هذه الزيارة يحملون على ايديهم طيور «الشواهين.. والصقور» التى يظهر انهم عادوا بها من احدى رحلات الصيد.. كنت يومها فى الفصل الثاني الابتدائي.. وطلب منى الاستاذ أيوب القاء قصيدة.. ترحيبا بمقدم الشيخ ومرافقيه.

من الذكريات التى لا تنسى خلال عهد الشيخ حمد الاحتفالات والافراح التى كانت تقام في البحرين بمناسبة عيد الجلوس.. وفى الساحة المواجهة لقصر القضيبية تنتشر الاعلام واقواس الزينة.. المزدانة بسعف النخيل والشرائط الحمراء والبيضاء التى تمثل

علم البحرين.. وتضاء الانوار الكهربائية بألوانها الجميلة في كثير من الشوارع.. والطرقات وترتفع الاعلام على كثير من البيوت.. والادارات الحكومية.. وكان من ابرزها مبنى بلدية المنامة القديم. ويبلغ ذروة الاحتفالات بهذه المناسبة.. جولات صاحب العظمة فى اسواق المنامة في سيارة مكشوفة يحف بها الحراس وهم يرتدون ثيابهم المزركشة او «الشلحات» العربية.. ويتبع سيارة الحاكم رتل طويل من السيارات الفارهة التى يستقلها افراد من الاسرة الحاكمة او رجال الحاشية.. وتطوف هذه السيارات اسواق المنامة التى تفتح متاجرها حتى وقت متأخر من ليالى الاحتفالات.. ويهرع الناس لمشاهدتها.. وسط بهجة وفرح بالغين.

استمرت هذه الاحتفالات سنتين او ثلاثاً.. ثم توقفت بوفاة الشيخ حمد في وقت ما من عام ١٩٤٢. وتولى نجله الاكبر الشيخ سلمان بن حمد مقاليد الحكم في البلاد. وقد عطلت ادارات الحكومة. والمدارس ثلاثة أيام حدادا على وفاة الشيخ حمد. واتذكر.. ان رجال الشرطة ارتدوا شارات سوداء علقت في ستراتهم الرسمية. واقيمت حفلة تأبين (اربعينية) في حديقة بلدية المنامة (الباخشة) ألقيت فيها الكلمات والقصائد الرثائية.. كان من بينها كلمة للاستاذ محمد خير الدين الحبال.. احد المدرسين المعروفين آنذاك. وقصيدة القاها فضيلة الشيخ عبدالحسين الحلي.. قاضي التمييز الجعفري.

حضرت هذه الحفلة.. برفقة الزميل.. عبدالحميد الشتر واستمعت للكلمات والقصائد التى ألقيت فيها.

كان يواكب الاحتفالات بعيد الجلوس السنوى.. اقامة مهرجان رياضي كبير على ساحة قلعة الشرطة بالمنامة.. يشترك فيه افراد الشرطة.. من مختلف الرتب من المراكز.. وينضم اليهم عدد من طلاب المدارس الحكومية. وفي هذا المهرجان الذى تحضره جماهير غفيرة من المشاهدين.. وتجرى فيه العاب رياضية عديدة.. مثل الجري لمسافات طويلة.. والعاب الوثب العالي.. ومباريات في لعبة «شد الحبل» التى تستحوذ على اهتمام الحاضرين.. وعدة فقرات مشوقة من بينها لعبة «الحوض المدهون» يتبارى فيها شرطيان متقابلان على اللوح. وقد توقف هذا المهرجان.. وانتقل بعد سنوات الى المحرق.. على ساحة مدرسة الهداية.. ويقتصر على طلاب المدارس.. ثم بعد سنوات اخرى.. توقف المهرجان نهائيا.

في سنة ١٩٤٠ وما تلاها من سنوات.. تصاعدت المعارك فى الحرب الدائرة بين

الحلفاء.. ودول المحور. وكنا فى كل يوم نسمع ان المانيا قد اجتاحت بلدا جديدا من بلدان القارة الاوروبية.. وفى غضون سنة او سنتين انتقلت الحرب الى الاتحاد السوفيتي.. وظهرت جبهة جديدة في شمال افريقيا.. ثم معركة «العلمين» المعروفة على الحدود المصرية. هذا فى الوقت الذى وصلت فيه اليابان.. المحيط الهندي.. بعد اجتياحها لمعظم بلدان جنوب شرق آسيا.. كما اشتدت المعارك الجوية على العاصمة البريطانية.. لندن. وكنا نسمع في نشرات الاخبار التى يتم التقاطها في البحرين.. او ما يرد من صحف.. ونشرات دعائية. اسماء الكثير من اسماء القادة.. والعسكريين.. واسماء الزعماء. ونهرع الى ما يتيسر تحت ايادينا من خرائط جغرافية.. واطالس للتأكد من مواقع المدن.. والمناطق التى ترد في الاخبار.

ومع اشتداد المعارك على جميع الجبهات.. اصبح من المتعذر استيراد البضائع.. والمواد الغذائية.. لتوقف خطوط الملاحة البحرية بين البحرين وغيرها من بلدان العالم. بدأ التجار يجأرون بالشكوى.. وسيطرت حالات من البؤس والمعاناة والحاجة تعم كافة طبقات الناس. مما حمل الحكومة فى البحرين.. وفي غيرها من بلدان الخليج على سن القوانين التى تكفل توزيع المواد التموينية من الرز والطحين والدهون وغيرها واطلق الناس على هذه الفترة العصيبة التى مرت بالبلاد «زمن البطاقة» وظلت هذه التسمية منتشرة فى البحرين يتداولها الناس فيما بينهم حتى وقت قريب.

ولما تفاقمت الأمور.. واشتدت حالات البؤس انشأت الحكومة ادارة جديدة ملحقة بإدارة الجمارك في المنامة.. وعهد الى عدد من موظفى الادارات.. والمؤسسات بالعمل فيها.. وكان والدي ـ رحمة الله عليه ـ واحداً من الذين عملوا فى تلك الادارة.. بصورة مؤقتة.. خلال اجازة المدارس الصيفية.. وعلى الرغم من الشح فى توزيع المواد الغذائية.. وعلى الاخص الرز والسكر فقد كان بيتنا عامرا بها لبعض الوقت.. وكان الوالد يساعد بعض الجيران وبعض معارفه.. الذين كان يحضر بعضهم الى البيت لهذا الغرض لكننا ايضا لم نسلم ـ كغيرنا ـ من طائلة الجوع والحاجة. ومرت علينا ايام وليال طويلة.. لم نذق فيها الطعام.

ومن القصص المتصلة بأيام الحرب.. قيام دائرة المعارف بتوزيع ألبسة قطنية من نوع «السواحلي» الخشن على تلاميذ المدارس المعوزين والفقراء.. اسهاما منها في مساعدتهم، فقد انقطع استيراد الاقمشة وغيرها.. ولم يعد ممكنا بيعها فى الاسواق العامة.. كما سببت الحرب وجرّت الويلات على كثير غير الاغذية والالبسة. وبرزت

جهـود الوالـد فى ذلك، حين احضر الى البيت مـاكينة خيـاطـة وظل يعمل عليهـا ايامـا طـويلـة لتجهيـز بعض «الثيـاب» وتـوزيعهـا على تـلاميـذ المدرسـة او غيرهـم من ابنـاء الجيران. . والمحتاجين.

كما تعذر الحصول على التمـر. . وهو ايضا مادة اساسية لا غنـى عنها لدى الكثير من الناس. فقـد انقطع وصولها مـن ميناء «البصرة» فى العراق. وكـانت هذه هي البلـد التى درج سكان الخليـج. . وربما غيرهم من اقطار اخـرى. . على الحصول على التمـر الذى تشتهر به. . وكـانت بادرة كريمة من جـلالة الملك عبدالعزيـز آل سعود. . ملك المملكة العربية السعـودية ان قدم شحنة كبيرة مـن التمور. . تم توزيعها على اهـالي البحرين. . وبلغت كميتها كما سمعنا 150 الف كيس. . او «قلة» كما يعرفهـا الناس. وقد انقذت هذه المسـاعدة الكريمـة آلاف العائلات والاسر في البحرين. . وكـان لها الصدى الطيب فى نفوسهم. وكان الطحين ايضا. . مما عز وغـلا ثمنه. وكان الاهالي يتسلمون الكميات المعطاة لهم مـن ادارة التموين. ويقـومون بعجنـه واعداده في بيـوتهم. . ثم يأخـذونه الى احـد الخبازيـن فى مناطقهـم لاعداد خبـزه. وكـان الناس يتجمعـون فى هـذه المخابـز. . ويتـداولون الاخبـار. . ويبثون شكـاواهم وهمومهم. واننى لأتـذكر. . الخبـاز الذى كنـا نتعامل معه فى منطقتنا وهو المرحوم . . الحاج مهـدي طربوش. وكان محله يقع فى شارع الشيخ عبدالله. . وفى هذا المحل كنت استمع الى ما كان يدور من قصص.

وفى تلك الايـام ايضـا. . انتشرت بين الاهـالي وجبـة لم يكونـوا قـد تعـودوا عليهـا من قبل. . وهـى وجبة «الجريـش» التى كـانت عبـارة عن حبـات القمح الصغيرة التـى يتم جرشهـا وتكسيرها. . وكـانت بالنسبـة لغيرها مـن بقية المواد الغذائيـة. . متوفـرة في كل مكان. . وبأسعـار زهيدة. وبدأت كثير مـن العائلات في البحرين. . بما فيهـا العائلات الكبيرة. . والغنية في استعمال وجبـة الجريش. . فى وجباتها اليـومية واستمـرت بينهم فترة طويلة ثـم نسوها في وقت من الاوقات. وعـادت للظهور مرة اخرى في سنـوات الرخاء الاخيرة. . لحنين الناس اليها فى ايام الشدة ولمعرفتهم ايضا بقيمتها الغذائية.

خـلال شهر ابـريل 1942 شنت الطـائرات الايطـالية القـادمـة من اراضي مستعمـرة الصومال في ساحل افريقيا الشرقي. . غارة جـوية وكان هدف الغارة تدمير مصافي النفط الموجـودة فى جنوب البـلاد. وعلى اثـر هذه الغـارة دب الهلع بين النـاس. وبـدأوا فى كل مكان ذهبوا اليـه يتحدثون عن امكانية ايجاد المكان الآمن الـذى يقيهم من شر مثل هذه الغارات اذا مـا اتضح انها ستتكـرر. ومع ان هذه الغـارة لم تتسبب في موت احـد. . الا

انها تركت اثرهـا العميق فى نفوس الناس. فقد اصدرت دار المستشار (الحكـومة) اعلانا رسميا نصحـت فيه الأهالي بـالانتقال مـن بيوتهم الى اماكـن اكثر أمانـا في مناطـق البلاد الاخرى وتأمينا لحيـاتهم من خطر هذه الغارات. سارعـت بعض العائلات والجماعات في الانتقال بـالفعل. ومنها اسرتنا الصغيرة آنـذاك. انتقلنا الى قرية «جـدحفص» حيث يقيم بها عمي المرحـوم الشيخ محمد علي، ونـزلنا لبضعـة ايام فى قسم من بيـت السيد عـدنان الموسوي وهـو بيت كبير يجاور بيت عمي.. وتتوفـر فيه الغرف والمرافـق المطلوبة قيـاسا لغيره من البيـوت الموجودة فى القـريـة.. وكان يـربط بين هـذين البيتين ممـر صغير يتيح للداخل والخارج بينهما دون اي عناء او مشقة.. وفي خـلال المدة القصيرة التى امضيناها هناك.. كـان يزورنـا جدى.. المرحوم الحاج مـاجد لتسليتنـا والاطمئنان على احـوالنا. لكنه ــ رحمه الله ـ لم يكن يتحدث عن الاخبار التـى كان الناس يتحدثـون عنها في تلك الايام.

من جملـة الاحتيـاطـات التـى اتخذتها الحكـومـة لاتقـاء خطـر الغـارات الجويـة.. انها اصـدرت اعـلانات علقـت على لوحـة الاعـلانـات بمبنى بلـدية المنـامـة.. وغيرهـا من المحلات تقضـى بتعتيم الانوار فى البيـوت ليلاً وعـدم ترك نـوافذهـا مفتوحـة. كما شمل الاعلان طلاء انـوار السيارات باللون الاسود. وقـد استمر العمل بهذه التعليمات فترة من الوقت.. الى أن انقشعت مخاوف الناس.. وزال الخطر.

تواصلت انبـاء المعارك فى جميع جبهات القتـال.. وبدى ان ميزان النصر يميـل لصالح الحلفاء.. الا ان ذلك لم يضعف من رغبة الحكـومة فى الاخذ بوسائل الوقـاية من خطر الغارات الجوية.. فقد قـامت في الشهور الاولى من سنة 1942 ببناء عدد من الملاجىء في مناطـق محددة من البلاد.. واتـذكر من بينهـا الملجأ الذى انشـىء فى الاراضي الخالية الواقعـة جنوب مـدرسة الصنـاعة.. ومـدرستنا. كما قامـت بتركيب «صفارة لـلانذار» في احدى العمارات الموجـودة قريبا من فرضـة ميناء المنامة.. وبـدأت في تشغيلها على سبيل التجربـة حتى يتعـود السكان على صـوتها.. ويلجأون الى تلك الملاجىء متى مـا شنت غارات جـديدة.. كانت هـذه الملاجىء عبارة عن خنادق محفـورة فى الأرض.. مستطيلة الشكل بعمق ثـلاثة او اربعـة اقدام.. وضعت على جـوانبها اكيـاس مملوءة بالـرمل على ارتفـاع قدم او قـدمين لكي تمنع تسـاقط شظايـا القنابـل ووصولها الى داخل الخنـدق.. ولكن تلك الحفر لم تكن محمية.. مـن ناحية السقف فقد كانت مكشوفـة.. كنا نلاحظ ان الناس.. من الرجـال والاطفال الذين يصادف ويمـرون بهذه الخنادق يتتابهم الخوف

والهلع من رؤيتها. . وكانوا يقولون لبعضهم انها القبور.

اما تلاميذ مدرستنا. . فقد كان يستولى عليهم الفرح والابتهاج كلما سمعوا صفارات الانذار وهى تنطلق. . لم نكن ندرك ذلك الوقت حجم الاخطار التى يمكن ان تتسبب فيها الغارات. . وكنا لا نتوقف عن توجيه الاسئلة والاستفسارات الى المدرسين او الى بعض تلاميذ المدرسة الذين يكبروننا في اعمارهم، وفي خلال تأدية التجارب على اللجوء الى الخنادق في ساعات الخطر كان يحضر الى المدرسة عدد من رجال الشرطة. . وكلهم من الهنود. . لمساعدة المدرسين الذين كلفوا بمهمة التدريب. . وتطبيق الطرق الصحيحة. . وفي مرة من المرات اتذكر ضابطا انجليزيا. . رفيع الرتبة. . كان يتكلم بعض الكلمات العربية اصدر أمره بمغادرة الملجأ. . بل المدرسة ايضا. . والعودة الى بيوتنا. . وعدم التوقف فى الطريق. . دون ان نعرف الاسباب. ولعلهم كانوا يتوقعون حدوث غارة محتملة في ذلك اليوم. ولكن ـ حمدا لله ـ فانه لم يقع شيء من ذلك.

خلال معارك الحرب مع اليابان. . تعرضت احدى الغواصات او السفن الحربية اليابانية. . كانت تجوب المحيط الهندي. . او قريبا من سواحل بحر العرب الى ضربة قاصمة من سفن الاسطول البحري البريطاني. . أدى الى غرقها وتدميرها. . وترامى الى اسماعنا ان البحارة العاملين فى الاسطول. . استطاعوا ان ينتشلوا حطامها ونقل ما استطاعوا نقله من محتويات ومعدات بداخلها واحضاره الى البحرين. وكان المكان الذى اختاره المسئولون لتخزين تلك المحتويات والمعدات يقع قريبا من مبنى «دار المجانين» غرب قلعة الشرطة. . بالمنامة. والجهة التى اشرفت على هذه العملية كانت بلدية المنامة. وقد علمت بهذه القصة من الزميل فى المدرسة. . عبدالحميد محمد صالح الشتر. وقد قمت معه بزيارة او زيارتين الى المكان الذى تم تخزين المحتويات فيه وشاهدنا فيه كثيرا من المعدات والادوات. . ومن بينها مطارق حديدية وأوانى للطبخ. . ومقابض ومشابك وغيرها. وخلال تجوالنا فى المكان وتنقيبنا في المحتويات عثرنا على صندوق معدني صغير يضم ألبومات صور لعدد من الممثلات الامريكيات خلال سنة 1933. من النوع الذى يستعمل فى لعبة الورق المعروفة. ولازلت احتفظ بعدد من هذه الصور. . اما بقية الاشياء فقد ضاعت منى منذ زمن طويل.

فى سنة 1942. . تفشى فى البحرين وباء لم يعبأ الناس به في بادىء الأمر. . ورأت دائرة المعارف ان تقوم بتطعيم جميع تلاميذ المدارس ضد هذا الوباء لوقايتهم من الآثار المترتبة على الاصابة به. وفى يوم ما من ذلك الصيف حضر الى مدرستنا عدد من

الاطبـاء والممـرضين الهنود. . وطلبـوا مـن ادارة المدرسة اخضـاع جميـع التلاميـذ لعمليـة التطعيم التى جاءوا لاجرائها. انتشر الخبر بسرعـة بين التلاميذ. واغلقت ابواب الفصول واحكمت النـوافذ. . وطلـب من التلاميـذ التخلص من مـلابسهم والتقـدم واحدا بعـد واحد الى الغـرفة التى تجرى فيها العمليـة. بعض التلاميـذ قاوموا بشـدة هذا الطلب. . وتسلل هـاربـا من المدرسـة. . حتـى ان بعضهم لم يحضر فى اليـوم التـالي ظنـاً منهم ان عملية التطعيم مستمرة.



„ الذكريات الجميلة أيام المدرسة كثيرة.. وهي تكاد لا تنتهي .. لقد غاب فيها الكثير.. وبقي في الذهن بعضها. حادثة تاريخية وقعت خلال السنين الاولى لالتحاقي بالمدرسة وبقيت منطبعة في ذهني حتى اليوم.. هذه الحادثة.. هي الحريق الكبير المدمر الذى وقع باسواق الخضرة والعمارات.. بالمنامة. ،،

في ليلة من شتاء عام 1938 كما أظن . . شب حريق هائل فى سوق الخضرة . . وفي عمارات الخشب المقامة شمال مبنى بلدية المنامة القديم . . وسوق اللحم . وأتى الحريق على عدد كبير من المحلات والدكاكين . . وجميع المخازن الموجودة فى المنطقة . ورغم الجهود الكبيرة التى بذلها رجال الشرطة والاطفاء لاخماد الحرائق التى انتشرت في كل ركن وزاوية . فان النيران ظلت مشتعلة الأوار لمدة ثلاثة ايام متواصلة . . كان الناس من اصحاب الدكاكين . . او غيرهم . . يتقاطرون على المكان لمشاهدة الاثار التى خلفها الحريق الكبير . . بقيت اخبار هذا الحريق حديث الناس في البحرين . . سنوات طويلة . . حتى انها ظلت لدى بعض الناس . . يؤرخون بها كل ما وقع لهم من احداث .

تذكرني حادثة الحريق . . بمعلم من معالم مدينة المنامة التى اندثرت الآن . . فقد كان يوجد فى الطريق العام المؤدى الى مدرستنا . . مصطبة من الحجر المبنى على ارتفاع قليل اقيم عليها جرس نحاسى كبير الحجم وثقيل الوزن . . مربوطا الى خشبة عالية فى اعلى

المصطبة. . كان يهرع اليه احد الرجال المكلفين من قبل البلدية. . والمقيمين فى المنطقة. . ويشرع فى طرق طرقات عالية متواصلة فى حالة وقوع حريق بالمنطقة او غيرها من المناطق ضمن حدود مدينة المنامة. لقد ازيلت هذه المصاطب من مكانها. . واصبحت ذكرى قديمة لا يتذكرها كثيرون.

فى ركن صغير من زاوية المدرسة. . الشمالية الشرقية كان يفترش الارض بقال عجوز لبيع ما يجلبه معه من فواكه ومنتوجات زراعية رخيصة يبيعها لتلاميذ المدرسة. وكان هؤلاء التلاميذ يقبلون على شراء هذه الاصناف خلال الاجازة القصيرة بين كل حصة. . وحصة. . او خلال انصرافهم الى بيوتهم فى نهاية الدوام الرسمي بالمدرسة. كانت الاصناف المعروضة تستهوينا جدا. مثل اللوز السكندري. . والكنار. او الصبار الهندي. . الاحمر اللون. او احيانا الطروح والرمان.

سوق الأربعاء:

سوف يبقى هذا السوق الذى يحمل هذا الاسم ماثلا فى اذهان كل واحد منا شهد تعاقب العهود. انها واحد من الاسواق الشعبية القديمة التى تقام بصورة منتظمة في يوم الاربعاء من كل اسبوع. ولسوف تظل ذكرى هذا السوق لدى اي منا. . على الرغم من تغير كثير من انشطته وفعالياته. . وعلى الرغم من انتقاله من مكانه الاصلي الى امكنة اخرى متعددة. . كما شهدنا فى السنوات الاخيرة.

في ايامنا. . وما قبلها. . وحتى الستينات كانت فعاليات السوق تقام اسبوعيا فى الساحة الشمالية امام مبنى بلدية المنامة القديم. وقبل انتقاله الى مبناه الحالي المقام على ساحل البحر من الجهة المقابلة من شارع البلدية نفسه.

كان بيتنا لفترة من الفترات تزيد على 15 سنة يقع جنوب مبنى البلدية. ولذلك فان الانتقال الى السوق ومشاهدة ما يجرى فيه من انشطة ومعاملات. . من ابسط الامور وأسهلها. وكانت البلدية بمبناها الضخم الشامخ تتوسط مدينة المنامة. ويجاورها العديد من الاسواق. التى لازالت بعضها يزاول عمله. بينما اختفت كثير من المعاملات التى كانت ولازالت قائمة حتى سنوات قليلة.

الى الغرب من مبنى البلدية تقع «جبرة» سوق اللحم. وشمالها توجد دائرة النواطير. . وهو الحرس الليلي في البحرين واسواقها وقد كان لهم شأن واي شأن في تلك السنين. والى الشمال من هذه الدائرة القديمة العهد كانت توجد «حوطة الحمير» التى كانت مثار تعليق كل من قدر له مشاهدة ما كان يجرى فيها من حركات. . سواء بين الحمير نفسها. . او بين اصحابها. بعض هذه الحمير كانت معروضة للبيع. وهى تلقى رواجا كبيرا فحتى ذلك الوقت كانت الحمير احدى وسائل النقل المعروفة في البحرين.

تضم السوق كثيرا من الفرشات. . التى تعرض فيها مختلف اصناف الخضرة والفاكهة. . واصناف الحلوى والتمور والرطب اذا صادف وقوع مواسمها فى هذا الوقت.

وينتشر فى جوانب الساحة العديد من المحلات التى تزاول بيع الابقار والاغنام. . واسراب البط والدجاج. . والطيور بأشكالها. . وعلى الاخص الحمام. والبلابل والعصافير المغردة وغيرها. كما تنتشر فى السوق فرشات تأخذ شكل «العمارات الهرمية التى يبيع اصحابها انواع العطور والبخور بأشكاله. وهذا النوع من المعاملات يتوافد عليها باعة من السيدات من اهالي الرفاع والبديع.

وفى مناطق قريبة من هذا السوق الكبير ينتشر الحمالون والحلاقون والباعة المتجولون الذين يبيعون اصنافا لا تخطر على بال. لقد كان الحمالون وهم يتنقلون في السوق من مكان الى آخر يحملون معهم آلة (الجراخية) وهى الة من الخشب لسن الموس. . وقد انتقلت الى البحرين كما يعتقد من الهند. وقد اندثرت هذه الآلة الآن ولم يعد يتذكرها احد الآن.

وفي جوانب اخرى حتى شمال الشارع الرئيسية تقوم «عمارات» تبيع الاخشاب ومختلف اللوازم التى تدخل في مهنة البناء. والى جانبها أيضا دكاكين تبيع الاوانى الفخارية من «جحال» و«غراش» وحبوب الماء. . وغيرها. الى جانب كل هذا الحشد من المعروضات. . والخدمات يصطف عدد من سيارات الاجرة وبعض عربات الحافلات او الباصات المحلية المصنوعة هياكلها من الخشب. وهى تنقل ركابها الى انحاء متفرقة من البلاد.

في يوم الاربعاء. . وخلال احتدام الحركة فى السوق. . وعلى مدى اسابيع طويلة. . يحضر لزيارة مبنى البلدية سمو الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة رئيس البلدية حيث يأخذ مكانه المختار في الرواق الشمالي المطل على الساحة. يستقر الشيخ وحاشيته على

الكراسي الوثيرة التى صفت في الرواق. يشاهدون ما يجرى من نشاط بمناظيرهم المكبرة. كما تعقد بعض اللقاءات مع رئيس البلدية من قبل بعض المراجعين من اعضاء المجلس البلدي او التجار او المواطنين.. والذين تربطهم مصالح خاصة مع البلدية. لم يكن الشيخ عبدالله هو الوحيد الذى يحضر مثل هذه اللقاءات.. بل يحضر ايضا بعض افراد العائلة الحاكمة وافراد من الحاشية التى ترافق الشيخ في جولاته.

كانت ساحة البلدية تتحول في يوم الاربعاء الى ما يشبه الكرنفال.. حيث تتعالى اصوات الناس ويختلط الحابل بالنابل.. والرجال بالنساء. ويتدافع كل واحد منهم فى كل حدب وصوب. وتظل الحركة على اشدها حتى ساعة الظهيرة حين يتفرقون ويذهب كل فرد الى الوجهة التى ينشدها وتهدأ الحركة الصاخبة.

اخيرا.. نصل الى نقل معلومة هامة تتصل بسوق الاربعاء ولا يتذكرها الكثيرون.

فى بعض الاسابيع وليس فيها جميعها يحضر المسئولون من جهاز الأمن والشرطة بعض المساجين الذين حكم عليهم بالجلد لمخالفات او جرائم ارتكبوها.. ويجرى توقيع هذه العقوبة عليهم. كان الناس يحرصون على حضور هذه المناسبة ومشاهدتها. بعض المساجين كان يغطى وجهه بقناع او غترة حتى لا يتيح الفرصة للمشاهدين من الناس التعرف عليه.

كان السواح والزوار الاجانب يحرصون على حضور سوق الاربعاء كل اسبوع والتقاط الصور التذكارية وشراء ما يرغبون في شرائه من معروضات. والتى كان بعضها ذو قيمة كبيرة اذ كانت من قطع «الانتيك» الثمينة. اما نحن وللاسف الشديد فقد كنا لا نملك كاميرا للتصوير.

ورغم ان الاشياء التى نشتريها من البقال العجوز لا تزيد فى قيمتها عن آنة او آنتين (٢٠ فلسا تقريبا) الا ان مثل هذا المبلغ الزهيد.. كان يمثل وقتها مبلغا لا يستهان به. وقليل هم التلاميذ الذين يحصلون على آنة او آنتين. كمصروف جيبى لهم في تلك السنين.. اين منها.. مصروفات هذه الأيام.

في اول عطلة ربيعية تجرى فى البحرين.. اوائل 1943 نظمت دائرة المعارف رحلة لطلبة بعض المدارس الى منطقة «سافرة» التى تقع في منحدر الطريق المؤدية من الرفاع.. الى منطقة «العوالى» مدينة النفط كما كنا نطلق عليها في تلك الايام.. اشترك في هذه الرحلة عدد كبير من طلاب المدارس فى المنامة.. والمحرق.. وكان طلاب

مـدرسة الصنـاعة اكثـرهم عـددا.. اقيم فى المكـان الذى تم تحديـده مخيم كبير. كـانت الارض جرداء قاحلـة.. لكن كانت توجد مزرعة على الجانـب الاخر من الطريق.. كما كان يوجد فى طـرف من ارض المخيم بئر ماء غزيرة.. كان العاملـون والطباخون الذين رافقونا فى الـرحلة يجلبون المياه منهـا.. والى جهة الشمال كانت توجـد بعض التلال التى كنا نتنقل بينهـا فى ساعة الراحـة. لقد وضع المسئولون عن الـرحلة برنامجا يـوميا.. وفى كل أمسيـة كانت تجرى وصلات مـن العاب التسلية والمسـابقات.. والاغاني والاهـازيج التى يجيدها بعض الطلاب.. قمنا صباح احد الايام بجولة طويلة.. اخذتنا الى منطقة «جبل الـدخان» التـى تقع خلف الكثبـان الرمليـة.. فى الجنوب مـن الجزيرة. وكـانت جولة موفقة اطلعنا فيها على كثير من المعالم في هذه المنطقة.

كانت خيمة مدرسـة الصناعة مركز تجمع طلاب الرحلـة.. وفى كل ليلة كانت تجرى فيها.. او حولها حلقـات السمر.. واشعال النار. وفي احد الايـام زارنا السيد «ويكلن» والسيدة حرمه.. والاستاذ «ناير» مـدير القسم الداخلي.. كما زارنا ايضا بعض الزوار.. واذكر من بينهـم الاستاذ عبـدالله الزائد.. صاحب جريدة «البحريـن» التى كانت تصدر فى تلك الفترة، والسيد محمد صـالح الشتر. معاون رئيس بلدية المنـامة واحضروا معهم عددا من الخراف.. واطباق مـن الحلوى.. اللذيذة هديـة منهم للطلاب.. وللعاملين فى الرحلة.

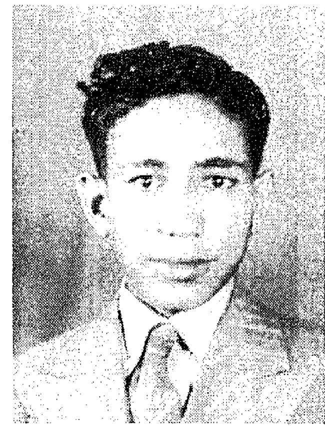
استمرت الـرحلة خمسـة او ستة أيام.. ولعلهـا كانت المنـاسبة الاولى التى نبيـت فيها خارج منازلنا.. كما انها احدى المناسبات الفـريدة التى حرمنا من الحصول على ما التقط فيها من صور تذكارية. على كثرة ما التقط فيها من صور.

كان التعـاون بين مدرستنا.. ومدرسـة المنامة الصناعيـة قائما طيلة سنتى الـدراسة التى مـرت.. فلم يكن يفصل بيننـا سـوى الشارع العـام.. وكان تـلاميـذ المدرسة المذكـورة يحضرون الى مدرستنا فى كل وقـت وحين لتأدية تمارينهم الرياضية على سـاحة المدرسة.. لان مدرستهم لم تكن تملـك ساحة للعب. هذا فضـلا عن تبادل المدرسين بين المدرستين اذا دعت الظروف الى ذلـك.. وكانت ابرز صـورة للتعاون المشترك بين المدرستين العمل فى الرواية المسرحيـة «الفرد الكبير» التى اقيمت على مسرح مدرسة البنات.. بـالمنامة.. والتى عرفت فيما بعد بمدرسة عائشة ام المؤمنين».

عـرضت هذه الـروايـة لعدة ليـال.. اعتبارا من الخميـس (ليلة الجمعـة) في ١٥ ربيع

الاول 1362 هجرية.. يوافقها 20 مارس 1943.. تحت رعاية صاحب العظمة الشيخ سلمان بين حمد آل خليفة.. حاكم البحرين. وحضر لمشاهدتها جماهير غفيرة من الناس.. ولاقت نجاحا كبيرا لم تنله اية مسرحية اخرى اقيمت في مثل تلك السنة. مؤلف المسرحية ـ كما أتذكر ـ كاتب لبناني هو الاستاذ «شبلى ملاط».. واخرجها او اشرف على اخراجها بعض المدرسين.. ولعله كان الاستاذ نديم احمد الحلاق.. او الاستاذ صلاح الدين فارس احد المدرسين الفلسطينيين في مدرستنا.. الجدير بالذكر ان بعض طلاب مدرسة الصناعة الذين اشتركوا معنا فى هذه المسرحية.. كانوا من اعضاء بعثة الكويت الذين كانوا يتلقون العلم فى البحرين فى مثل تلك الفترة. وجاء توزيع ادوار الرواية بين طلاب المدرستين وفقا لمقدرة وسن كل طالب.. وذلك على الوجه التالي:

الدور	الطالب	المدرسة
الفرد ملك الانجليز	مجيد صالح الكويتي	الصناعة
اسارد اسقف انجلترا	محمد علي محمد صالح	الصناعة
كتروم زعيم الدنمارك	احمد علي الشوملي	الصناعة
دلكان قائد سكسونى	موشى يهودا	مدرستنا
أجيل قائد سكسونى	على عبدالله سيار	الصناعة
ادمون أمير انجليزي	سلمان عبدالوهاب الصباغ	مدرستنا
عودا قائد انجليزي	عبدالرحمن مطر	الصناعة
هاني قائد انجليزي	عبدالحميد العليوات	مدرستنا
اوتارو قائد انجليزي	ماجد جواد الجشي	مدرستنا
مطر قائد انجليزي	عبدالحميد الشتر	مدرستنا
مندرادقائد دنماركي	حسن علي محمد الخليفة	مدرستنا
أموندقائد دنماركي	يوسف ابراهيم زبارى	مدرستنا
اوسكيل قائد دنماركي	حسن علي المدني	مدرستنا
آرلي قائد دنماركي	علي راشد المسقطى	مدرستنا
	علي محمد علي حميدان	مدرستنا


■ علي راشد المسقطي


■ عبدالرحمن كانو


■ علي عبدالله سيار

في اخر ليلة من ليالي العرض. . حضر عدد كبير من مديري المدارس. . والمدرسين. . وطلاب الصفوف العليا في كل مدرسة وبعض المدعوين من اولياء امور الطلاب المشتركين في المسرحية يتصدر المدعوين مدير المعارف (السيد ويكلن) الذى قام بتوزيع الجوائز على المتفوقين من الطلاب. وكانوا اربعة هم:

الجائزة الاولى	سلمان عبدالوهاب الصباغ	مدرستنا
الجائزة الثانية	احمد على الشوملي	الصناعة
الجائزة الثالثة	علي عبدالله سيار	الصناعة
الجائزة الرابعة	ماجد جواد الجشي	مدرستنا

قد حفلت الحياة الاجتماعية في البحرين خلال هذه الفترة التى امتدت حتى منتصف الاربعينيات باقامة عدد كبير من الروايات والمسرحيات التى قام بالعمل فيها طلاب من المدارس. . للاندية الأهلية المنتشرة فى كل من المنامة. . والمحرق. . وكانت معظم هذه

المسرحيات تقام على مسرح مدرسة البنات التى كانت الوحيدة التى بنى فيها مسرح..
اذكر منها على سبيل المثال.. لا للحصر:

لــولا المحــامــي	نــادي الثقــافــة
صــلاح الــدين الأيــوبي	مدرسة عــائشة / بنــات
كسرى والعــروبــة	نــادي العــروبــة
الحجــاج بــن يــوسـف الثقفي	نــادي العــروبــة
في سبيــل التــاج	مدرسة عائشة / بنات

افـردت لهذه المسرحيات.. وبعض التفصيـلات منها في مكـان آخر في هـذه الاوراق. وكـانت جميعهـا تلاقـي الاقبال الكبير مـن جمهور الحاضريـن.. رجالا ونسـاء... لقـاء مبـالغ زهيـدة جدا.. وتظـل حديـث الناس.. رغـم ما كـانت تفتقـر اليـه من وسـائل الايضاح والاخـراج المتواضعـة فى تلك الايام.. وتظل حـديث الناس فى مجالسهم ايـاما طويلـة.. ويطوى الزمـان هذه الصفحـة الزاهرة من تـاريخ البحرين.. وتطلـع علينا ـ مـؤخرا ــ مؤسسـات ومسـارح يقال انها متخصصـة في هذا الفـن.. بسيل جارف ــ لا ينقطع ـ من مسرحيات.. الصق بعضها زورا.. واحيـانا اخرى باسم الطفل.. ولكنها لـلاسف غثـاء.. اشبه مـا يكـون بغثـاء البحر.. اننـى اهوى المسرح.. واحـرص على حضور حفـلاته كلما سنحـت لي الفرصة.. واخشـى ما اخشـاه ان تستمر مسيرة المسرح فى التدهور والانحدار.. ويكفى ما نقرأه عنهـا كل يوم فى صحفنا.. وفي أنديتنا.. وفى اجهزة الاعلام الناشطة.. مما لا يترك مزيدا لمستزيد.

كانت الحرب لا تـزال دائرة فى جميع الجبهات.. والمعـارك الطاحنة على اشـدها في كل مكان.. واقتربت نهايـة السنة الدراسية.. وبدء انتقـالنا للدراسة فى المدارس الثـانوية.. دخلت الامتحانات النهائية وأديناها ونجحنا فيها بحمد الله وتوفيقه.

كنا خلال ذلك. . نتشاور في ضرورة توفير بعض المال للاستعانة به فى تحمل تكاليف الحياة. . لقد كانت احوال معظمنا فى الصف. . بل في المدرسة كلها تدعو للرثاء. كان أباء بعض الطلاب الميسورين بيننا تعد على الاصابع. . ورحنا نفكر. . ونفكر. اشار البعض الى ضرورة الاشتغال فى اي مكان خلال اجازة الصيف. . لكنا تساءلنا فيما بيننا. . عمن يقبلنا ونحن فى تلك السن المبكرة. . وهدانا التفكير الى التقدم لطلب وظيفة ـ اي وظيفة ـ في شركة النفط. . فهي الوحيدة التى تتوفر لديها الأعمال. . هذا ما كنا نسمعه من جميع الاصدقاء الذين اتصلنا بهم لمساعدتنا، وفي خلال الاسبوع الاخير من الدراسة. . كنا قد عقدنا العزم على الاشتغال فى الشركة. . وهل لنا ان نفعل غير ذلك!

كانت الأيام التى نمر فيها أياما صعبة. . وكان كل واحد من الطلاب يتحسس حاله زميله. . ومدى حاجته. .

وفى صباح احد الأيام. . ذهبت برفقة بعض الزملاء من طلاب صفنا. . ومن طلاب المدرسة الاخرين. . . نطلب العمل. . في مكتب ادارة الشركة ــ بالعوالي ـ وحمدنا الله كثيرا الى توفيقنا في الحصول على وظيفة بمنطقة مصافي النفط. . الريفاينري.

قبل أيام من موعد عرض الرواية وفي ضوء الاستعدادات الجارية لها في المدرسة. . طلب منى الاستاذ سالم العريض مدير المدرسة القيام بتلاوة ما يتيسر من القرآن الكريم في حفل افتتاح الرواية. . وبقية الليالي التالية. . اعتقادا من السيد المدير وبعض الاساتذة في المدرسة بأن صوتي هو من انسب الاصوات. وقد اعتذرت لاسباب رأيتها في ذلك الوقت عن القيام بهذه المهمة. الا ان السيد المدير اصر على قيامي بالتلاوة. رفضت مرة اخرى هذا التكليف الا ان الاستاذ سالم اصر من جانبه على هذا الطلب.

تماديت في رفضي. . وبقى المدير مصرا على الانصياع لطلبه. وكلنا يعلم تمام العلم نتيجة عدم تنفيذ طلب المدير.

وفى اليوم التالي. . استدعانى السيد المدير الى مكتبة مكررا طلبه من جديد. ولما ابلغته ان لي دورا في الرواية قال لي اننا سنعفيك من اداء هذا الدور. . على ان تقوم بتقديم آيات القرآن. وازاء هذه النية التى ابداها السيد المدير. . زاد اصرارى على الرفض.

استدعى السيد المدير الاستاذ المرحوم ايوب حسين. . ووالدي المدرس بالمدرسة وابلغهما برفضي. . وقد حاولا ثني دون ان يتمكنا من ذلك. فما كان من المدير الا

تهديدي باستعمال الفلقة (الجحيشة) وقلت له استعمل ما شئت. وفي غرفة الادارة بالمدرسة استعان الاستاذ سالم ـ رحمه الله ـ بكل من والدى والاستاذ ايوب ـ وقد طلب مني القبول بطلب المدير الا انني زدت اصرارا وعنادا.

قام الاستاذ ايوب ووالدى ببطحي ارضا قريبا من طاولة مكتب المدير. وراح يشرع في ضربي بكل ما اوتي من قوة. . دون ان انبس من جانبي بكلمة واحدة، ومن جديد عاد يكرر طلبه. . وعدت اكرر رفضي. ولا ادري حتى اليوم السبب الذى حدا بنا المدير من جهته. . ومن جهتى فى الاستمرار في هذا الحوار العقيم.

الفصل الدرامي فى قصة رفض طلب السيد المدير لا يتمثل فى رفض تلاوة القرآن الكريم فى افتتاح الرواية. بل ما حدث من انتهاء الاستاذ المدير من نوبة الضرب بالفلقة. فقد اغتنمت الفرصة وقمت بمباغتة والانقضاض عليه. . دون ان يحسب اي حساب لمثل هذه الحركة الجريئة. . وادخلت يدي داخل جيوب ثوبه حيث قمت بشق الثوب من اعلاها حتى اسفلها وبشكل سريع لا يصدق. وقد انتابت المدير نوبة من الغضب واضحى في وضع لا يحسد عليه. وبدا واضحا انه لا يمكنه البقاء في مكتبه بغرفة الادارة. ولذلك سرعان ما احضرت له سيارة ركبها وغادر المدرسة مسرعا الى بيتهم لاستبدال الثوب المشقوق. ولا ادرى هل عاد الى المدرسة بعد ذلك.

اما انا فقد طلب منى الاستاذ ايوب. . مغادرة المدرسة والعودة الى البيت. . والحضور لمقابلته فى غرفة المدرسين. . او الاجتماع باحدهم، او دخول الصف.

وفي صباح اليوم الثاني حضرت الى المدرسة فقابلت الاستاذ ايوب. . وكذلك والدي. اللذان اخذانى الى غرفة السيد المدير. . حيث قدمت له اعتذاري لما حدث يوم امس.

كنت اكرر اعتذاري. . بل اننى بكيت لبضع دقائق. قبل ان ادخل الصف.

بقيت هذه الحادثة عالقة فى الذهن. . وكان الاستاذ سالم ـ رحمة الله عليه ـ يذكرنى بها بعض الاحيان كلما التقينا رغم مرور السنوات الطويلة على وقوعها.

من الزملاء الذين كانوا معى. . محمود علي شبر. . من فريق «الفاضل» بالمنامة. . والذى التحق فيما بعد بدائرة المعارف وأصبح مدرسا. . ثم مديرا لاحدى المدارس. . اما مكان العمل الذى اشتغلت فيه. . فقد كان عبارة عن ورشة كبيرة تشتمل على عدة اقسام. . من بينها قسم السوائل النفطية التى يتم فيها تحليل وقياس درجات كثافة النفط. . او الزيوت الاخرى التى يحضرها الموظفون في قناني صغيرة. . وفى حرص

وعناية فائقتين تسلم الى قسم المختبر.

كان العمل فى حد ذاته مريحا. . رغم ان الراتب الذى حصلت عليه لم يتعد مبلغ روبيتين في اليوم. . ولكن كان يسوؤه نظام النوبات الذى لم يكن من مفر الا القبول به. اشتغلت اسبوعا او اسبوعين فى نوبة «اخر الليل» وكنت مضطرا للعودة الى البيت بعد انتهاء نوبة العمل والساعة لم تصل بعد السادسة من صباح اليوم التالي. . ولم يكن هذا وحده بالامر السيء. . كنا نحشر حشرا فى باصات الشركة الكبيرة. . واحيانا اللوريات المكشوفة التى تنقلنا الى مكان العمل. . مع مجموعات العمال. . من كل صنف واتذكر ان نقطة التجمع لحركة هذه الباصات. . كانت تقع في مكان مدخل قلعة الشرطة. . القريبة جدا من مدرستنا. . لقد تحملنا عناء كبيرا. . ونحن نتنقل فى مثل هذه الباصات.

وعلى الرغم من قصر المدة التى امضيتها فى العمل. . فهي لم تزد اكثر من ٤٥ يوما. . الا انها كانت فرصة ثمينة للتعرف على كثير من اصناف الناس. . وفئاتهم. . وفى فترات الراحة التى كانت تتاح لنا. . كنت اختلط ببعض العمال. . ومعظمهم من كبار السن وممن امضوا سنوات طويلة فى العمل بالشركة. . اسمع منهم الحكايات عن حياتهم. . ومشاكلهم. . كثير منهم لم يدخل المدرسة. . ولكنهم كانوا يتحدثون جيدا باللغة الانجليزية. . بعضهم جاء للعمل من المحرق او الحد. . او من بعض القرى. . كانوا يجهلون اشياء كثيرة عن العالم. . وتنقصهم المعلومات الاساسية في كثير من النواحي. وكل من يتقرب اليهم. كانوا يستغربون كثيرا. . وانا اتحدث مع بعضهم عما يجرى في ساحة القتال. . واخبار العالم. . وعن الاحوال السائدة في هذا البلد او ذاك. . مما تعلمناه فى المدرسة. . كان اكثر ما يستهويهم الحديث عن ابطال الاسلام. . والحروب بين الامم. . وجغرافية بعض البلدان. . وتاريخ الحضارة وكنت ادخل معهم فى حوارات ساخنة عندما يصادف ونتحدث عن قضايا الدين. . والعبادات. . لقد كان الفارق كبيرا فى اعمارنا. . ولكني لاحظت انهم يتقبلون كل ما يقال.

جمعتنى الصدفة مع زميل فى العمل. . يكبرنى بعشرين سنة او اكثر. . اسمه. . عبدالكريم. . . من قرية سترة. . يختلف عن بقية زملائه في العمل. ويحمل افكارا واراء جريئة. . فى كثير من القضايا وشئون الحياه. وعلى الاخص فيما يتعلق بشئون الشركة. . . وقضايا النفط ومستقبله. وذكرني فى احد احاديثه التى كانت تمتد لساعات خلال نوبات العمل الطويلة. ان رئيس الوحدة التى يعمل فيها. . كان مهندسا

جيولوجيا من كندا. اخبره ان ادارة الشركة ـ في تلك الفترة ـ لو قامت بدفع رواتب الموظفين والعمال فيها الى ثلاثة اضعاف المبالغ المدفوعة لهم لما خسرت شيئا. . وان دخل الشركة السنوى الذى يعلن عنه يفوق كثيرا المبالغ الحقيقية التى تحصل عليها. وان كميات البترول التى يتم شحنها فى الناقلات عن طريق ميناء سترة. . لا يتم قيدها فى السجلات كما ينبغي. . وان كثيرا من الحقائق والمعلومات تخفى. واخبره ذلك الزميل ان الشركة حين علمت بما ينقله ذلك المهندس سارعت الى انهاء عقده وابعاده الى بلده. . لانها اعتبرت تلك المعلومات ضارة بمصالح الشركة. . لكن المهندس بقى يراسله من بلده البعيد وكان يرسل اليه بعض الصحف والجرائد التى تختص بصناعة النفط. . لكننى للحقيقة لم يكن لدي شيء مما كان يردده ذلك العامل الستراوي.



■ على سطح المدرسة الثانوية في البحرين سنة 1945م.

انقضت الاجازة الصيفية. . وتركت عملي بشركة النفط بعد ان تمكنت من توفير مبلغ من المال. . يساعدنى فى شراء ما احتاجه من ملابس. . وبعض الدفاتر والحاجات التى كنت بحاجة ماسة لها وانا اعد نفسي لدخول المرحلة الثانية من الدراسة. . فى مدرسة المنامة الثانوية.

فى خلال هذه الفترة. . كنت اتردد على زيارة «غرفة المطالعة» التى افتتحتها دائرة «الاستعلامات» التابعة لدار الاعتماد البريطانية فى

البحرين. . او «بيت الدولة» كما كـان الناس في تلك الايام يعـرفونها. كان مـوقع هذه الغرفـة او المكتبة يقع فى عمارة هلال المطيرى الكـائنة بشارع الحكـومة. . قريبـا من مبنى دائرة الجمارك. . فى هـذه المكتبة يجد الـزائرون العديـد من المجلات والجرائد والمنشـورات المصورة. . التى تتحـدث عن مجهود الحلفاء فى الحرب. كانت زيـاراتي لهذه المكتبة تكون غالبا فى المسـاء. . كنت التقي بعدد من الاصدقاء وطـلاب المدارس. . نتجاذب اطراف الحديث. . وعن استعداداتنا لدخول الشـانوية. . كان الموظف المسئول عن الاشراف على هـذه المكتبـة المرحـوم «سلمان احمد كمال» والـد «احمد كمال» احـد الـزمـلاء في المدرسـة الابتـدائية. . وقـد تدرج فى عـدة وظائف حتـى اصبح مؤخـرا. . رئيس تحريـر جريـدة «اخبار الخليج». . المعروفة.

بقيت المكتبة قـائمة لفترة من الـوقت فى مكانها حتى الاعلان عـن انتهاء الحرب. . ثم اغلقت.

كانت دائرة الاستعلامـات البريطانية تشرف على دار الاذاعة القـديمة بمنطقة «الحورة» التى سبق ان قدمنا فيها بعض الاناشيد. كما كانـت تقوم بتزويد جريدة «البحرين» التى اصـدرها الـزائد في تلك الفترة. . بالموضـوعات والمقـالات. . الى جانب اخبـار الحرب. وكان من بين العـاملين في تلك الدائرة. . مسئول كبير. . عراقي الجنسيـة اسمه (جورج طليا) كـان يتردد على زيارة نـادي العروبـة في سنواتـه الاولى. . وتربطه بعـض الصلات بأعضاء النادي.

وخلال هذه الفترة ايضا. . كنا نحضر بعض العـروض السينمائية فى مدرستنا. . لافلام ولقطـات تنصب كلها على اخبـار الحرب. تقـوم بتنظيمها الـدائرة المذكورة. . او شركـة نفط البحـرين بـالتنسيـق مع دائرة المعـارف. . ويحضر هـذه العـروض عـدد كبير من الموظفين الى جانب طلاب المدارس. . . وغيرهم.

مرة اخرى فى المدرسـة. . ولكن هذه المرة. . مدرسة المنـامة الثانويـة. . واول التحاقي بها 12 اكتوبر 1943 الموافق بالتاريخ الهجرى 14 شوال 1362.

كان الطـلاب والمدرسون وبعض الاصـدقاء الـذين التقي بهم او تربطنـا الزمالـة معهم يظهرون بشىء من التعـالى زهوهم واعجابهم بهذه المدرسة. . حين تـدور الاحاديث عن المدارس. . وشئونها. ليـس لأن هذه المدرسـة هى الوحيـدة فى مستواهـا بين بقية المدارس ولكن لانهم ـــ اي الطلاب ـــ هم ايضـا الوحيـدون من حيث المستـوى بين بقية طـلاب

المدارس. . وهذه ــ فى نظرهم ـ ميزة كبرى لا ينـالها الأ كل ذى حظ عظيم. يكفي انها كانـت تعرف اول مـا تأسست باسـم. . «كلية البحـرين» وهذا مـا كان يـؤمل ان تصير اليه. . لولا الظروف التي اعترضت طريقها.

مجالس رمضان:

رمضان شهر كريم مـن شهور السنة الهجرية يحتفل به المسلمون في بـلادهم. . بطريقة وتقـاليد تختلف مـن بلد الى بلـد. ومنـذ شرع الله صيامـه وقيامـه ينـدر ان تجد شابـا او رجلا. . مهما كـانت سنه او احـواله لا يتـذكر رمضـان. . او يحسب حسابـه كلما مرت السنـوات وتعـاقبت الايـام. فهـو شهـر يـزخـر بكل خير وتغلفـه البركـات وتمور فيهـا الاحداث.

بـالنسبة لي وبـالنسبة لكل من كـان في مثل سني. . ذكـريات لا تنسي. تمر السنـوات وتتغير الاشيـاء ولكن رمضان يبقى الشهـر الـذى لا يشاركـه شهر اخـر. كان الاحتفـال بمقدمه. . وايامه ولياليه واواخره. . وكل ساعة فيه يحسب لها اى حساب.

وفي البيت العـود. . كـان الاحتفال بـالشهـر الفضيل يجرى حسب مـراسيم ومنـاسك خـاصة. كما ان الامـر ينطبق على كـل البيوت فى منطقتنـا. . وفي كل منـاطق البحـرين الاخرى. . واذا كـان هناك اختلاف. . فهـو اختلاف يـرجع بسبب حالـة كل بيت من الناحيـة الاجتماعية والامكـانيات المادية. وحسبما يكـون صاحب هـذا البيت او ذاك من الوجاهة والغنى. . وسعة الرزق.

اننى لازلت اتـذكر الليلة الاولى من رمضـان، حيث يهرع الوالـد ـ رحمة الله عليه ــ مع مجمـوعـة من افـراد وشبـاب الاسرة. . وجيران البيت بعـد غـروب شمـس ذلك اليـوم ـ يصعدون الى سطح احـدى الغرف. . لاستطلاع رؤيـة هلال شهر رمضـان الذى يحتمل ان يهل فيهـا. . وتكون بـداية الشهـر الفضيل. فـاذا ثبتت رؤية الهلال مـن قبل الجميع تبدأ الليلة الاولى. وتستهل عادة بتلاوة سـور القرآن الكريم. ويحضر المجلس جميع افراد العائلة وجيران البيت. . وبعض الرجال والزوار الـذين تربطهم والعائلة اوشج العلاقات والاواصر.

كان الـوالد يقـوم بتلاوة القـرآن الكريم لـوحده ويتنـاوب معه في بعض الليـالي بعض الحاضرين. ويختتـم المجلس عـادة بقـراءة دعــاء «كميل» المعـروف. وينفـض المجلس ويغـادره الحاضرون الا من نفر قليـل يفضل البقاء للمنـاقشـة والحديث فى شئون الحيـاة والمعـاملات. . واخبـار الـدنيـا حيث يدير هـذه الاحـاديث بينهم المرحـوم العم الحاج ابراهيم.

في البيت العـود. . كان يوجـد مجلسان. . الأول شتـوى بالـدور الأرضي من البيت. . والثـاني لفصل الصيـف ويقـام في السطح الشرقـي. . ذى الهواء الطلق، كــان يحضر المجلس كثير مـن الـزوار. بعضهم من كبـار السن والمكـانـة فى ذلك الـوقـت. ويظل المجلس على هذه الوتيرة حتى تنتهى لياليه العامرة. . ويعلن عن قدوم العيد.

اما نحن الاطفـال. . فقد كنـا نقضى ليالي الشهر تقـريبا عنهم بعيـدين عن البيت. . تجرى بعض الالعاب الـرمضانية التى اندثـر معظمها الآن. وهى العاب لـو حاولت ان اسرد شيئا منها لاستغرق من ذلك الصفحات.

لقد كـان رمضان في تلـك السنين الغابـرة يتميز بتقديـم الوجبـات الخاصة بـه. وكان تبادل هـذه الوجبـات على مختلف اصنافهـا وانواعها متـواصلة بين جيران المنطقـة لا فرق بين غنيهم او فقيرهـم. . والبعيد منهم والقريب.

وفى صبيحة يـوم العيد حيث جرت عادة النـاس بالذهـاب الى المساجد لتأدية فـريضة العيد. لاحظت ان بعض افـراد الاسرة لا يؤدون هذه الفـريضة في المساجد. وأتـذكر ان بعض الـرجـال كانـوا يحضرون في سـاعة مبكـرة من صبـاح يوم العيـد. حيث يـؤدون الصـلاة جماعة ويـؤمهم المرحـوم جدى الحاج مـاجـد. وقد بقيـت هذه العـادة فترة من الوقت وانتهت بوفاة رجالها.

لقد اغلقت كثير من المجـالس التى كانت عامـرة في شهر رمضان لوفـاة اصحابها. او لظـروف خاصـة بهم. ولكن لم نعـدم ظهور مجالس جـديـدة فى كل مكـان من المنامـة. يـؤمهـا الكثير من النـاس. ولا تختلـف كثيرا في طابعهـا التقليـدي عـن مجالس رمضـان القديمة.

رمضــان يزورنـا مرة فى السنـة. وسيبقى على ذلك ابـد الابدين ودهـر الداهـرين، وفي يقيني ان جميـع المسلمين لو اولـوه مـا يستحقـه من تكـريم وتعظيم. . وعنـايـة واهتمام. واستجابـوا الى ما يدعـو اليه من الخير. . والبذل والتسـامح والمحبة وغيرهـا من الفضائل

النبيلة لازدادوا خيرا على خير. اليس هو شهر الخيرات والبركات؟

ــــــ صيران الجص:

كان من عادة اهل البحرين في تلك السنين في الثلاثينات وما قبلها، المقتدرون منهم بصورة خاصة. . ان يشيدوا بيوت سكناهم من الحجارة والجص. اما الحجارة فقد كانت تنقل على عربات تجرها الحمير من الشواطىء القريبة فى المنامة او المحرق أما الجص فهي مادة جيرية هشة تميل الى الاحمرار قليلا في لونها وكانت تنقل الى المنامة من مناطق متعددة من انحاء البلاد. والمنطقة الجنوبية منها على الاخص. كما كانت تجلب احيانا من جزر حوار البحرينية.

لم يكن الاسمنت والطابوق والواح الحديد. . والاخشاب تدخل في شئون البناء. ولم يكن احد من الناس يستعملها سوى بعض المؤسسات والشركات الكبيرة المعروفة.

كانت حجارة الجص كما ذكرت تنقل على عربات تجرها الحمير. وتجمع فى شكل (كومات) او (اهرامات) وتوضع في احدى (البراحات) بالمنطقة التى يراد تشييد البناء فيها. وفي الغالب تكون مثل هذه البراحات واسعة بعيدة عن البيوت. ويحضرها عمال متخصصون حيث يقومون بالتعامل معها. وذلك بوضع بعض جذوع النخيل داخل الهرم الذى يعملونه، ويكون لمثل هذا الهرم باب (فتحة) او بابين حيث يشبون النار داخله. ويقومون على العناية به. حتى تأتى النار على الحجارة وتحيلها الى مادة هشة ناعمة. ويستغرق هذا العمل اليوم بأكمله. ويظل الدخان يتصاعد في المنطقة طوال الليلة. . وتمتد روائح الحريق الى مسافات بعيدة.

ويحضر العمال فى اليوم الثاني بمعاولهم وادواتهم. . بعد ان تكون النار قد خمدت تماما في الهرم. وهم فى الغالب اربعة او ستة عمال. حيث يقومون بتنعيم الحجارة وتعبئة المسحوق داخل اكياس خاصة تنقل الى البيت الذى تم التعامل معه. وخلال ما كان العمال يقومون بتأدية هذا العمل كانوا يرددون اغاني «شيلات» تخفف عنهم ما يعانونه في عملهم من تعب وجهد. وقبل حلول المساء. يحضر مالك البيت ويسلمهم اجورهم التى لا تتعدى روبيات معدودة.

لقد بقيت اقامة هذه صيران في المنامة.. وفى كثير من مناطقها حتى منتصف الاربعينات.. واختفت تماما بعد ما طرأ من نهضة عمرانية كبيرة شملت انحاء البلاد.

وفي اليوم الثالث او الرابع من حرق الصار.. وتنعيم الجص يحضر العمال مرة اخرى الى المكان.. ويقومون بازالة كل ما تبقى من مخلفات.. ويصبح الطريق سالكا للمرور.. وعبور الناس.

ان عملية استخراج الجص وتشييد المباني منه لم تكن في الماضى تكلف كثيرا من النفقات. ولقد لاحظت في السنوات الاخيرة من المهتمين.. مهندسين او غيرهم وبعضهم متخصصون في البناء والتراث من يدعون للعودة لاستعمال الجص في البناء بالبحرين.. زاعمين ان ذلك هو المطلوب فعليا في بناء البيوت فى بلد يشكو من الحرارة والرطوبة في معظم ايام السنة فضلا عن الميزات الكثيرة التى يسوقونها عن محاسن الأخذ بما درج عليه الآباء والاجداد.

ولعل هذه الامنية تأخذ مكانها فى يوم ليس بالبعيد. ويتحقق حلم المهندسين.

زمن المقاهي:

بادىء ذى بدء.. اتذكر اننى قرأت مرات عديدة عن هذا الموضوع الذى طرقه اكثر من واحد من كتابنا.. او مواطنون اخرون.. سواء فى الصحف المحلية.. او بعض الكتب والمؤلفات التى خصصها اصحابها اصلا لمثل هذه الموضوعات المتصلة بتقاليدنا وتراث البحرين.. وعاداته.

ومع هذا الذى اعرفه.. ويعرفه الجميع.. اقوم بدوري واكتب عنه فى اوراقي هذه. لكن يشفع لي ان اكتب عنه بشعورى بما يمثله من خواطر.. وتأملات اجد نفسي لا استطيع ان انفك عنها. وهى وغيرها من موضوعات يجدها القارىء محشورة في هذه الفصول.. والابواب.

فى الطريق من البيت العود.. الى الاسواق وسط المنامة القديمة.. يقع مقهى او قهوة (مدوه) احدى اكبر واشهر القهاوى الشعبية التى كانت عامرة بروادها.. وقائمة خلال

الحرب العالميـة الثانية. . وربما ما قبلهـا بسنوات طويلـة. موقعها بالتحـديد فى منتصف شارع الشيخ عبدالله الذى يربط غرب وشرق المنامة.

قهـوة (مدوه) هـذه. . كانـت تجذب الناس مـن كل الطبقات نظـرا لما تتصف بـه من السعة والشهرة من مـرتادى القهاوي فى تلك الايام وعلى الاخص طبقـة (الزركت) التى يعرف عنهـا عدم امتهان اصحابها لأي مهنـة او حرفة محددة. . وتجد في نفسهـا الحاجة لتزجية اوقات الفـراغ التى تساعدها على البقاء في هذه القهاوي. . والالتقـاء باصدقائهم الـذين يماثلونهم في العـادات. . يجلسون معهم كـل يوم ويتبـادلون معهم الاحـاديث. . وفى كل ما يعن لهم مـن شئون الحياة. . ومشاغل الـدنيا وكغيري من اطفال الفـريق كنا نمر بالقهوة كلما رحنا او جئنا من البيـت. فهى تقع فى طريقنا مهما تكن الاحوال. اكان الوقت صبـاحا او عصرا. . او مساء. وفي اي ساعـة من ساعات اليـوم. نرى الجالسين والمترددين منتشرين في كل ركن مـن اركان القهوة. احيانـا نتوقف ونلقى نظـرة على هؤلاء الجالسين. واحيانـا نمر مسرعين دون ان نلتفت الى شيء اخـر. كانت الاحـاديث تدور بين الجالسين بـاصـوات مـرتفعـة. واحيانـا تـدور همسـا. . احـاديث غـريبـة وقصصـا وحكايات عجيبة من المعاملات والبيع والشراء او احـاديث البحر والغوص واحيانا السفر الذى تنصب فى معظمها على السفـر الى الهند او ايران. لكن ونحن نشهد ذلـك يوميا لم تحدثنـا نفوسنـا ان نجلس في هذه القهـوة. . المترامية الاطـراف. وذلك بناء على نصـائح الأهل او الاصـدقـاء. . الذيـن يكبروننا سنـا. وحين نسأل بعضهـم عن السبب الـذى يدفعهم لتوجيه مثل هذه النصـائح الينا. . والاسباب الحقيقية فى ذلك. . يجيب بعضهم بـان في المسألـة من الاسرار مـا يستحسـن ان لا نعـرف عنـه شيئا ونحـن في هـذا السن الصغيرة. . لكننـا سنعرفـه حتما حين نكبر وحين يمكن لنا ان نجلـس فى القهوة ونأخـذ حريتنا فيها. . او في غيرها من القهاوي المماثلة.

ويلاحـظ ان تجار السوق. . ورجال اللـؤلؤ والطـواويش وامثالهم. . يأنفـون ويترفعون بانفسهم بان يحضروا للجلوس فى القهوة. فقـد كانت لهم قهاويهم التى لا يشاركهم فيها احد غيرهم. واذكر ان من بين هذه القهـاوى. . قهوة صغيرة تقع فى شارع ولي العهد. . مكـان فندق (ارادوس) حـاليـا. . يـديرهـا رجل كبير السـن اسمه. . محمـد حسين. . المعروف من سكان هذه المنطقة.

لم تكن قهـوة (مدوه) هى القهـوة الـوحيدة الموجـودة أنذاك ولعل ابنـاء العقود الخمسـة الماضية في المنـامة أو غيرها يتذكـرون قهاوى غيرها. . كـانت قائمة ومـوجودة ومنتشرة في

كل جوانب مدينة المنامة.. واحيانا في بعض مناطق السكن.. وبيوت الاهالي داخل هذه الفرقان. اذكر بين ذلك براحة الجامع الغربي (جامع المهزع) حيث تنتشر فيها القهاوي التى تتميز بصغرها.. واحدة من هذه القهاوي قهوة معروفة يحضرها على الاخص افراد من الجالية اليهودية فى البحرين. وهي عادة ما تكون عامرة بروادها فى الظهيرة وفي الاماسي. كما اننا لازلنا نتذكر قهاوي معروفة ومشهورة مثل قهوة (عبد النور) وقهوة (الفارة) وقهوة (معرفي) بمنطقة رأس رمان وقهاوى اخرى كانت منتشرة على شارع الحكومة.. وساحل البحر.

لقد كانت هذه القهاوى بالنسبة لكثير من مرتاديها بمثابة الأندية لكثير من مرتاديها من شباب هذه الايام. لقد كانت تخدم اهدافا اجتماعية.. ان لم نقل اهدافا ثقافية.. او رياضية.. او غيرها.. لقد كانت هذه القهاوى.. ضرورة على كل حال.

لكن قهوة (مدوة) تظل فى رأيي اكثر هذه القهاوي جمالا وتنظيما. كانت مساحتها تمتد على طول الشارع.. او على الاصح جزء من الشارع.. لا يفصلها عنه شىء من الجدران او الحواجز.. سوى الاعمدة التى يقوم عليها سقف القهوة.. او ما يطلق عليها «السناطوين» وهذه نفسها لا ترتفع عن مستوى ارضية الشارع اكثر من قدم واحد فى الغالب.

داخل هذه الاعمدة او «السناطوين» من داخل القهوة او جوانبها ركب عليها عدد من الصور التراثية الجميلة القديمة لمختلف العهود.. فعلى احدها مثلا صورة للملك آمان الله خان.. احد ملوك افغانستان السابقين، وعلى عامود اخر صورة القائد رضاخان الذى اصبح فيما بعد شاهنشاه ايران.. وصورة جميلة لملك بريطانيا.. جورج الخامس.. وعلى الأعمدة الاخرى صور للطيور الملونة.. والطاووس الهندي المشهور وصور لمناظر جميلة من البحيرات.. والجبال والمناظر الطبيعية.. من بلاد الصين القديمة.. وصور غريبة لمناظر لإلهة الهندوس الاسطورية التى تتعدد فيها الرؤوس والايدي والارجل.. وغيرها.

كما كانت توجد قريبا من منصة الراديو في القهوة صورة نادرة للمطربة الكبيرة.. ام كلثوم.. وهى ترتدي الخمار الاسود.

فى قهوة (مدوه) استمعت اول ما أستمعت الى أغاني الموسيقار محمد عبدالوهاب في

عهودها الاولى والى اغاني فريد الاطرش واغـاني منيرة المهدية. . وعبده صالح وغيرهم من موسيقى مطـربي الرعيل الاول من العـرب من مصر وسوريـا ولبنان. . والى جانـب هذا الاغـاني التراثية من اليمن. . وحضرمـوت. . واغاني مـن العراق لمطـربات قـديمات مثل زكية جورج. . وسليمة مراد.

وغيرهم. . هذا الى جانب مطربين محليين من البحـرين ومنطقة الخليج من امثال محمد فارس وضاحى بـن وليد ومحمود الكويتي. . والملا سعود. . مـن الكويت. . ومحمد على سنـدى من السعـوديـة. وجميـع هـذه الاغـاني كـانت مسجلـة على اسطـوانـات «القـار» القـديمة. . ذات الحجم الكبير والسرعـة في الدوران. . وقبـل سنوات قليلـة كانت تبـاع بـاسعار زهيـدة جدا. واذكـر انني قبل مـدة قصيرة اشتريت من احد البـاعة في المحـرق مجمـوعـة من هـذه الاسطوانـات بسعـر مـائة فلس للـواحدة. . امـا اليـوم فـانك تحاول الحصول على واحدة مـن هذه الاسطوانات ولكنك لا تجد لها من أثـر. وفى احد معارض وزارة الاعـلام التى اقيمت أخيرا فى متحف البحـرين الـوطني. . احضر احد العـارضين مجموعة من تلـك الاسطوانات القديمة. . وبـاع بعضها بقيمة دينار واحد لـلاسطوانة. . ولكن تلك المجموعة القليلة سرعان ما تخاطفها الزائرون في المعرض. . واختفت.

فى هـذه القهاوى. . والى جـانب زوارهـا الذيـن اعتادوا الحضـور يـوميا واصبحـوا من الزبائن الدائمين كـان يتردد فى بعض الايام عليها الباعة المتجولـون ومنهم (صباب القهوة العربيـة) وكان هذا الـرجل يحمل فى يده دلـة القهوة الكبيرة او المتوسطـة الحجم ويطوف على اصحـاب المحلات التجـاريـة. . والدكـاكين ومـرتادي القهـاوي. . يصب لهم مـا يرغبـون فيه من القهـوة العربية التى تعبق بـالهيل والقرنفل والـزعفران لقاء بعـض المبالغ النقدية الزهيدة. . والتى لا تخضع لاجرة محددة. بل تترك لاريحيـة التاجر وكرمه. يطوف صباب القهوة بـالمحلات فى السوق المرة والمرتين والثلاث. وكانت هـذه العادة سائدة في البحرين وغيرها من دول الخليج. . الا انها بدأت تنـدثر او تتقلص كما ظهر في السنوات الاخيرة.

والى جـانب صبـاب القهـوة العربيـة. . كـان يحضر ايضـا بـاعة لاصنـاف اخـرى. . يروجـون لبضاعتهم من امثال بيـاع الحب والسنبل. . والمكسرات وبياع الباقلـة. . وانواع الشربت والايسكريم. . وغيرها.

ينطوى الـزمن. . وتمر السنوات سراعا ونتجاوز عقـد الخمسينات. . ونكبر. . ويشتغل

بعضنا في الحكومة او المؤسسات وغيرها من الشركات والاعمال.. ونجد انفسنا نتسلل الى احد المقاهي الصغيرة المنزوية فى احد المنعطفات الجانبية المتفرعة من شارع باب البحرين او احيانا فى الطريق المتفرع من شارع ولي العهد.. وقد كان هذا المقهى يشتهر بمن يحضره من الشباب بصورة خاصة من اعضاء النادي الاهلي والاندية الاخرى. ويزدحم المقهى بمرتاديه صباح يوم الجمعة.

لقد كنت وغيري نتردد كثيرا على هذا المقهى الذى اطلقنا عليه اسم (مقهى النشاط) لصاحبه العم علي. وفي السنوات الاخيرة تحول هذا المقهى الى محل لبيع الاقمشة والملبوسات داخل السوق حتى ان معالمه قد ضاعت في زحمة هذه المتغيرات التى شهدتها البحرين.

وكما ذكرت فى اول حديثى عن هذا الموضوع فقد تكون الكتابة فيه ليس بالشىء الجديد.. ولكنى رأيت ان لا تخلو هذه السطور من هذه التأملات والخواطر التى لا تزال عالقة في ذهنى.. واذهان الكثيرين.

ويذكرنى هذا بان كاتبا مصريا معروفا لا اتذكر اسمه الان قد اصدر مؤخرا كتابا بعنوان (حكاوي القهاوي) في مصر. سرد فيه الحكايات والطرائف. عن القهاوي.. وعالمها الغريب.

ولاغرو ان هذه الاحاديث والقصص التى يروى اصحابها عنها مختلف الحكايات.. باتت اسواقها تروج فى الاوساط الامريكية والاوروبية.. ويجدها الناس معروضة بكثرة فى دور المكتبات واكشاك بيع الصحف والمجلات.. حين يزور الانسان تلك البلدان المتقدمة.

اما نحن.. فأننا نسير فى طريق من سبقونا. ولا نظن الا اننا نفعل بذلك خيرا.

وقد نكون مخطئين.

فرضة المنامة:

من الاماكن التى كنت اذهب اليها وانا لازلت فى سنى الاولى و ان لها سحرا لا يقاوم. مع انها فى نظر الكثيرين شىء لا يستحق ان يذكر. ولكنها فى نظري وفى نظر

اخرين شيء غير ذلك تماما.

في اجـازات المدارس الصيفيـة.. ونحن لا زلنـا في اوائل الاربعينـات.. كنت مـع الصـديق علـوى السيد خلف نقـوم بـزيارة فـرضـة المنامـة كلما تيسر لنـا ذلك.. حيث نقضى الساعات الطويلة في تأمل ما نشاهده مـن حركة قائمة فى الفرضة.. التى كانت تعتبر الواجهة البحـرية التجارية الـوحيدة للبحرين حتى ذلك الوقت. كـانت الحركة فى الفرضـة يومية ولا تتـوقف فى اى ساعة مـن ساعات النهـار. عشرات السفن والقوارب المحملة بشتى انواع البضاعة تروح وتجيء.. بعضهـا قادم من مدينة البصرة ميناء العراق الـرئيسي.. وبعضها مـن ميناء عبـادان الايـرانى.. والابـوام الكبيرة (مفـردها.. بـوم) قادمة من سـواحل سلطنة عمان.. بل ان بعض هذه السفن يصلنا مـن سواحل الهند.. وسواحل افريقيا.

كـانت البضـاعة التـى تنقلها هـذه السفن وتكـون مكـدسة في جـوفهـا تحوى اصنافـا عـديدة.. منهـا على الاخص الاخشـاب والتمور واكيـاس مختلفـة وغريبـة لمواد غذائيـة وبعضها العدد والالات الهنـدية.. ومواد وأشياء لا تقع تحت حصر. كـان يحلو لي وللأخ علوى التـوقف قريبا من هـذه السفن التى تلقي بمراسيهـا فى ارصفة الفرضـة والتحدث مع بعض اصحـاب هذه السفن عن الحياة في بـلادهم وكان يـداخلنا شعور قـوي كأننا مسافرون مثلهم.. ونشعر بمتعة زائدة لا تدانيها متعة.

فى بعض هـذه الجولات.. دعانـا احد اصحاب السفـن للجلوس في سفينتـه.. وكان قد اعد فيهـا مكانا مفروشـا بالسجاد والوسـائد القطنية.. وفي احد الجوانب اعـد مكانا خاصا بالقهوة العربية.. واباريق الشاى لتقديمها للضيوف الذين يزورون السفينة.

كان صاحب هذه السفينة شاب عربي من سكان مدينة خرمشهر.. او كما نعرفها عن مدينة (المحمرة) التـى رغم انها ايرانية التبعية من الناحية السيـاسية الا ان سكانها عرب اقحـاح. نزلنـا الى هذا الـركن المعـد في السفينة.. وقـدم لنا الـرجل بعض حبـات من (الـرقي) الـذى احضر منه كميـات هـائلـة لبيعها فى اسـواق البحـرين.. وحضر احـد مسـاعديـه وقـدم لنا اقـداح الشاي والقهـوة.. وكـان بقية الـرجـال العاملين على ظهـر السفينة يتحدثـون احاديث متفرقة عـن الحياة في بلادهم والمصاعب التى لاقـوها وهم في طـريقهم الى البحـرين. وظهـر لنـا من هـذه الاحـاديث انها ليست الـزيـارة الاولى التى يحضرون فيها الى بلادنا.

وقبل ان نغـادر السفينـة. . شـاكـرين لأصحـابها كريـم ضيـافتهم وحسن تقـديـرهـم ونبلهم. . راجين منا ان نأخـذ منهم كهدية حبة او حبتين من فـاكهة الجح الذى لازالت لديهم منه كمية كبيرة للبيع.

كان الطريق داخل الفرضة طويلا. . ويـزدحم من جانبيه بشتى انواع البضاعة. . من اكيـاس وصناديق مختلفـة الاشكال والاحجـام. ويـؤدى هذا الطـريق في نهايته الى جهـة الشمال حيث تـرسو سفـن خاصـة لا تحمل اي بضـاعة. . لكنهـا تتبع شركـة البواخـر (كرى ماكنزي) او دائرة الشرطة. . وغيرها من المؤسسات الاخرى.

وفي منتصف الطريق في الفرضة. . وعلى الجهة الشرقية كانـت توجد آلة رفع قديمة قد اقيمت هنـاك منـذ سنوات يطلقـون عليهـا اسم CRANE يشرف على تشغيلهـا عـدد من العمال. هـذه الآلـة تبـدو غـريبـة الشكل. . وتستعمل لـرفـع الصنـاديق الكبيرة. . او البضـاعة الثقيلـة الـوزن التى لا يقوى عمال الفـرضـة على رفعها بـانفسهم الى مستـوى الـرصيف وتكـون عـادة مكـدسـة فى احـد الصنادل الحديـديـة التـى يطلق عليهـا اسم (الـدوبات) التـى تنقلها من سفـن الشحن الكبيرة التى تـرسـو على مقربـة من سـاحل البحـرين الشمالي. . ولا تستطيع الاقتراب مـن فرضـة المنـامـة لضحـالة الميـاه فيهـا. . وعندما يتم تفـريغ البضاعة من الدوبات. يجرى نقلها الى مخازن داخـل سوق المنامة. . وذلك على عربات (الترولي) التى تربطها بتلك المخازن خط من القضبان الحديدية.

كانت بعض البضـاعة تنقل من جزيـرة (سترة) حيث اقامت شركة النفط مينـاء خاصا بها. ولكن كمية البضـاعة التى تنقل الى فرضة المنـامة بواسطة السفـن قليلة جدا. . ولا تقاس بما تنقله السيارات الخاصة الى انحاء متفرقة من الجزيرة.

بقيت الـرافعة القديمـة رابضة في مكـانها المعهود وبفرضـة المنامـة سنين عديـدة تؤدى عملهـا الـذى يفـوق مجهـودات العمال الفـرديـة وفى ظـروف متفـاوتـة. . قبل ان يتقـرر تفكيكها ونقلهـا من مكانها. لقـد تحولت الى قطع صغيرة من الخردة (السكـراب) انه لا يعلم الا الله ما آلت اليه من مصير.

وفى السنـوات الاخيرة. . اوائل الستينات تقـريبا نقلت دائرة شئـون الجمارك بموظفيهـا وأقسامها الى منطقة جـديدة تقع جنوب المنامة. . حيث انشأ هناك مينـاء جديد يستقبل السفن الكبيرة وبكفاءة اكثر من فرضة المنـامة. . واطلق على المكان الجديد اسم. . ميناء سلمان.

نسيت ان اذكر ان الاخ علـوى قد التحق بالخدمـة فى دائرة الجمارك في سنة 1947 . . ولذلك تكـونت لديـه خبرة واسعة عن العمل فى شئون الجمارك . التـى تعاقب على ادارتها منذ نشأتها عـدد من المدراء الاجانب كان اخـرهـم السيد G.W.R. Smith الذى شغل فيما بعـد منصب سكرتير حكـومة البحـرين بعـد رحيل السيـد بلجريف مستشـار الحكومـة المعروف . وبعد ذلك تـولى شئون الجمارك مواطنون من البحـرين . . كان من بينهـم زميل الدراسة السيد خليل ابراهيم المطوع . . الذى احيل الى التقاعد قبل سنة او سنتين .

ـــــــــــ سقوف اسواق المنامة:

بقيت المنـامـة . . عـاصمة البحـريـن شأنها شأن بقيـة المدن الكبرى فى منطقـة الخليج العـربي . مثل دبي والكويت تحمـل نفس الطراز المعهـود في ابنيتها واسـواقها . . وانظمـة الحياة الاجتماعية فيها حتى منتصف الاربعينات . وكلنـا ممن قدر له ان يفتح عينيه ويعى الاحداث السائدة حتى ذلك الوقت يتذكر كيف كان الحال عليه فى اسواق المنامة .

كانت معظم أسواق المنـامة فى تلك الحقبة من الزمن وشوارعها المعـروفة المحدودة العدد مسقوفـة بسعف النخيل وشرائح المنقور والجندل المستورد مـن سواحل افريقيا . . واحيـانا بعض العـوارض الخشب والجريد . . وبعض انـواع الحبال التى لا يمكن الاستغنـاء عنها في مثل هذه الاحوال .

وقد قـامت ببناء هذه السقـوف بلدية المنـامة او بعض السلطات فى بقيـة المدن والقرى والنـواحي . اتقـاءا لحرارة الشمس واشعتهـا في فصـل الصيف . . وتنفـذ الى الـدكـاكين والمحلات التجارية فى الاسواق . . وكأنها شواظ من نار .

كـانت هذه السقـوف مبنية بصـورة بدائيـة فضلا عن ان فعـاليتها لا تستمـر طويـلا . تتخللها فجوات كبيرة فى بعض جوانبهـا مما يتيح للمارة في تلك الاسواق ان يرى الشمس اذا ما تطلع اليهـا . كانت هـذه السقوف تغطى شـوارع رئيسية بمدينـة المنامة مثـل شارع بـاب البحـرين . . وشـارع التجـار وشـارع ولي العهـد . . وغيرها . ويمتـاز شـارع بـاب البحرين بانـه يختلف بعض الشيء عن بقية الشوارع الاخرى . فقـد اقيم في جزء متوسط فيـه نوع مـن السقوف مـن مادة «الاسبستـوس» والعـوارض الخشب القـويـة . كان هـذا الشارع يعرف حتى ذلك الوقـت باسم شارع (برت/ Barrit) نسبة لاسم احد المعتمدين

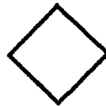
لبعض الـوقت. . ثـم يعـودون مرة اخـرى الى محلاتهم بعـد اداء صـلاة العصر. كنـا نجـوب هذه السقـوف بـدافع شقاوة الاطفـال. . او حب الاستطـلاع. وكنـا نبدأ هـذه الجولات من مكـان قـريب يقع في خـان خنجي بشارع الشيـخ عبدالله والـذى تحول فيما بعد الى ما يعـرف بسوق الذهب. . ونسير فى كل اتجاه. . حتى نصل احيـانا الى اسواق الخضرة التى تقع الى الغرب من بقية الاسواق فى المنامة.

كانـت هذه السقوف مـرتعا للقطط والكـلاب. . وكثيرا ما كنت أسمع عنهـا القصص والحكايات المضحكة.

مـا ان انتهت الحرب. . حتى بـدأت عمليـة ازالة هـذه السقـوف بعـد ازدياد حـركـة العمـران والبناء فى البـلاد. وبقى الجزء المحصـور بشـارع باب البحـرين (الاسبستـوس) والذى أزيل من مدة تقريبا.

يأخذنى الكلام عن هذا الموضوع الى ظاهرة قـديمة اندثرت الآن تماما. . ولا يتذكرها كثيرون. فقـد درجت البلـديـة على عادة تسيير سيـارة الحريق وهـى ملآى بـالماء خـلال فترات الظهـرة من كل يـوم لـرش الارض في بعض الشـوارع والطرق تخفيفـا لموجـة الحر اللاهب التى تتفاقم فى مثـل هذا الوقت من النهار. وكان اصحاب الـدكاكين والمحلات الذين تمر سيارة الحريق امام محلاتهم. يترقبون حضور السيارة بكل لهفة. . وسرور.

وهكذا. . كانت أيامنا. . فأين منها هذه الأيام.



,, تولى ادارة المدرسة فى الايام الأولى من تأسيسها ــ حين كانت تقع فى مبنى قديم يسمى «البنك القديم» بفريق الفاضل ـ الاستاذ كمال المهزع.. نجل المرحوم الشيخ الجليل قاسم المهزع قاضى القضاة فى البحرين.. وكان الاستاذ كمال.. من اوائل الطلبة الذين سافروا الى الديار المصرية وتلقى العلوم بالجامع الازهر الشريف.

اما في ايامنا.. فقد كانت المدرسة تقع فى شارع الشيخ عبدالله.. بالمنامة. فى بيت يملكه التاجر الثرى المعروف.. منصور محمد حسين العريض.. يضم العديد من الغرف والاقسام ويتألف من دورين وسطح. كانت هذه الغرف.. صفوف الطلاب الثلاثة وغرف الادارة.. والاشغال.. والمكتبة.. والمدرسين.. وفى الجزء الغربي من البيت.. كانت تقوم دائرة المعارف بمكاتبها المتعددة. وفى الدور العلوي.. القسم الداخلي الذى يضم الطلاب المنخرطين فى مدرسة الصناعة والمدرسة الثانوية والذين توجد منازلهم في مدينتى المحرق.. والحد.. وبعض القرى. ,,

كان عدد طلاب المدرسة حين التحقت بها لا يزيد على 50 طالبا فى جميع الفصول.. وبدا انها تعانى من نقص فى عدد المدرسين واختلال فى الادارة. فخلال السنة الأولى تولى الادارة فيها مديران.. هما الاستاذ محمد خير الدين الحبال.. والاستاذ نديم احمد الحلاق.. ثم بعد فترة وجيزة.. الاستاذ عبدالله البيضاوى. وجميعهم كانوا لبنانيين.. ومما يكشف عن حقيقة ذلك.. ان مدير المعارف نفسه (السيد ويكلن) قام في فترة من الفترات باعطائنا بعض الدروس فى الرياضيات.. كما كان يقوم بالتدريس لبعض الوقت ايضا مدرسون منتدبون.. اتذكر منهم الاستاذ الشاعر ابراهيم العريض.. فى حصته «الجبر» والاستاذ محمد قاسم الشيراوي.. لاعب المحرق المشهور فى كرة

القدم. . وكانا يحضران لاعطاء الدروس في جميع فصول المدرسة. . وليس فى فصلنا فقط. اما المناهج والمقررات. . فانها لم تكن مستقرة على حال.

في الايام الاولى من الدراسة. . قامت المدرسة بتنظيم رحلة الى جزيرة المحرق. . كانت بالنسبة لي ولبعض الطلاب الآخرين الزيارة الأولى. . أمضينا فترة الصباح في احد البساتين الجميلة الواقعة على شاطىء البحر. . وقدم زملاؤنا من اهل المحرق فنونا متنوعة من الغناء والرقص الشعبي واشاعوا بين المشتركين في هذه الرحلة جوا من المرح. . والانشراح. . طيلة اليوم. واظهر اولئك الطلاب من المحرق مهارات لا ينافسهم فيها منافس.

وقبل عودتنا الى المنامة. . بحلول المساء مررنا بمطار المحرق القائم قريبا من بستان الرحلة. . وألقينا عليه نظرات سريعة التقطت خلالها بعض الصور التذكارية. . لكننى لم احصل على اي منها حتى الآن. . لقد كانت هذه الزيارة. . ورحلة اليوم. . فرصة مفيدة لزيادة وعينا ومداركنا. . وفاتحة للعديد من الزيارات والجولات.

تكوّن فى المدرسة فريقان للخطابة والتمثيل. . وانضم للفريق الثاني عدد من طلاب صفنا. . وكانت باكورة الاعمال التى قام بها هذا الفريق. . مسرحية قصيرة من مشهدين او ثلاثة. . بعنوان «الخنساء» وتوليت فيها هذا الدور. ومرت علينا بضعة ايام كنا نتدرب فيها على اداء الادوار. . لم يحملنا المشرف على المسرحية عناء ارتداء الملابس الخاصة التى يقتضيها كل دور. . وقدمناها امام طلاب الفصول فى المدرسة صباح احد الايام وحضر لمشاهدتها بعض المدرسين من المدارس الحكومية الذين تمت دعوتهم من ادارة المدرسة. . قمت باداء دور البطولة فى هذه المسرحية خير قيام. وشهد الجميع لي بذلك.

كنا نحضر التمارين الرياضية التى تقيمها المدرسة صباح كل خميس. . على ارض ساحة مكشوفة بحديقة بلدية المنامة (الباخشة) التى تقع خلف مبنى مدرستنا. . لعدم وجود ساحة بالمدرسة. وكان مدرس الرياضة هو الاستاذ سلمان زلوف . . الذي سبق وعرفناه عندما كنا فى المدرسة الابتدائية. . لطالما كنا نتهرب من اداء هذه التمرينات بعض الاحيان. . لكن الاستاذ زلوف لم يكن يظهر اي اهتمام لمثل ذلك. بل يدعنا نتجول فى انحاء الحديقة. . ونقتطف بعض الأثمار التى نجدها خلال الجولات. . مثل التين والتوت. . كان الممر الطويل الموصل بين بابي الحديقة فى جهتيها الشمالية والجنوبية . . هو مضمار الالعاب التى نقوم بها عندما نزور الحديقة. . لم تقتصر زياراتي الى

الحديقة خلال التمارين الرياضية. بل كنت احيانا ازورها بعد الظهر.. والعصر.. فكان نواطير الحديقة التابعون للبلدية لا يألون جهدا في السماح لي بالدخول وذلك بفضل العلاقة التى تربطني والزميل عبدالحميد الشتر.

في وقت سابق لدخولنا المدرسة الثانوية.. كانت الحديقة تضم بعض الحيوانات.. الاليفة والمتوحشة.. مثل الدب والنمر والقرود.. والغزلان وحمار الوحش المنقط.. وطائفة من الببغاوات والطيور. وكان الناس يحضرون مع اطفالهم لمشاهدة هذه الحيوانات.. وهى رابضة فى اقفاصها الخاصة. الا ان هذا الوضع تغير فى السنوات التالية.. وتغير معها وضع الحديقة نفسها.

كما لازلت اتذكر ان الحديقة فى وقت سابق ايضا كانت تضم «كشكا» جميلا اقيم في احدى جنباتها.. الشرقية.. وفي عصر كل يوم جمعة.. يحضر مجموعة من رجال فرقة «الموسيقى» التابعة لشرطة الحكومة.. حيث يعزفون بعض وصلات الموسيقى الكلاسيكية على آلاتهم النحاسية.. كوسيلة من وسائل الترويح.. المتاحة في تلك الايام.. الا ان ذلك توقف مؤخرا.. بعد ان تحولت الحديقة الى وضع آخر.. فقد اقيم على طرف فيها في الناحية الغربية.. مدرسة حديثة للبنات.. عرفت بمدرسة الزهراء منذ اوائل الخمسينات. وانشىء فى طرف آخر من ناحية الشرق مركز للاطفاء.. وحول الممر الطويل فيها الى طريق عام.. زالت الحديقة وامحى اي اثر لها ولكن «الباخشة» بقيت حاضرة فى اذهان الناس.. الى اليوم.

عودة للحديث عن القسم الداخلي.. فبالاضافة لكونه مقرا لسكن طلاب مدرستي الصناعة والثانوية.. من غير المقيمين في المنامة.. فقد كان مركزا للنشاط الذى تقيمه دائرة المعارف فى كثير من المناسبات.. تولى ادارة القسم منذ تأسيسه موظف مسئول.. هو الاستاذ «ناير» وهو هندى الأصل كان يجيد الحديث باللغة العربية.. ومشهورا باناقته المميزة فى ملابسه.. فى مبنى القسم كانت تقام بعض الحفلات والنشاطات.. سواء الحفلات التى يقيمها طلاب القسم انفسهم.. او تلك الحفلات التى تقام احيانا لكبار الزوار التى تستضيفهم دائرة المعارف. اتذكر اننا فى احدى المرات حضرنا حفلة العاب سحرية يقوم بها لاعب انجليزي اسمه (يونج). وكان من بين طلاب القسم.. طلاب من الكويتيين المبتعثين للدراسة في البحرين. وكان لهم نشاط ملحوظ.

كنت احرص على زيارة القسم الداخلي.. كلما سنحت الظروف لي بذلك. وكنت اتناول بعض وجبات الطعام فيه بترتيبات خاصة مع الاستاذ «ناير» وفى نفس الوقت

كنت احرص على تقوية الصلات مع الطلاب المقيمين فيه.. واتذكر انه كان يعمل فى مطابخ القسم اخوان من مدينة المحرق.. هما غلوم.. ومحمد جعفر. وقد بقيا في الخدمة سنوات طويلة.

كانت مطابخ القسم الداخلي ـ كما علمت ـ هى الجهة التى تزود المدارس.. بطلبات الطعام وغيرها فى الرحلات التى تقيمها لطلابها.

وفي جانب آخر من المدرسة.. خصصت احدى الغرف للمكتبة وكان لهذه الغرفة باب تطل منه على الطريق العام.. وقامت ادارة المدرسة.. ثم دائرة المعارف فيما بعد.. بتزويد المكتبة بمئات من الكتب.. والمؤلفات.. والمطبوعات فى الفنون والشعر والادب والجغرافيا وفى علوم الدين.. والقصص.. وغيرها. وكنا نرتاد المكتبة خلال فترات الاجازة القصيرة.. بين الحصص.

ثم تحولت المكتبة.. الى مكتبة عامة يزورها الراغبون فى الاطلاع.. واستعارة الكتب.. بعد ان قام المسئولون بسن نظام خاص لهذا الغرض. كان يشرف على المكتبة فى ايام تأسيسها.. الاستاذ مصطفى صبحى.. احد المدرسين المغتربين الذين وفدوا للتدريس.. ثم تولى امانة المكتبة بعد سنوات الاستاذ محمد حسن صنقور. وظل مسئولا عنها سنوات طويلة. فى هذه المكتبة تفتحت عيوننا على عالم زاخر بالفكر.. والخيال.. وكنت مع بعض الزملاء من الطلاب نحضر مساء كل يوم.. ونقضى ساعات فى قراءة الكتب من كل صنف ولون لمشاهير الكتاب.. العرب والاجانب.. ومن هؤلاء.. طه حسين.. والعقاد.. وزكى مبارك.. وتوفيق الحكيم.. والمنفلوطي.. وسلامة موسى.. والزيات.. واسماء لامعة.. لا تنقطع.

الطريف.. اننى فى احدى زياراتي الى امارة «الشارقة» بدولة الامارات العربية المتحدة.. عثرت على كتاب قديم كثيرا ما استهوانى.. فى مكتبة المدرسة.. هذا الكتاب وجدته معروضا للبيع فى مجموعته الكاملة التى تزيد على ٢٠ مجلدا.. بسعر زهيد هو قصة (روكامبول) ولكن صديقا عزيزا سبقني لشراء المجموعة التى كانت الوحيدة في تلك المكتبة.

في المدرسة توثقت علاقتي بالاستاذ ابو القاسم فيضي مدرس اللغة الانجليزية.. كان هذا المدرس يتمتع باحترام وتقدير جميع المدرسين والطلاب فى المدرسة.. لما عرف عنه من نبل المشاعر.. والاخلاق الرفيعة.. والادب الجم. كان يقوم بتقديم دروسه فى اسلوب.. قل ان ينافسه فيه احد. وكنا نتمنى ان تطول الحصة فى الفصل.. بعكس

مدرسين كثيرين مررنا بهم فى حياتنا الدراسية. كان الاستاذ «فيضى» يكافىء الطلاب المبرزين في مادته.. بأهدائهم بما كان يحصل عليه من بلده «شيراز» في ايران من فاكهة لذيذة مثل العنب.. والتين.

لم يكن غيره من المدرسين يعاملنا مثل هذه المعاملة. لقد كنا مشدودين اليه.. وقبل نهاية السنة باسابيع فوجئنا بغياب الاستاذ «فيضي» وانقطاعه عن تقديم دروسه ثم علمنا بعد ايام ان الاستاذ فيضي قد طلب منه مغادرة البحرين لاتهامه باعتناق «المذهب البهائي» المناهض لتعاليم الدين الاسلامي. لم نكن فى تلك الايام نعرف شيئا عن هذا المذهب. فقد كان استاذنا.. يستشهد في اقواله كثيرا بآيات من القرآن الكريم. ولم يبد منه في اي وقت ما يمكن ان يفسر انه ضد الدين. ولم نصدق ما كنا نسمعه عنه. اننى لأتذكر ان الاستاذ فيضي قام بتصميم احدى اللوحات الفنية.. كانت موجودة فى مقر «نادي العروبة» القريب من مدرستنا. كانت هذه اللوحة تحمل اسم النادي فى زخرفة اسلامية جميلة مستوحاة من آيات القرآن الكريم. حزنا كثيرا على غياب الاستاذ فيضي. ومنذ سفره من البحرين لم نسمع عنه شيئا.

يذكرنى الاستاذ فيضى.. بمدرس آخر لا انساه هو الاستاذ «صبحي الدحلة» وهو فلسطيني من الذين قدموا بالتدريس ولكن لم يقدر لهم ان يبقوا طويلا. كان الاستاذ صبحى انيق المظهر.. دائم الابتسام. وكان يرتدى بذلات انيقة.. يعلوها العقال العربي والغترة.. وهو الزى البلدي الفلسطيني المعروف. سمعنا ان الاستاذ الدحلة غادرنا للعمل فى المملكة العربية السعودية.

من ذكريات المدرسة.. فى صباح احد الايام نقل لنا الاستاذ الدحلة.. خبر وفاة الطفل «تيموثي» ابن السيد ويكلن مدير المعارف.. على اثر عملية جراحية غير ناجحة في «اللوزتين» في مستشفى الحكومة.. فى النعيم. وهذا الطفل لم يتجاوز السنتين. كان لهذا الخبر. اثره المؤسف لدى جميع طلاب المدرسة.

ابان اشتداد الازمة الاقتصادية القائمة خلال الحرب والتى تمثلت فى انقطاع المواد الغذائية والملبوسات.. وغيرها. رغبت دائرة المعارف فى مساعدة طلاب المدارس الحكومية فى الحصول على ما يحتاجون اليه من القرطاسية.. والدفاتر.. ومن اطرف ما حدث في هذا الشأن.. قيام الحكومة بطبع كمية كبيرة من الدفاتر في احدى المطابع

الهنـديـة. . فى مـدينـة كـراتشـى. . وعنـدمـا وصلت الكمية الى البحـريـن. . اكتشف المسئولـون وجود خطأ فى الكتـابة على هذه الـدفاتر. . فقـد كتب عليها بحـروف بارزة. العبارة التاليـة: (. . . مدرسات الحكومت البحرين). . وواضح انها عبـارة ركيكة تقرب فى شكلهـا الى لغـة «الاردو» المستعملـة فى الهنـد. . ولم يكـن من مفـر. . نظـرا للكميـة المستوردة. . الا تـوزيعها على التـلاميذ. وظلت قصـة هذه الدفـاتر مثـار تعليق كل من اطلع عليها. . ولحسن حظي فقد احتفظت بعدد منها. . وهي موجودة لدي حتى الآن.

من بين المدرسين الفلسطينيين الـذين لا انسـى مـواقفهـم النبيلـة. . مـع الطـلاب. . الاستاذ عارف محمود. . مـدرسنا خلال الدراسة الابتدائية. فى اللغـة العربية. . والتاريخ والجغرافيا. كان الاستـاذ عارف يزجى للطلاب الارشاد والتوجيهات السـديدة. وكان هو الوحيد من بين المدرسين الآخـرين الذى ينصح تلاميذه بضرورة مـواصلة التعليم. . ونيل الشهـادات العـاليـة. . والسفر الى احـدى البـلاد العـربيـة. . او غيرهـا لنيل مثل هـذه الشهـادات. وخـلال انتقالنـا الى المدرسـة الثـانـوية. . نقـل الاستاذ عـارف الى المدرسـة الابتـدائية «الشرقيـة» التى انشئت حـديثا مقـابل مـدرستنـا وعين اول مديـر لها. . كنت احيـانـا اجـد في نفسي الجرأة فى الـدخـول على بعـض المدرسين في غـرفتهـم الخاصـة بـالمدرسـة. . واستمع الى مـا كـان يـدور بينهم من احـاديث غـريبـة حـول الاحـوال في بلادهم. وفي مرة من المرات سمعتهم يتحدثون عن «الرقـابة» التى فرضتها الحكومة على جميع الرسائل التى تصلهم بالبريد من اهاليهم في سوريا. . ولبنان. . وفلسطين.

كانـوا يتذمرون من فرض هـذه الرقابـة. . ومن غلاء أسعار المواد الغذائيـة. . وانعدام وسائل الترويح. . وغيرها.

كـانت الحرب لا تـزال دائرة فى جميـع الجبهـات. . وانبـاء القتـال تصلنـا بين حين. . وآخر. . ولازال النـاس في البحريـن يكتوون بنـارها مما تـركته مـن آثار سيئـة على الحياة العـامـة. وكنت في بعض الأيـام أقـوم بنقل مـوجـز لأهم الانبـاء على السبورة في غـرفـة الفصل بعـد ان استمع الى نشرات الاخبار التى نسمعهـا مساء كل يـوم في بيت عمي. . ومـرة اطلع الاستاذ عبـدالله البيضـاوي القائم بـاعمال مـدير المدرسـة حينذاك على هـذه الكتابة فى الفصل وابدى دهشته. . ونصح بعدم تكرار هذه «الفعلة»!!

واقتربـت السنـة الـدراسيـة من الانتهـاء. . وحلـول الاجـازة الصيفيـة. ودخلنـا الامتحـانات. . وانتهت الأمـور والحمد لله على احسـن ما يـرام. . وكما حدث في العـام الماضي. . رحنا فيما بيننا نتشاور في الاستفادة من الاجازة الطويلة التى تنتظرنا.

لم يكن امـامنا الا أن نطـرق ابواب شركـة النفط. . فلقـد مرت بي تجربـة سابقـة حين التحقت بها في اجـازة العـام الماضي. . وذهبت لـوحدي صبـاح احـد الايـام الى مكتب التـوظيف بعـوالي. . واخبرت الموظف الهنـدي المسئـول بـالمكتب بطلبـي. . والخبرة السابقة. . ولم يطل في الانتظار فقـد اتصل تليفونيا باحد المسئولين الـذى رد عليه بالموافقة وذكر لي انـه لا حاجة لتقديم اي امتحـان. . للوظيفة. . لأنها وظيفة مـؤقتة. وطلب ان احضر لمبـاشرة العمل بعد يـومين. . كما اخبرنى ان دوام العمل سيكـون صباحـا. . وفى مكاتب مكيفة. . وقد كـدت اطير من الفرح ولم اصدق ان احصل على ذلك في اقل من ساعة.

اخبرت الأهل وبعض من اعـرفهم. . عن هذه المقابلـة الفريدة. وقد كـانوا مثلى. . لم يصـدقوا مـا ذكرتـه لهم. وحين سألونى عـن الراتب وكم سيكـون. . اظهرت لهم عـدم اهتمامي بـه. . وبدأت العمل دون انتظـار لأي شيء آخر. وكـان اكثر مـا افرحنـى هو اننى غير مضطر لتغيير مـلابسي المعتادة. والاكتفاء بـالثوب لـوحده. . كما يفعل كثيرون من الموظفين الملتحقين بالعمل.

كان المكان. . هو مكتب شئون الموظفين Personnel Office ويقع فى صالة كبيرة مكتظة بـالمكـاتب والاقسـام. . ويختـص بتوزيـع شـارات العمل. . للمـوظفين والعمال. وكـان يـزاملنى فيــه مـوظـف من العــرب وكـان العمـل سهـلا. . وتنقضـى السـاعــات فى الاحـاديث. . والحكايـات. وفى غضون ايـام قليلة تعـرفت الى طالـب يعمل في مكتب قريب من مكتبنـا. من مدينة المحرق. . وظلت عـلاقتنا متصلة بعد سفـري الى القاهرة هو علي. . الذى اصبح فيها بعـد من رجال الاعمال المعروفين في البحرين. . امـا الراتب فقد كـان مبلغ ١,٧٥ روبية في اليـوم وقد كان مثـل هذا المبلغ مقبولا في تلـك الأيام. . بالنسبة لسني ولطبيعة العمل ذاته.

وحين استعرض ذكرى تلـك الايام في العمل. . يخامرني شعور قوي بـانها كانت اجمل الايـام واسعدهـا. . رغم مـا كان يحيط بنا مـن مصاعب حيـاتيـة. . وظروف اجتماعيـة قـاسية. . واستفـدت كثيرا من تجارب الـذين تسنى لي الاختـلاط بهم فى تلك المكـاتب. فقد كانت الاحاديث معهم. . اكثر من واجبات العمل.

امضيت فى عملي بـالشركـة مـا يقرب مـن شهريـن. . ومع قـرب بدء العـام الـدراسي الجديد. كـان لابد من تـوديع الاصدقـاء الذين تعرفـت اليهم. وشكرهـم على المسـاعدة القيمة التى قدموها.

في خـلال هـذه الفترة.. عنـدمـا يحل المسـاء.. او في بعض الليـالي.. كـانت اولى خطواتي الى مبنى «نادي العـروبة» الذى يقع قريبا من مبنى مـدرستنا.. وفى هذا النادي بدأت مرحلة جديدة.. ليس مكانها فى هذا الفصل على اي حال.

كنت ألتقـي ببعض الطـلاب.. ونتشـاور في شئـوننـا ومـا جـرى لكـل واحـد خـلال الاجازة. قصص وحكايات لو اردت ان انقل تفاصيلها لما وجدت لها من نهاية.

عدنـا للدراسة.. في السنة الثـانيـة الثانويـة.. ولبضعة ايام كنا نتعـرف على بعضنا.. وعلى احوال المدرسـة. وكان اول ما لاحظتـه اختفاء بعض الطـلاب الذين كانـوا معنا في السنـة الأولى.. لم يكن احـد يعـرف الاسبـاب التى حملتهم على ذلـك. من هـؤلاء.. الطـالبـان اليهـوديـان.. ادوارد خضورى ومـوشـى يهودا.. وبعض الطـلاب من اهـالي المحرق. وبعـد ايام من انتظـامنا فى الدراسـة.. زارنا الاستاذ احمد العمـران نائب مـدير المعارف وبصحبته عدد من المدرسين المصريين الذيـن تقرر تعيينهـم في مدرستنا من ضمن بعثة التعليـم المصرية التى استقـدمت مؤخـرا للقيام بهذه المهمـة فى البحرين.. قـدم لنا نائب مـدير المعارف الاستاذ حسن يـوسف.. المعين مديرا للمـدرسة. ومن بين المدرسين اتذكـر الاستاذ محمـد عبدالغني.. والاستـاذ فرغلي... الـذى لاحظنا انه يشكـو بعض «العرج» في احدى رجليـه. وقد تولى الاستاذ عبـدالغنى الذى لم يفارقـه الطربوش الاحمر مادة اللغة العربية.. بينما تولى الاستاذ فرغلي.. مادة الرياضيات.

من الـذكـريـات القـديمـة التى واكبت هـذه الفترة.. اننـى والـزميل الاخ علي راشـد المسقطي.. والزميل الاخ عبدالحميد الشتر. كنـا نحضر عصر كل يوم مذاكرة الدروس في بيت والـد عبـدالحميـد الـواقع قـريبـا من منطقـة سـوق الطـواويش وفى غـرف هـذا البيت.. كنا نقضي سـاعة او ساعتين في جـو مريح وسعـادة غامرة.. ستظل ذكـريات هذه الايام عالقة فى ذهني.. ولن انساها ما حييت.

في سياق ذكـر بعض اسماء المدرسين والطـلاب يجدر بي ان اذكر لمحة مـوجزة عـن عدد من هؤلاء ممن صـاحبتهم او صاحبوني فى هذا الدرب الطـويل.. المليء بالاشواك.. كما هو مليء بـالورود. زمـلاء لازلت احمل لهم المحبة والمودة.. زمـلاء لازالت العـلاقة قـائمة معهم.. وآخرون تـلاشت العلاقة معهم بعـد ان تفرقوا في ذلك الـدرب.. او ان الحياة فرقتهم او غيبتهم.. فاصبحنا جميعا في رحمة الله.

عـدد هـؤلاء كبير.. وكبير جدا.. ولكـن هذا ليس مهماً.. بعضهـم من كـان يـدعى بالحسب والنسب.. وزملاء اصبحـوا ابطالا في الرياضة.. والتجـارة.. والسياسة وشتى

شئون الحيـاة.. رجـال اعمال.. ومثقفـون.. وهـواة فى كـل فن.. ومنهـم المسـاكين والمعدمين الذين لم يتقدموا شبرا واحدا في حياتهم حتى اليـوم.. وهذه مقادير الحياة الدنيا فى كل عصر وزمان.. ليس غرضى من هـذا التمهيد ان انقل سيرة حياتهم.. لكنى هنا فقط أنقل بـدون الذكريـات التى انطبعت فى نفسي عنهم.. وفى اختصار شـديد. وهي ذكريات لا تخفي دلالتها.. كما أراها.

اولهم.. عبدالحميـد عبدعلي العليـوات.. من زملاء الدراسـة في المرحلة الابتـدائية.. كنا نسكن حيا واحـدا.. ومن مواليد السنة التى ولدت فيها.. كنـا نلتقى صباح ومساء كل يـوم تقـريبا جمعتنـا هـوايـة واحدة.. او بـالأحـرى التطلع لتحقيق هـذه الهوايـة وان اختلفنا في الافكـار.. والافعال. كـانت الصـلات به وثيقـة. وخلال دراستنـا فى المدرسة الابتـدائية اقترح هـذا الزميـل علي يومـا تأسيس جمعيـة او نواة نـادى في الـواقع.. يضم شتات ابناء منطقتنـا من الطلاب وأولاد الجيران.. او من يرغب الانضمام اليـه.. خلال اجازة المدرسة الصيفية.. وايام الجمعة.

وقد تحققت بعض الخطـوات على طريق هذه الفكرة. فقد كنـا نجتمع في احدى غرف بيت الـزميل مع اخوتـه.. ومن انضم الينـا من طلاب المدرسـة.. دفع كل واحد مبـالغ زهيدة لتعديل ديكـور الغرفة وتنسيق قطع الاثاث فيها. وبقينـا نحضر.. الى هذا المكان حيث ننهمك في مطـالعة الصحف.. مـن جرائد ومجلات كـانت تصدر في تلك الأيـام.. ويصل بعضها الى البحـرين. اتذكـر من بينها مجلـة «المقتطف» و «الهلال» واللطائف المصـورة.. ومجلات من العـراق.. وسـوريـا. كنـا سعـداء بمطـالعـة هـذه الصحف. ونقضى الساعات الطويلة في مناقشة ما ورد فيها من مقالات.. وموضوعات.

كان من الجائز اننـا لو تمسكنا بمشروع النادى والحماس الـدافق الذى يغمر نفـوسنا ان يتطور الامـر ويتحول المشروع الى نادى بالفعل.. لكن الـرياح سارت بنا.. وبـه الى ما لا نشتهى. ومـرت سنوات طـويلة بعـد افتراقنـا لم التق فيها بـالزميـل.. حتى انتقل الى رحمة ربه.

الـزميل الثاني.. عبـدالحميـد نعمة داغـر.. التقيت بـه فى السنـة الاولى من الدراسـة الثانـوية.. وتـوثقت العلاقـات معه.. عـراقي الجنسية.. وكـان والده يعمـل فى وظيفة كبيرة فى شركة التنقيب عن النفط فى قطر وامارات الساحل المتصـالح المعروفة يومئذ باسم «P.C.L» عرف عن عبدالحميد هذا.. شقاوتـه الزائدة.. ومشاغباته. وكثيرا ما دخل فى معارك مع بقيـة الطلاب لأتفـه الاسباب.. وكان شـديد الاعجاب بنفسـه.. لكنه حين يجد الجد.. يتراجع بسرعـة. عرفت عن عبـدالحميد شغفـه.. او جنونـه بالاغـاني. وكا

يحفظ عن ظهـر قلب كما يقولون أغـاني الموسيقار محمد عبـدالوهاب. . الشـائعة فى ذلك الوقت. . ولطـالما جرجـرنى الى اروقة المدرسة وممـراتها ليسمعنى شيئا ممـا يحفظه ويهواه. كنت الاحـظ ميلـه لي. هل لأننى انـا ايضـا احفظ تلـك الاغـاني التى يـرددهـا. كـان عبدالحميـد يملك صوتـا جميلا. . ولا شك. ومـن الاغنيات المفضلـة التى كان يـرددها كثيرا اغنية قديمة لعبد الوهاب يغلب عليها طابع الحزن. . والشكوى مطلعها:

ايها الـــــــــراقـــــــــدون تحت التراب

جئـــت أبكـــي على هــــــوى الأحبـــــاب

كـــــان لي في الحيـــــاة مـــن ارتجيـــــه

ثـــم ولى والعمــــــر فجـــــر الشبـــــاب

أغنية طويلة. . لم تعد تسمع فى الاذاعة هـذه الأيام. . من الاغنيات الاخرى. . طول عمرى عايش لوحدي. . يا جارة الـوادي. . جفنه علم الغزل. الغريب ان عبدالحميد لم يكن يميل الى الاغاني العـراقية. . لم يكمل عبدالحميد الـدراسة معنا في السنة الثـانية. . وغادر مع عائلتـه الى العراق. . ثم علمت بعد مرور سنوات انـه عمل لبعض الوقت في «مصرف الرافـدين» العـراقي بالـدوحة. . في قطـر. . فى وظيفة محاسب. . وعلمـت انه كـان يـزور البحـرين فى فترات متقطعـة خـلال الثمانينـات. . والتقيت بـــه فى احـدى المناسبات في نادى العروبة (شارع الزبارة) ثم انقطعت اخباره.

ثالث الـزملاء. . عبدالحميد محمـد صالح الشتر. . ولعل القـارىء لاحظ من غير عناء اننى اوردت اسم هذا الـزميل مرات في مكان آخـر. . لقد ربطت بيننا الصـداقة وأواصر المحبة اكثر من اي زميل آخر. . كان زميلا في الابتدائيـة والثانوية. . وفي بعثة القاهرة. . ايام الدراسـة فيها. بل اننا كنا نشغل درجا واحدا في غـرفة الفصل في جميع المدارس التى مررنا بها. عـاش عبدالحميد طيلة سنى حياتـه مرفها ومنعما. . فقد كان وحيـد ابويه. . ومنذ نعـومة اظفاره كـان يميل الى الاشتغال في الاعمال الحرة. . وكـان هذا تفكيره دائما. كـان شديـد الاهتمام بانبـاء الحرب ومـا يدور في سـاحـاتها. . وكان واسع الاطـلاع على الاحوال السائدة في العراق. . بصورة خـاصة. ويحفظ اسماء واحوال العشرات من الوزراء والمسئولين الكبار. . والقادة وغيرهـم فى هذا البلد العربي بصورة تدعو للدهشة.

بعد عودتنا من القاهرة اواخر 1946 افتتح له مكانا صغيرا يبيع فيه الملبوسات وبعض المعروضات.. في سوق المنامة. الا انه لم يتوسع كثيرا في تجارته رغم الامكانيات التي توفرت له.. كان دكانه بمثابة المحطة التي نتوقف فيها كلما قصدنا زيارة السوق.. ولكم حزنت لنبأ وفاته المفاجئة حين سمعت عنها وانا في زيارة.. في لندن صيف عام 1983.

رحم الله عبد الحميد.. فقد كان نعم الزميل الوفي والصديق المخلص لكل من عرفه من طلاب المدرسة.. او غيرهم.

اما رابع المحاميد.. فهو الزميل عبدالحميد عبدالملك الشهابي.. من اصغر زملاء الدراسة سنا في الثانوية.. طالب من المحرق.. ذكي.. نقي.. تقي.. كان خجولا دائما في علاقته مع الطلاب.. لا يتكلم الا همسا. كنت الاحظ معاناته من مشكلة هي تحاشيه من الاحتكاك ببقية الطلاب.. وكان يجهد نفسه في ذلك. ويلفه بعض الغموض في حركاته.. لم يوفق عبدالحميد في السفر معنا الى القاهرة. اذ انه قرر قطع دراسته لاسباب كان يراها.. وسافر الى الولايات المتحدة الامريكية.. وهو لا يزال في سن مبكرة للدراسة والعمل اذا تيسر له ذلك.. وكان واثقا من انه سيكون قادرا على خوض هذه المغامرة والسير في هذا الطريق.


■ عبدالحميد عبد الملك الشهابي

بقي عبدالحميد في امريكا ردحا من الزمن.. اكتسب فيه الخبرة والمعرفة في ادارة الاعمال.. والتحق بإحدى الشركات لدى عودته لكنه بقي على خجله المعهود.. ثم ما لبث ان ترك العمل وغادر البحرين مرة اخرى.. الى الولايات المتحدة.. وربما الى غيرها من البلاد. وكنا نتبادل الرسائل خلال السنوات الاولى.. عندما كنت في القاهرة وكان يزور البحرين بين فترة.. واخرى.. ثم يعود مرة اخرى الى الخارج، وظل هذا دأبه دائما. وآخر ما عرفته عنه انه استقر في عمل خاص به في دولة الامارات العربية المتحدة.. في ابوظبي. ولكن الرسائل بيننا انقطعت تماما.

ما ان انتصف العام الدراسي حتى لاحظنا وجود خلل ما او ما يشبه التدهور في سير

حركـة التعليم بالمدرسـة. ولم نكن في وضع يمكننا من اكتشـاف اسبابه. . او نتـائجه. . لكن الشيء الـواضح كـان يتمثل في نقـص عدد المدرسين. . كـان مـوعـد الامتحانـات السنوية يقترب سريعا. وكان المدرسون والطـلاب يتناقلون اشاعات واقاويل لا حصر لها عن مستقبل الـدراسة في المدرسة. . منها ان فصـول التدريس (الصفـوف) في المدرسة لن تتسع لقبول الاعداد القادمة من طـلاب المدارس المنقولين للدراسة في مبنى المدرسة. . اذا لم تبادر دائرة المعارف فى توسعه الفصول. . استعدادا للعـام القادم. . واشاعة ثانية تقول ان السبب هـو اختـلاف المنـاهـج المطبقـة. . عن المنـاهج المصريـة. الى غير ذلـك من الاقـاويل. . هـذا الى جـانب النقص الحاصل فى عـدد المدرسين المكلفين في المدرسـة. . وأياً كـانت الاسباب فـان المهم اننا دخلنـا الامتحانات وادينـاها. . ونجحنـا والحمد لله. وبتنا نتقـرب حلول موعـد الاجازة الصيفية. فى صبـاح احد الايـام حضر الاستاذ حسن يوسف. . مديـر المدرسة وابلغنا ان الاجازة الصيفية هذا العـام ستكون اقصر. خلافا لما جرت عليـه العادة كل سنـة نظرا لبعض الاعتبارات التـى رأتها دائرة المعارف. . دون ان يفصح او يشرح لنا تلك الاعتبارات. . كان المدير. . يردد لنـا انه ـ شخصيا ـ لا يعرف هذه الاعتبارات.

في يوم اخـر. . طلب الاستاذ حسن من جميع طلبـة الفصول الثلاثـة التواجد فى غـرفة صفنا (الاكبر من بين الفصـول) وذلك لابلاغهم بخبر هام. وقبل مـوعد الانصراف ظهر ذلك اليـوم. حضر الاستاذ حسـن واخبرنا ان حكـومة البحـرين تعتـزم ابتعاث عـدد من الطلاب في المرحلـة الثانوية. . لاستكمال دراستهم فى معـاهد القاهرة. وذكـر ان الاستاذ العمران. . نـائب مدير المعارف يجرى الاتصـالات اللازمة مع السلطات المصريـة. . وانه سيقوم بأبـلاغنا في وقت قريب بجميع التفصيـلات. . لكنه ـ اي المديـر ـ لا يستطيع ان يحدد العدد المطلـوب لطلاب البعثـة. . ولا الاشتراطات التـى ستقررهـا الحكومـة. وقال الاستـاذ حسن ان مـا يـدفع الحكـومة للشروع في هـذه الخطـوة. . رغبتهـا الجادة فى رفع مستوى التعليم فى البحـرين. وانها وضعت تحقيقا لهذه الـرغبة مشروعـا كبيرا سيعلن عنه في الأيام القادمة.

كان من المعروف. . ان الحكومة قـد بعثت خلال هذه السنة ببعض الطلاب والمدرسين لتأهيلهم في معاهـد القاهرة. وانهم فيها منـذ غادروا البحرين في مطلع السنـة. كان من بينهم هؤلاء الطـلاب ثلاثة من طـلاب السنة الثالثـة في مدرستنا. . ثم سمعنـا بعد ذلك ان عـدد اولئك هم تسعة اشخـاص. . وليس ثـلاثة كما كنـا نظن. وترامت الى اسماعنـا شائعة جـديدة تقول ان الحكومة سترسل عـددا من طلاب الثانوية الى مـدينة «كراتشى»

بالهند لدراسة هندسة اللاسلكي. . لكن الايام تصرمت دون ان تتحقق هذه الاشاعة.

عصر احد الايام جمعتنا جلسة مع مدير المدرسة وبعض المدرسين لطرح الاسئلة. والاستفسارات عن شئون البعثة والخطوات ومعرفة اسماء المرشحين لها. . والشروط. . وما تتطلبه من نفقات واستفسر بعض الطلاب عن الاحوال في مصر. وموضوعات عديدة. . ورد الاستاذ على بعض الاسئلة الموجهة. . لكنهم لم يردوا على اسئلة كثيرة تقدمنا بها. مما جعلنا نضرب اخماسا في اسداس ونعيش ساعات من الحيرة والاستغراب عن كل ما سمعناه منهم.

في اليوم التالي. . اغلقت المدرسة ابوابها. . وتفرق الطلاب. وراح كل واحد منا يحدث نفسه قبل ان يحدث الاخرين. ومن منا سيكون سعيد الحظ. . ويقبل فى البعثة المقترحة.

اسرعت وابلغت والدي ـ رحمه الله ـ بالخبر وظهر لي انه يعرف عنه قبلي. لكنه ـ كما قال ـ لم يشأ ان يفاجئني لعدم وثوقه من بعض الملاحظات. لكنه اكد لي بانه سيكون اول الموافقين والمؤيدين لسفرى اذا ما تم اختياري في البعثة. كنت متيقنا من ان الوالد سيكون اول من يؤيدني برغم ما يعانيه كرب اسرة في حياتنا المعيشية القاسية. فلقد كان طول حياته يؤيد العلم واصحابه. واوقف حياته كلها في السير في هذا الطريق. كما انه اكد لي بانه سيبذل الغالي والرخيص. . لتحقيق هذه الامنية العزيزة الغالية.

بدأنا الاجازة. . ولم يكن في نيتي العمل خلالها كما حدث فى العامين السابقين لعلمي بان هذه الاجازة قصيرة جدا كما ابلغنا مدير المدرسة. وخلال هذا الوقت كان الوالد ـ رحمة الله عليه ـ يوالى اتصالاته مع عدد من اولياء امور الطلاب بالمسئولين في دائرة المعارف. . وبيت المستشار (دار الحكومة) للوقوف على اخر الاخبار عن ارسال البعثة.

كان موقف والدتى ـ رحمة الله عليها ـ وبعض الأهل. . والاصدقاء يشوبه شيء من الاعتراض على السفر. وكانوا يقولون في مجالسهم وندواتهم ان السفر الى بلاد بعيدة. . مثل مصر. ليس بالأمر الهين لاطفال صغار في مثل اعمارنا. . فهم لا يعرفون شيئا عن احوال المعيشة فيها. . كانوا متأثرين بما تحمله انباء الصحف والمجلات التى تصل البحرين. . وما يشاهدونه من حكايات وقصص في الافلام السينمائية التى بدأت تعرض على الشاشة. في دور السينما. . لم يكن معظمهم يفرقون ما يدور فى مثل هذه الافلام وما يجرى على ساحة الحياة العملية!

أمضينا أوقاتا جميلة. . زيارات متبادلة. . ورحلات الى المزارع والبساتين. . وتنظيم رحلات نبيت فيها احيانا خارج البيت. كان يحضر معنا في بعض هذه الرحلات. .

مطربـون وفنانـون اخرون. اتذكـر من بينهم المطـرب الشعبي المعروف. . محمـد زويد. كانت الاجرة التى يتقاضـاها لا تزيد عن روبيات قليلة يدفعهـا المشتركون في الرحلة عن طيب خاطـر. . كان لا يمر اسبوع الا ونشترك في رحلـة جديدة. . وذهبنا مـرة او مرتين في رحلات بحـرية. . في هذه الاجـازة كثفت من زياراتي وتـرددي على نادي العـروبة. . وكـان يصحبنـي فيهـا عـدد من الاخـوان والـزمـلاء. امثـال علي راشـد. . ومحمـد علي المسقطي. . وعلوي السيـد خلف. . كما كان يحضر الى النـادي. . ابناء واقربـاء اعضاء النادي. . ممن كـانوا في مثل اعمارنا. . نقضى بعض الساعـات في الاطلاع على الصحف والمجلات او نزاول بعض الالعاب الخفيفة الموجودة مثل الدامنه. . والكيرم.

كما كنا في ليالي كثيرة بعد انتهاء زياراتنـا الى النادي. . نقوم بجولات الى مناطق متعددة من المنـامـة. . يـوم ان لم يكن اي منـا يحلم ان يتجـول في سيـارة فضلا عـن ان يمتلك سيارة. . منـاطق مثل الجفير. . وام الحصم والحورة. . وجسر المحرق. ومنـاطق بعيدة. . حتى عين عذاري. وسوق الخميس. . وغيرها. اما فى وقتنـا الراهن فهذه وغيرها لا يكاد الانسان يصل اليها او يـراها. . الا عندما يكون في سيارة. تغيرت معـالم هذه المناطق. . وامتـد التقـدم العمـراني الى كل زاوية مـن زوايـاهـا. . حتـى بـات اهـاليهـا انفسهم ينكرونها. . ولا يتذكرون شيئا منها بعد ان تغير فيها كل شيء.

انها الايام!



,, وقبل ان تنقضى الاجازة الصيفية باسابيع قليلة.. تسلم اولياء امور الطلاب رسالة رسمية صادرة من ادارة مستشار حكومة البحرين تبلغهم فيها بموافقة الحكومة على سفر طلاب المدرسة الى مصر. وقد جاءت على الوجه التالي: ،،

ادارة مستشار حكومة البحرين
رقم E 2 ـ 1964/1372
26 شعبان 1964 هجرية

القسم الداخلي في القاهرة

نفيدكم انه من المأمول ان يؤسس قسم داخلي بالقاهرة لكي يسكن به التلاميذ البحرينيون الذين يكملون دراستهم الثانوية في مصر.. تحت اشراف ملاحظ خاص يعين لذلك.. ان تأسيس هذا القسم الداخلي يعتمد على اساسين:
1ـ فيما اذا يمكن الحصول على محل مناسب بالقاهرة.
2ـ فيما اذا يمكن للسلطات المصرية قبول هؤلاء التلاميذ.

وبما ان التكاليف التي ستتحملها حكومة البحرين باهظة فانه يرجى من آبائهم الذين تمكنهم حالتهم المالية ان يساهموا بدفع مبلغ سنوي قدره 683 روبية.. وذلك ما يعادل 50 جنيها مصريا تقريبا.. وهذا هو المبلغ المقدر لمصروف الألبسة ومصاريف الجيب السنوية. وعندما نرتب هذه المسألة نهائيا سوف لا يسمح للتلاميذ بالسفر ما لم يكونوا مزودين بما يأتي، علاوة على البستهم الخاصة.
1ـ زوجين من اغطية الفراش. 2ـ برنوصين (كمبلين). 3ـ وسادة واحدة. 4ـ ثوبين للوسادة. 5ـ قاط (بذلة افرنجية متوسطة الثقل). 6ـ زوجين من الاحذية (جوتى). 7ـ ستة ازواج من الجرابات (دلاغات) 8ـ أربعة قمصان. 9ـ زنجفرات.

ان هذه الاشياء يجب ان تعتبر اقل حد ممكن بما هو ضروري من الالبسة.
ربما يستقيم التلاميذ فى مصر من سنتين الى ثلاث سنوات اواربع سنوات. وهذا بالنسبة لمؤهلاتهم الثقافية والاجتهاد الذى يبذلونه في دراستهم. اما من خصوصي اجور السفر للرجوع الى البحرين اثناء هذه المدة فسوف لا تدفعها الحكومة. ويرسل هؤلاء التلاميذ الى مصر لكي يتعلموا على شرط ان يدخلوا فى خدمة الحكومة لمدة لا تقل عن المدة التى قضوها في مصر للتعليم.
هذا ما لزم.. ودمتم.

(توقيع)
تشارلس دريمبل بلجريف
مستشار حكومة البحرين

وفي اعلى زاوية الرسالة من جهة اليسار كتب عليها بخط اليد الملاحظة التالية:

اشارة لمحادثتكم مع مدير المعارف فقد اسقطت الحكومة عنكم دفع هذا المبلغ المذكور أدناه.

وبوصول هذه الرسالة.. اصبح الحلم حقيقة.. طلبت من والدى ان يعطيني هذه الرسالة للاحتفاظ بها ضمن اوراقي. ولم يمانع وكدت اطير من الفرح.. وانا اعيد قراءتها مرات ومرات.. لكنها اثارت بعض الاسئلة والملاحظات.. التى ظللنا لفترة لا نعرف ردا عليها.. من ذلك مثلا.. من هم اولياء الامور الذين ارسلت اليهم. حتى نعرف بالتالي اسماء الطلاب الذين تم اختيارهم.. وعددهم. الامر الثاني.. ان ما من احد منا كان يقدر ابدا.. ان تمتد فترة الدراسة الى ثلاث او اربع سنوات.. الامر الثالث ان موضوع البعثة قد جاء مباشرة من مستشار الحكومة.. وهو اعلى سلطة من مدير المعارف.. وهذا اكبر دليل على جدية الحكومة في الموضوع. اما موضوع التكاليف.. فقد جاءت ملاحظة الاعفاء في الرسالة كافية لازاحة مثل هذا الهم الثقيل عن صدورنا.. لم يكن مثل المبلغ المطلوب هينا.. هذا المبلغ يمثل اكثر من راتب خمسة شهور من راتب والدي ـ رحمة الله عليه ـ في تلك الفترة.. كما اخبرني. ولنا ان نتصور هذا التكليف هذه الايام.

بعد أيام من وصول رسالة الحكومة.. طلب بعض آباء الطلاب من دائرة المعارف عقد اجتماع لشرح وجهة نظر المسئولين في كل ما يتعلق بشئون البعثة. وبالفعل عقد اجتماع بمقر القسم الداخلي حضره سمو الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة (وزير المعارف) والاستاذ احمد العمران (نائب مدير المعارف) والسيد محمود احمد العلوى (مدير ادارة المالية) نيابة عن مستشار الحكومة. كما حضر الاجتماع ايضا الاستاذ نايرـ. مدير القسم الداخلي.. لكن لم يحضره احد من آباء الطلبة.. في هذا الاجتماع.. الذى كان عبارة عن حفلة شاى. شرح الاستاذ العمران الهدف من عقده. وقال ان الحكومة تعتزم رفع مستوى التعليم في البلاد وذلك من خلال انشاء مدرسة حديثة واستقدام عدد اكبر من المدرسين.. المعارين من مصر. والمتخصصين في مختلف فروع التعليم.. الا انه اشار الى مثل هذه الخطوات تستغرق وقتا طويلا.. فقد رأت الحكومة ارسال مجموعة من طلبة المدرسة الحاليين لمواصلة تأهيلهم في المدارس المصرية.. في الوقت الذى ربما تتأخر فيه تلك الخطوات. ودعى الطلاب الذين تم اختيارهم في البعثة الى التحلي بالاخلاق الفاضلة. وتحقيق الامال التى يعلقها عليهم آباءهم والمسئولون في البلاد. ومحافظتهم على السمعة الطيبة وتحقيق افضل النتائج بعد اكمال الدراسة وعودتهم الى

البحرين.
اما السيد محمود العلوي فقد تحدث عن الشئون المالية. . والالتزام بالشروط التى وضعتها الحكومة. وابلغ الحاضرين بانه سيرسل كشفا باسماء الطلاب الذين تم قبولهم في البعثة. وان اولياء الامور او آباء الطلاب سيبلغون قريبا بموعد السفر. ثم بعد قليل من هذه الكلمات غادر الشيخ عبدالله ومن كان معه من مرافقين. وبقى الطلاب يناقشون ما طرح من ملاحظات ومعلومات. كان من بينها استخراج جوازات السفر حيث ذهبنا في اليوم التالي الى دائرة الجوازات وابلغنا بالتوجه الى محل يقوم باعداد الصور الخاصة بجوازات السفر. وهو دكان صغير يقع الى الجنوب من مبنى بلدية المنامة. . صاحبه. . احمد الماضي. . وهو من اقدم من زاولوا مهنة التصوير فى البحرين. . وبعد ان تسلمنا الصور من هذا المحل عدنا مرة ثانية الى دائرة الجوازات. . حيث تسلمنا من مديرها يومئذ المرحوم كاظم سلمان العصفور الجواز الجديد. . لم ندفع اي رسوم. فقد ابلغنا هذا المدير بان الحكومة قد اصرت ان تصدر جوازات سفر جميع طلاب البعثة «مجانا» وقد لاحظنا فعلا وجود ختم رسمي عليها يحمل كلمة «مجانا».

رقم جواز السفر. . 663 وهو يحمل تاريخا واضحا هو 17 من اكتوبر 1945.

فرحنا كثيرا لحصولنا على جوازات السفر. . فى تلك السنين يعتبر امتلاك جواز سفر شخصى مكسبا كبيرا لحامله. لدرجة ان بعض الناس كانوا يتباهون بامتلاكهم له.

في نفس الأسبوع. . ذهبنا الى مستشفى الحكومة بالنعيم لاجراء فحص طبي كما طلب منا. وقابلنا اول ما وصلنا الدكتور سنو. . مدير الخدمات الطبية. . يداخلنا شعور بالرهبة والخوف من مقابلته. لان كثيرا من الناس في ذلك الوقت كانوا يتهيبون من هذا الطبيب الانجليزي الذى عرف عنه صلفه وكبرياؤه غير المحدودين. كان الناس يتناقلون عنه قصصا غاية في الغرابة كأنما هو الشيطان الرجيم نفسه اذا ورد اسمه البغيض في احاديثهم ومجالسهم.

تمت اجراءات الفحص ولم تكن بالصعوبة التى تعودناها. . واعطى كل طالب ورقة بيضاء كتبت باللغة الانجليزية تظهر خلونا من الامراض السارية. . الطريف ان هذه «الشهادة» كانت مثار استغراب رجال الجمارك والسلطات الصحية في القاهرة. . عندما وصلناها. ولم نعرف السبب. ولعلهم كانوا يطلعون على هذه الشهادات لأول مرة.

في بيتنا. . كما هو الحال بالتأكيد في بيوت بقية طلاب البعثة. كانت شنطة السفر التى اشتريناها تتكدس في كل يوم بها نضيفة من ملبوسات واغراض. . لا أول ولا خر لها. غير متقيدين بتلك «القائمة» العجيبة التى تضمنتها رسالة المستشار. فبدل «القاط»

قاطين. . وبـدل «الستة» درزن. . وهكذا. وكان كـل منا يخفي عن الاخر مـا يشتريه او يحصل عليه مـن اغراض. كل طالب يعتبر هـذه الاشياء سرا من الاسرار الخاصـة به ولا يجوز الافصاح عنها. اما النقود. . فهى اكثر مـن سر. ويعلم الله ان مجموع ما توفر لدي منها رغم المساعدات والعون من الاقـارب والاصدقاء لم يزد على مبلغ مائة جنيه مصري. اما بقية الزملاء فقد سمعت ان «بعضهم» قد حضر معه منها مئات.

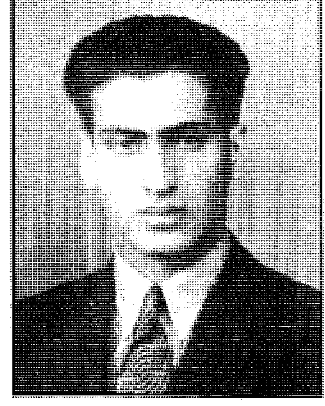
وهذا ليس بغـريب فقد كانت حالـة كل طالب تختلف عن الاخـر. في هذا الصدد لا انسى ابدا. . المساعـدة الكبيرة التى اسداها لي وللزميل علي راشـد. . الاخوان الكرام. . صالـح. . وحسن وحسين المسقطى. . فقد كـانوا جميعـا على الدوام يقـدمون لنـا النصح والارشادات. شـاكرين لهم كل عـون ومساعدة بـذلوهـا قبل سفرنا. . وطيلـة المدة التى امضينـاها فى القـاهرة خـلال الدراسـة. وكانت رسـائلهم ومـلاحظاتهم ونحن هنـاك. . تصلنا متضمنة الارشادات والتوجيه وتذليل الصعوبات التى تصادفنا.

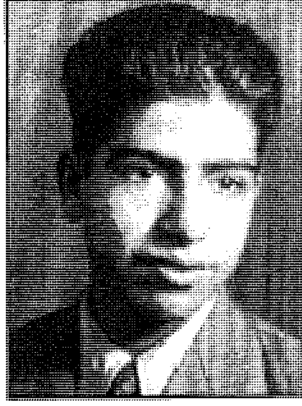
حين استعرض الأسماء المذكورة يبـدو واضحا ان اختيارهم لم يأت وفق خطـة معلومة. فالعـدد هو 16 طالبـا. . ثمانية من طـلاب المنامـة. . وثمانية من المحـرق. . والحد ومن الصفوف الثـلاثة بـالمدرسة. لم تـؤخذ رغبـات الطلاب انفسهـم واغلب الظن ان موافقـة الوالد أو ولي الأمـر او استعداده لدفع التكاليـف المطلوبة كان هـو الاساس في الاختيار. وهـذا ما يمكـن ان يعول عليـه فى هـذا الصـدد. قد تكـون هنـاك بعض الامـور. . او الاعتبارات التى خفيت علينا. . حتى الآن.

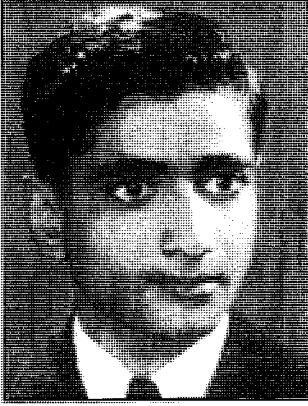
لكن الاحـداث التى وقعت خـلال بقاء البعثـة فى القاهـرة ثم عـودتها غير المرتقبة قـد كشف عن بعض الأسباب.

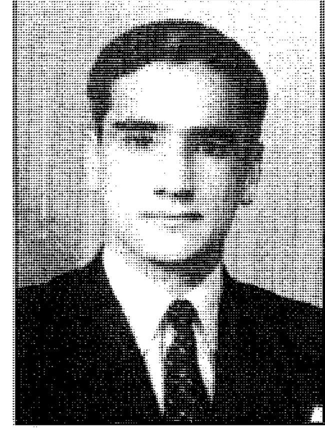
اصبح موضوع السفر شغلنا الشاغل. كنـا نحسب الايام بل الساعات التى تمر. ننتظر اليوم الموعـود. ونمنى انفسنا بقضـاء اسعد الاوقات فى بـلاد الكنانة. . مصر المحـروسة. وبحر النيل. . وأم الدنيا. كنا نتمثل فيها بيننـا بالقول المعروف اجمل الأيام. تلك التى لم تأت بعــد. كل من نلتقـى بـه من طـلاب المدارس الاخـرى. . واحــد اصدقـائنـا فى الطـريق. . وابنـاء الجيران ومن نعرفهـم. . او لا نعرفهـم. . الجميع يتسـاءل عن شكل الحيـاة فى القـاهــرة. كـان البعض لا يتـورع ان يطلـق ابشع العبـارات وشتـى النعـوت والاوصاف. . كنا نعلم ان كثيرا من الناس متأثـر بما يشاهده من افلام السينما. . ويعتقد ان هـذه السلوكيـات هى عادة النـاس فى حياتهم. لكـن بعضهم ـ والشهـادة لله ـ كـان يتحرى الصدق والامانة في اقواله. . وأرائه.

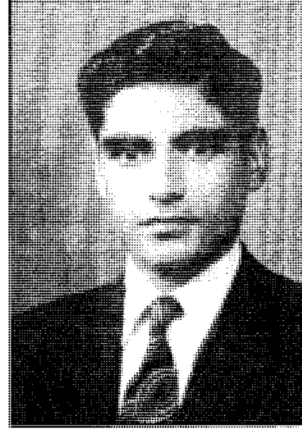
كنت احـرص ما وسعنى من جهـد الحصول على بعض الصحف المصـورة. . ونحاول

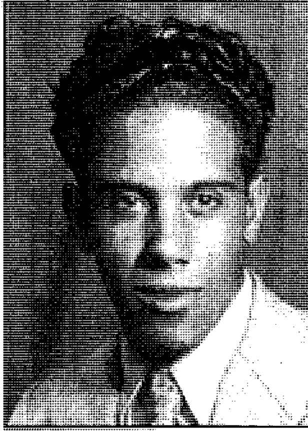

■ عبدالحميد محمد الشتر


■ خليل ابراهيم المطوع


■ د. ابراهيم يعقوب


■ عبدالله جاسم الشكر


■ محمد يوسف المعتز


■ جاسم عبدالله القايز

من خلالها . . الـرد على ما يوجـه الينا من استفسارات. كنـا نذكر لبعض الاصـدقاء ان ما يجرى فى مصر لا يمكن ان نطابقه بما يجرى في البحرين.

لا انسى كذلك . . المساعـدة الكريمة التى قدمها جدى الحاج مـاجد المسقطى ـ رحمة الله عليه ـ خـلال المدة التى كنا نقيم فيها في القـاهرة. فقد كان يبعث ضمـن رسائله في كل مرة بورقة من فئة خمسة جنيهات مصريـة . . مساعدة منه لتحمل اعباء الحياة القاسية في «بلاد الغـربة» التى يحلو لـه ان يرددها دائما . . هـذه الجنيهات الخمسة كـانت عظيمة القيمة في تلك الايام.

كان الحاج ماجد . . من اشد المعارضين لسفـرى الى القاهرة اول الأمر . . ولكن موقفه تغير بعد ذلك. واليـوم لا ادري ماذا سيكـون موقفه لـو امتد به العمـر . . ليرى احفاده

وحفيداته وقد عادوا من بلاد الغربة. . اطباء ومهندسين وقانونيين ومحاسبين. . لا انسى حنوه وعطفة الدائمين. لقد كان ـــ يرحمه الله ـــ من اشد المدافعين في حملة الافتراءات الكاذبة التى انطلقت ضد طلاب البعثة. . بعد عودتهم الى البحرين.

ذات يوم. . وقبل سفرنا بأيام حصلت على كشف مفصل بأسماء كامل اعضاء بعثة الطلاب الذين اختيروا بصفة رسمية. . وكان هذا الكشف على الوجه التالي:

طلاب الصف الثالث

1- سلمان خليل ابراهيم كانو	المنامة
2- محمد يوسف المحمود «المعتز»	المنامة
3- عبدالرحمن قاسم الشيراوي	المحرق

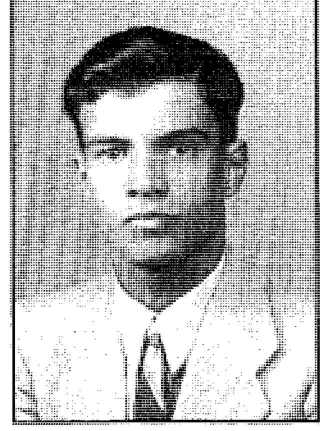
طلاب الصف الثاني

4- خليل ابراهيم المطوع	المنامة
5- حسن علي المدنى	المنامة
6-عبدالرحيم علي	الحد
7-عبدالرحمن جاسم كانو	المنامة
8-عبدالحميد محمد صالح الشتر	المنامة
9-عبدالحسين جعفر «المنديل»	المنامة
10-علي راشد المسقطي	المنامة
11- عبدالله جاسم الشكر	المحرق

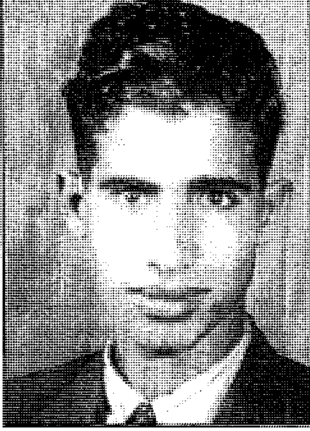
طلاب الصف الأول

12- ابراهيم يعقوب السعد	المحرق
13- ابراهيم محمد يوسف بوحجي	المحرق
14-جاسم عبدالله الفائز	المحرق
15- خليفة احمد المقرن	المحرق
16-حسن عبدالله المنصوري	المحرق

ومن خلال ما كان يدور بيننا من جدل. . حرصنا ان نبين لأولئك الرافضين. .


■ ابراهيم محمد بوحجي


■ عبدالرحيم علي


■ حسين جعفر منديل

والمتشائمين والحانقين.. وغيرهم ان مصر بلاد عربية.. متقدمة.. حباها الله بالنعيم والخيرات.. واجرى فيها نهر النيل الخالد.. فيها الاهرامات العظيمة التى بناها قدماء المصريين وهي احدى عجائب الدنيا السبع... في القاهرة.. الجامع الازهر الشريف ودور العبادة.. والآثار القديمة.. والجامعات الحديثة.. ومنارات العلم مما لا يوجد فى بلد غيرها، هواؤها عليل.. وظلها ظليل..

مصر.. حيث العلوم.. والفنون.. والاداب.. والتاريخ العريق.. المسارح.. والمكتبات.. والمتاحف.. والحدائق.. كم نبغ فيها من الشعراء.. والكتاب.. ورجال الفكر.. والمؤرخين وفقهاء الدين.. ونجوم الرياضة.. والسينما.. والموسيقى..الخ بعض الخبثاء كان يشير الى «الرسالة» التى بعث بها عمرو بن العاص.. الى الخليفة عمر بن الخطاب عندما كتب اليه يسأله فيها ان يصف له مصر.. عندما عينه واليا عليها.

بعض الشباب الواعى.. كان لا يخفى اعجابه بمظاهر الحياة الحديثة في مصر.. ويمني النفس بزيارة هذا البلد العظيم.. لولا الظروف.. والامكانيات التى تحول بينه وبين تحقيق هذه الامنية الغالية.

في احاديثنا مع الزملاء.. وأحيانا مع بعض الرجال الذين نلتقى بهم في المقاهى والاماكن الاخرى التى نتردد عليها، كانت الاحاديث تدور عن الاحوال عن مصر.. وحقيقة العلاقات بين مصر والبحرين. حتى ذلك الوقت لم تكن العلاقة القائمة بين البلدين كما نعرفها هذه الايام. لم يكن احد يزور القاهرة.. الا نادرا. ولا يرد منها الى

البحـرين شيء يعتد بـه من تجارة او سـواها. كـانوا يقـولـون.. لا شيء غير الكتب.. والمجلات.. واخيرا افلام السينما.. التى تفسد اخلاق الناشئة.. وتغير سلوكياتهم.

المشكلة الكبرى أننا كنـا في سن لا يتيح لنا مقارعة الفكرة بـالفكرة.. كان الخوض فى هـذه القضـايـا.. والاحاديـث يثير غضب الكثيرين.. بعضهـم اقـارب.. واصـدقـاء. وبعضهـم لا تربطنا به اي رابطة.. لكن هؤلاء جميعـا كان لا يخفي اعجابه واستغرابه من جرأتنـا فى التصدي لمثل هذه الاحـاديث.. وتكذيب الـدعايات.. التى روجتهـا القوى الاجنبيـة.. المسيطـرة فى كـل مكـان. والتى كـانت تنشر او تـذيع.. ان مصر. بلـد أجنبي. وليس كما نؤمن ونعتقد.. بلد عربي شقيق.

نصحنـا بعض الاصـدقاء بعـدم التمادي فى اثـارة مثل هذه الاحـاديث. والالتفـات الى المهمـة التى سنسـافـر من اجلهـا.. والحرص على الجد والاجتهـاد في الـدروس. فهـذا اجدى وانفع لما ينتظرنا من مستقبل.. ولبلدنـا كذلك.. ووعدناهم بحسن الظن وان لا نقوم بشيء ما يغضبهم او لا يرضون عنه.

تتسـارع الأيـام ويقترب موعـد السفـر.. وفى غضـون ذلك كنت والاخ علي راشـد.. نتردد علي زيارة نـادي العروبـة. ونوثق عـلاقتنا اكثـر واكثر مع بعـض اعضائه.. ونـزيد معوماتنا ممـا نسمعه منهم من حكم.. وافكار. ومعلومات عامة.. كـانت لنا في الواقع خير معين ونبراس نهتدى به ونحن نشق طريقنا الطويل فى هذه الحياة.

تحدد يوم الاربعـاء.. 25 من ذى القعـدة عام 1364 الهجرى.. يـوافقه.. 31 من اكتوبر عام 1945 الميلادي موعـد للسفر. وطلب من افراد البعثة المقيـدة اسماؤهم لدى ادارة القسم الداخلي الحضور مع امتعتهم الشخصية.. وجـواز السفر وغيرها.. بساعتين قبل ظهر ذلك اليوم. ولم يسمح لاحد من غير الطلاب الحضور معهم الى ادارة القسم.

في صبـاح ذلك اليوم.. لم يكـن في بيتنا سـوى والـدتى واختى الصغيرة غـالية.. امـا والدى.. واخى صلاح واختى نعيمة.. فقد ذهبـوا الى مدارسهـم.. كالعادة.. لذلك لم يكن بـامكاني.. او امكـانهم توديعي قبـل السفر. كـانت امي تحمل على ذراعيهـا اختى الصغيرة.. غاليـة.. تذرف بعض الـدمعات وهى تتردد بعض الـدعوات بـان يحفظنا الله في هـذه السفـرة.. وان يوفقنـا في اداءة المهمـة.. وان يعيـدنا سـالمين غـانمين الى ارض الوطن. انني مـا حييت ـ لا انسى هذه اللحظـات المؤثرة. انتابنى شعور جـارف امتزج فيه الحزن والفـرح. وانا اغادر بـاب البيت.. وفي الطريق انضـم الي الاخ علي راشد..

ولا اتذكـر كيف وصلنا الى القسم الداخلي. . ونحن نحمل امتعتنـا الثقيلة. . لم تكن ثقيلـة فى الواقع لكـن هذا مـا كان يخيل الينـا. . كـان الامر يـزداد صعوبـة كلما خطونـا خطــوة. مفــارقــة الاهل. . والجيران. . والاصــدقــاء. . والارض. قلـق. . وافكـــار متضاربة. . وهواجس.

كنـا نسير فى الطـريق. . وانظـار بعض النـاس الذيـن نلتقى بهم. . تـلاحقنا احيـانـا بالتحية. . واحيانا بالتعليق الذى يجاوز حدود الادب. . المتعارف عليه.

اكتمل حضـور الطـلاب الى القسم الـداخلي. ووقف بعـض اهـاليهم او أصـدقـائهم يودعـونهم بالقبلات والدعـوات الخالصة امام البـاب الرئيسي. وفى داخل الصالـة تجمعنا قـرب الشنط والامتعة التى جهـزنـاها معنـا. وحضر بعض المدرسين الذيـن لا اتذكـرهم يحدثوننا عن الطـائرة التى ستنقلنا الى القاهرة. . وعن شكلها ومـواصفاتها. . قال بعضهم انها ستكون طـائرة عسكريـة لنقل الجنـود. وهى من الطائرات البحـرية التـابعة لسـلاح الاسطول البحـري البريطاني. . كنا في اشـد الدهشة والاستغراب ونحـن نستمع الى هذه الاخبار التى لم يكـن لدينا ادنى فكـرة عنها. كان كـل طالب يقول ان هـذه اول مرة في حياتـه. . يسافـر فيها. . او ان يغـادر البحرين. . لكننا جميعـا كنا فى فـرحة غـامرة. . لشعورنا باننا مقدمين على بدء هذه المغامرة.

حضر الاستاذ نـاير. . مـدير القسم الـداخلي واخبرنا بـان الطائرة. . هى فعـلا طائرة بحـرية. . لا تهبـط فى المطارات. . بـل تطير من مكـان رسوهـا داخل البحـر. . وتعـود وتهبط فى مكان مثله في بحـر آخر. وقال الاستاذ نـاير ان الطائرة تسمى Flying Boat من طراز «Sunderl and» وطمأننـا. . وانه لا داعى للخـوف مطلقـا من ركوبها. كـان بعض الطلاب قد أبدى مخاوفة واضطرابه.

غادرنا القسم. . في سيـارتين او ثلاث. . اوصلتنا الى مبنى سكنى جديـد. . يقع قريبا من موقع فندق «عمـرالخيام» الكائن بمنطقة القضيبية» وبعد استراحـة قصيرة. . قدم لنا العاملـون هناك. . بعض الشـاي والكيك وكان المكان يعـج بالضباط الانجليـز. . وعدد من الهنـود. . الذين نشـاهدهم لأول مـرة. . وخلال هـذه الاستراحة لاحظنـا ان العمال بدأوا ينقلـون امتعتنا وبعض الحقـائب والاغراض الاخرى. . حتى لم يبـق منها شىء في المكان الـذى جلسنا فيـه. سرنا فى طريق مـن امام المبنى. . كان اشبـه ما يكـون بالجسر داخل البحـر. . حيث مبنى المطـار البحري. . وفعـلا وجدنـا هناك يـافطة كتب عليهـا «مطار البحـرين البحري». . كانت تقـف على ارصفة المطار بعض اللنشـات. . احدى

اللنشات كانـت ترفع على صاريتها علم البحـرين الاحمر. هي التى نزلنا فيهـا ونقلتنا الى حيث تجثم الطائرة على مسافة قصيرة.

في هـذه الاثنـاء حـانـت من احـد العـاملين في المطـار. . التفـاتــه. . فنـاولني شطيرة «ساندوتش» كانت في يـده تناولتها منه شاكرا. وشاركني فيها بعـض الزملاء. كان منظر الطلاب متجمعين فى هـذا الجانب من المطار مثـار استغراب بعض الضبـاط الانجليز. . الذين راح بعضهم يمطـروننا بأسئلتهم عن الجهة التى سنتـوجه اليها في هذه الـرحلة. . وكنا نـرد عليهم باننا لا نعـرف. بقينا في اللنش ريثما حضر ضابط انجليـزي. . واصدر اوامره بتحـركها الى جهـة الطائرة التى بـدت لنا ونحن نقترب منهـا ضخمة عمـلاقة. . كان بابها مفتوحا. . وفي لحظات بدأنـا ندخل اليها. وكنت اول الداخلين. وعندما أغلق بـاب الطـائرة لاحظنا اننـا لم نكـن الوحيـديـن داخلها. كـان هنـاك عـدد من الضبـاط الانجليز. . والهنود. . من طـائفة «السيخ» الذين ظهر أنهم سبقونـا في الدخول. دون ان نلتفت الى ذلك. عنـدما كنـا واقفين ننظر على الرصيف. . لم نشـاهد احـدا منهم. اين كانوا وكيف دخلوا الطائرة. . لا نعلم.

داخل الطائرة اخـذ كل طالب مقعده حيثما اتفـق. . وكنت كغيري فضلت لان يكون المقعد قرب احـد نوافذ الطائرة لاتاحة الفـرصة لمشاهدة معالم الطـريق وما يمكن ان تقع عليه العين خلال مراحل الـرحلة. لكننا بعد فترة من اقلاع الطائرة تبـادلنا فيما بيننا هذه المقاعد.

في هذه الرحلة كان عددنا ثمانيـة طلاب فقط. . فقد سبقنا قبل يومين بقية الطلاب فى طائرة مدنية نقلتهم من مطار المحرق. لا اتـذكر اسماء هؤلاء الطلاب. ولا الطريق التى سلوكها حتـى وصلوا الى القاهرة. مـداخل الطائرة فى داخلها لم تكن مبهجة وجـذابة كما تصورنا. . فقـد طليت جدرانها وكل شيء فيها بـاللون الداكن. . ولكننـا رغم ذلك فقد شعرنـا باحاسيس جيـاشة ممزوجـة بالرهبـة والفرحة. تتجـاذبنا الافكار. فهـذه اول مرة نغادر فيها ارض الوطن. . الى وطن اخر لا نعرف عنه الا القليل.

اخيرا. . تحركت الطـائرة. . وران علينـا الصمت. وبدأت تشـق طريقهـا وسط الميـاه الـزرقاء. . مخلفـة في جوانبهـا اكوامـا هـائلة من الـزبد الابيـض. . ثم رويدا. . رويـدا بـدأت في التحليق. . ثم ارتفعـت الى شاهـق ولم نعـد نتبين ما تحتنـا. . كـانت قلـوبنـا تدق. . ورؤوسنا تدور. . صمت رهيب. . ودقائق محسـوبة. . وبدأ كل واحد منا يتمتم بما حفظه مـن آيات القرآن الكـريم. . داعين الله العلي القديـر ان يكتب لنا السـلامة في

هـذه الـرحلة. . وان يحفظنـا من كـل سوء ومكـروه. . حتى نصـل الى القاهـرة سـالمين غانمين.

كانـت الساعـة قد جـاوزت الثانيـة عشرة والنصف من ظهر ذلـك اليوم. وابلغنـا احد الركاب المرافقين ان الطائرة تطير الآن على ارتفـاع يزيد على 12 ألف قدم. واننا الآن في وسط مياه الخليج.

مرت بنا بعـض المناظر السريعة التى لم نتبينها تمامـا. منظر من ساحل جـزيرة المحرق الغـربي. . لكنه مـر سريعا. ثـم رأينا تحتنـا بعض السفن والبـواخر. . وبعض اللنشـات التى تمخر مياه الخليـج. . والدخان يتصاعد من مـداخنها. . وهى متجهة الى الشمال. . كما ذكر لنا ضابط آخـر. . انه في مكان ما من هذه المياه توجد مغـاصات اللؤلؤ. . لكن كل منظر كان يتغير ولا نرى الا صورة البحر الواسع العريض.

كـان الوقت يمضى. . وداخلنـا شيء من الاطمئنـان ونحن نرى بعض الـركاب معنـا يغطـون في النوم. . بينما راح واحـد منهم يقـرأ في كتاب صغير غير ملتفـت الى ما كـان يدور من حوله. كما لاحظنـا ايضا ان اثنين من الضباط الهنود كانا يدخنان بحـرية تامة. وان ظلا عابسى الوجـه طوال الرحلة. اما نحن فقد قام احـد الطلاب بتوزيع ما احضره معه من «العلوج» كنوع من انواع التسلية. . وقتل الوقت.

مرت مـا يقرب من ثـلاث ساعات وطـائرتنا مستمرة في تحليقهـا ثم بعد قليل شعـرنا بانها قـد خففت من سرعتها. . دليلا على انها ستهبط في مكـان ما بعد قليل. بـانت لنا من بعيد بساتين النخيل الخضراء الممتدة لمسافات بعيـدة. كانت تشبه الغابات. قال احد الـركـاب. . انها البصرة. حمدنـا الله. وبـدأت الطـائرة في الهبـوط. . قليـلا قليـلا حتى لامست سطح الميـاه. ثم حطت بثقلهـا وبعد دقـائق توقفت محركـاتها. . انه البحـر من جديد. . غطت المياه الطائرة الى اعلى من النوافـذ التى نطل منها. . لم نعد نرى شيئا. . هنا في هـذا المكان تختلط ميـاه شط العرب بميـاه الخليج. بدأ الزبـد. . وموجـات المياه تنحسر عن النـوافـذ. . وبـاتت المنـاظر امـامنـا واضحـة. . . في هـذه الدقـائق داهمتنـا المشاعـر. . وبقينا صـامتين. ننتظر مـا سيحدث. . تحركـت الطائرة ببطء حتى حـاذت جسرا خشبيـا رست على جانبيـه بعض اللنشـات. . وبعض القـوارب الجميلة. . بيضـاء اللون وتشبـه في شكلها القـوارب الاوروبية التـى نراهـا في المجلات المصـورة. . وجميعها ترفـع العلم العراقي. . المتعـدد الالوان. كما كان بينهـا بعض القوارب التى تـرفع العلم البريطاني.

ودنى احد اللنشات من باب الطائرة.. بعد ان صعد اليها ضباط عراقيون. وطلبوا منا ان نغادر الطائرة ونستقل اللنش. الذى اوصلنا الى رصيف آخر.. ومن هنا انتقلنا الى مبنى ضخم.. عرفنا فيما بعد انه «فندق شط العرب».

كان الوقت يقترب من المساء.. وبانت انوار الكهرباء في بعض جوانب الفندق.. وعلى بعض المباني القريبة من هذا المكان. كان الجو ملبدا بالغيوم ساعة وصولنا.. وبدا ان بعض قطرات من المطر هطلت ونحن ندخل المبنى.

هذه هى البصرة.. اذن.. اول ارض تطأها اقدامنا. كم كنا مندهشين وفرحين ونحن نهنئى انفسنا بسلامة الوصول. العجيب ان مسئولي الفندق لم يتركوا لنا فرصة الاستراحة عندما اجتزنا صالة الفندق الكبرى.. الانيقة.. هذه الصالة الواسعة التى انتشرت في كل جانب منها المقاعد والطاولات الانيقة. لقد طلبوا منا التوجه مباشرة الى الغرف التى خصصت لنا. واستبدال ثيابنا واخذ قسط من الراحة ثم العودة بعد ساعة ونصف للجلوس فى الصالة اذا رغبنا في ذلك. كما ابلغونا بان وجبة العشاء ستكون معدة حوالى الساعة الثامنة.

شاركني فى الغرفة الزميل خليفة المقرن. وخلال تواجدنا في الغرفة امضينا بعض الوقت في استبدال الملابس التى كانت اكبر مهمة تواجهنا بعد وصولنا. لم يكن ارتداء البدلة الافرنيجة بمثل هذه السرعة.. والدقة شيئا سهلا علينا. لكننا بعد ارتدائها اصبحنا في حال غير الحال التى كنا عليه في البحرين.. تجولنا في ارجاء الصالة واقسام الفندق الاخرى. وكنا ــ جميعا ــ مزهوين وفرحين وعلق احد الزملاء اننا ومنذ هذه اللحظات.. اصبحنا «افندية» بحق وحقيق كما يقولها المصريون.

كنا مبهورين في كل مكان توجهنا اليه. الصالة الفخمة.. والحديقة المجاورة.. وقد سلطت عليها الانوار الملونة من كل شكل ولون. وانتشرت في ارجائها المقاعد الانيقة من «الخيزران». رائحة الزهور والرياحين تنبعث من كل ركن.. وزاوية.. ارضية الحديقة وهى مغطاة ببساط سندسى اخضر. كان كل هذا الذى نشاهده يأخذ بالالباب.

في احد اركان الصالة لمحت محلا صغيرا.. كشكا أنيقا مزخرفا ببعض الملصقات المصورة.. والنباتات الخضراء المتسلقة.. في هذا الكشك تباع بعض الكتب.. والهدايا الصغيرة.. والبطاقات التذكارية.. والصحف والمجلات العربية.. والاجنبية. هفت نفسي لشراء بعض الصحف.. وارسال بعض البطاقات اذا كانت ظروف المحل تسمح بأرسالها بطريق البريد الى البحرين.. لكن مسئول المحل اعتذر عن قبول ماكنا نحمله

من النقـود بالعملـة المصرية. . جنيهـات وقروش. . وحاولنـا اقناعـه باننـا لا نحمل اي دنانير او فلوس عـراقية ولكنه لم يستجب للأسف لتـوسلاتنا. . وبذلك فـوت علينا هذا البـائع الارعن فرصـة فريـدة. في هذا الكشـك ايضا القيت نظـرة على بعض البطاقـات المعلقة فى احـد الاركان. . وعليها مجمـوعة جميلة من طـوابع العراق من فئـات مختلفة. . وكان بـودى لو حصلت على بعض منهـا. . ومن يومهـا ـ كما اظن الآن ـ نشـأت عندى هواية جمع طـوابع البريد. . وارسال البطاقـات البريدية الى الاهل والاصدقـاء من اي بلد جـديـد اصل اليــه. كثير من المسـافـرين لا يعيرون اي اهتمام لمثـل هـذا الأمـر. هـذه البطـاقـات كما بـرهنت الايـام فيما بعـد. . وفـرت كثيرا من الجهـد فى تـدبيج الـرسـائل المطولة. . التى يتناولها اي مسافر حين يغادر بلده.

في صالـة الفندق الـرئيسية ايضـا. . استوقفتنى نظـرة فاحصـة في ثلاث لـوحات كبيرة الحجم في براويـز مذهبـة. . علقت فى مكان بارز مـن صدر الصالـة. . كانت اللـوحة الأولى تحمل صورة الملك فيصل الأول. . والثانية. . صورة الملك فيصل الثاني. . وهو لا يـزال في سن صغير امـا الثالثـة فهى لـلأمير عبـدالالـه. . الوصـى على عرش العـراق. سألـت احـد العـاملين الـواقفين امـام مكتـب الاستقبـال عن سر اختفـاء صــورة الملك غـازى. . وغيـابها عن بقيـة الصـور المعلقـة. . فـاجـابني ذلـك الموظف. . بـابتسـامـة عريضـة. . ولها اكثر من معنى. . دون ان ينبس بكلمـة. . وتذكرت فى هـذه اللحظات قصـة مصرع الملك غازى في حـادث السيـارة الذى راح ضحيتـه. . ايـام كنا اطفـالا في المدرسة الابتـدائية عرفت فيما بعد ان ذلـك الموظف الخبيث كان من طائفـة «الاشوريين» المعروفين آنذاك بولائهم الشديد للأنجليز. وتذكـرت اننا شهدنا افرادا منهم كانوا يعملون مع الجيش البريطاني. . اثناء سنى الحرب.

بعد تنـاول وجبة العشـاء فى قاعة الطعـام الفاخرة. . المجـاورة لصالـة الفندق. اقترح بعض الزمـلاء القيام بجولـة قصيرة خارج الفندق لبعض الـوقت لمشاهدة معـالم الحياة في المنطقة القريبة. وافقنا جميعا على هـذا الاقتراح. . ورافقنا في هذه الجولة عاملان من عمال الفنـدق. . تطـوعا مـن نفسيهما لهذه المهمة. . دون ان نطلـب منهما نحن ذلك. وعلـلا هذا التطوع بانه رغبة منهما حتى لا نتعرض لاي مشكلـة قد تصادفنا في هذه الجولة. وما كان منا الا ان نشكرهما على هـذه المساعدة. سلكنا طريق الكورنيش الممتـد امامنا حتى منطقة قريبة تشع بانوارها والحركة فيها ظاهرة. . وانتشرت فيها المقاهى الشعبية.

قيل لنا ان هذه المنطقـة يطلق عليها «العشار» وهى جزء من مينـاء البصرة الذى لا يبعد

عن هذا المكان الا لبضعة امتار. في احد هذه المقاهي. . شاهدنا احد المهرجين يعرض العابه البهلوانية وسط جمع كبير من رواد المقهى. . والاطفال الذين تجمعوا حوله لمشاهدتها. من بين ما شاهدناه. . ان المهرج كان يخرج من فمه شعلة من النار. . الحقيقية. . كانت تثير حماس واعجاب المشاهدين. في هذه الجولة الاستطلاعية لم اعجب من شيء قدر عجبي من تعدد الازياء المتفشية بين الجالسين في المقهى والمقهى الآخر المجاور له. . ومن بعض مجموعات الشباب الذين كانوا يحومون حولنا. . ويهمسون بكلمات بينهم لا نفهمها. كان هذا التعدد الملفت للنظر يتمثل فى غطاء الرأس. . بصورة خاصة. وذكر احد مرافقينا ان تعدد الازياء يزداد في بغداد. . العاصمة. وفى مناطق «الاكراد» في شمال العراق.

عدنا من هذه الجولة اللطيفة. . ونحن نردد المثل الذى طالما سمعنا به في البحرين من سنين. . وهو «اللي ما يشوف البصرة يموت حسرة». تذكرنا هذا المثل. . لا اعجابا بما شاهدناه من البصرة. . لكن لخيبة الامل فيما شاهدناه. . ولو في هذا الحيز من المدينة المظلومة. . ولأن ما سمعناه من مرافقينا انه القسم الحديث من البصرة. . التى يطلق عليها فى وسائل الاعلام الرسمية اسم «ثغر العراق الباسم» والذى هو في حقيقته لا يحمل من «الابتسام» شيئا.

كان بعض نزلاء الفندق من رجال ونساء واطفالهم من عراقيين واجانب لا يزالون يتناولون عشاءهم عندما عدنا من جولتنا. استغربنا كثيرا. . لان الساعة قد تجاوزت العاشرة. اقترح احد زملائنا ان نكمل السهرة وان لا نضيع الوقت فى النوم. وكان الاقتراح. . مشاهدة احد الافلام الذى كان يعرض فى دار للسينما قريبة من الفندق. كان فيلما اجنبيا لا اتذكر اسمه. ولكن ادارة الفندق لم تسمح لنا بالمغادرة مرة اخرى. . وطلبت منا ان نتوجه الى غرفنا. . للنوم مبكرا. . استعدادا لمواصلة رحلة الطائرة فى الصباح الباكر. ولم يكن امامنا الا الانصياع لهذه التعليمات. احد المسئولين ذكر لنا بوجوب الاستيقاظ. . والتواجد فى صالة الفندق. . قبل الساعة ٧/٠٠ صباحا. في غرفتنا رحت والزميل خليفة نستعرض احداث هذا اليوم الحافل وكل ما مر علينا من احداث. . وما ينتظرنا فى القاهرة عندما نصل اليها. . امتدت الاحاديث بيننا حتى ساعة متأخرة. وما احسب اننا نمنا ليلتنا. . ولكنها كانت غفوة قصيرة صحونا بعدها على اثر رنين جرس. . معلق على باب الغرفة. . ينبعث في دقات متقطعة. . ولاول مرة الجأ الى ساعتى. وهى ساعة يد تلقيتها هدية من احد الاصدقاء قبل السفر

بيومين . . ماركة «Sandow» علق عليها خليفة حين رآها . . بانها ساعة رخيصة . . لكن هذه الساعة هي اول ساعة اقتنيها . . وافادتني كثيرا طوال المدة التى امضيتها في القاهرة . . وحتى عودتي الى البحرين . . وبقيت معي سنوات .

صحونا في السادسة . . واعددنا انفسنا لمغادرة الغرفة حيث توافد بقية الزملاء . . وجلسنا في قاعة الطعام . . ننتظر الاوامر والتعليمات . . وجبة الافطار كانت الشاى وسندوتشات من الجبنة . . والبيض . . والزبدة والعسل . . والقهوة المرة . كان اسعد صباح نلتقى فيه .

رأينا الحمالين ينقلون الامتعة . . والاغراض الى حيث يرسو اللنش الذى نقلنا من الطائرة مساء امس . . تمر دقائق يخيل الينا فيها اننا في حلم . هل يمكن ان تكون تلك الساعات القليلة التى انتقلنا فيها من البحرين قد غيرتنا من حال الى حال . . هذا ما بدا واضحا ونحن ندخل مرة ثانية الى جوف الطائرة . . الرابضة في مكانها عندما غادرناها . . وجوه جديدة تسير معنا فى الطريق . . كلهم من الضباط والعساكر الانجليز . تساءلنا اين يعيش هؤلاء والى اين هم ذاهبون . هل لان الحرب لا تزال قائمة . . لقد تعودنا على هذه الوجوه اينما توجهنا . اننا اليوم في العراق . . وليس في البحرين . . لكن هل هناك فرق بين العراق . . والبحرين .

سألنا بعض هؤلاء عن المحطة القادمة . . فقال ضابط بريطاني انها «الحبانية» . كنا سمعنا من قبل ان «الحبانية» قاعدة عسكرية تحتلها بريطانيا . . وتقع شمال بغداد . لكننا لم نعرف انها ايضا «بحيرة» يمكن ان تهبط طائرة مثل طائرتنا فيها . . عندما غادرنا الفندق هذا الصباح . . لم نخرج من الباب الذى دخلنا منه مساء امس . فقد اشار بعض المرافقين الى باب جانبي صغير . وكانوا يتقدموننا فتبعناهم .

على رصيف الجسر حيث توجهنا . افتقدنا الزميل عبدالرحيم علي لبضع دقائق . وقد كان غيابه في هذه الدقائق مدعاة للقلق لكنه بعد قليل اطل علينا وهو يحمل فى يده وردة حمراء كبيرة . يتهادى كالطاووس . وحين وجه اليه الزملاء بعض اللوم لم يلق بالا لهم . . بل راح يتمايل ويضحك كأن الامر لا يعنيه وما اكثر «المقالب» والطرائف المضحكة التى اقدم عليها عبدالرحيم خلال وجودنا فى القاهرة .

ندخل الطائرة . . وبعد دقائق تنطلق محركاتها . . وتبدأ فى التحليق . . ليس جديدا ما نشاهده الآن . . سوى الاراضي الزراعية الخضراء . . وبعض مباني القرى الصغيرة . . المتناثرة التى تمر بها الطائرة . بعد دقائق شعرنا بان الطائرة تتعرض لمطبات هوائية . كنا

والحمد لله على قدر من رباطة الجأش. . لم نبـد اي حركة ولم يداخلنا الخوف. . وبدا ان الرحلة عادية. من بعيد تراءى لنا منظـر غريب. . منظر نهر دجلة وهو ينساب ويتلوى كالحية شاقا طريقه الى الجنوب.

بعد أقل من سـاعتين. . خففت الطائرة من حركتها وبـدأ دويها في آذاننا يخف. . ثم تمر لحظات حـرجة كانـت فيها الطائرة تحوم وتـدور. . حتى هبطت اخيرا فى البحيرة التى بدت لنـا لأول وهلة كأنها البحر في اتسـاعها. . وبعـد ان توقفت الطائرة هبطنـا منها في احـد اللنشات الموجـودة. . وانتقلنا الى مكـان من الثكنـات المقامـة هنـاك حيث تناولنـا الشـاى. . والمرطبات مـع عدد من العـاملين في هـذه القاعـدة. قـال احد المسئـولين ان التصوير فى المكـان محظور. مع ان احدا منـا لم يكن يحمل معه كاميرا للتصويـر. وكانت معاملة المسئولين لنـا جافة. . وتدعو للضيق. وحمدنا الله ان بقـاءنا في هذا المكان لم يطل كثيرا. . اذ سرعان مـا غادرنـاه عائديـن الى الطائرة التى بـدأت طيرانها من جديـد. . في المرحلة الثالثة.

المرحلة الجديدة من السفـر كانت التوجه الى فلسطين. . ارض الـرسالات السماوية. . والبلد المنكـوب بعصابـات اليهود والصهيـونية. الارض التى تهفـو اليها نفـوس العرب. والبلـد الذى نسمع قضيتـه منـذ ان وعينا في هـذه الحياة. والتـى شغلت العالم. . شرقـه وغربـه. كانت الافكار والحكـايات تنثال في اذهاننـا ونحن نعبر هذه الاجواء الغـريبة الى هذا البلد الجديـد. ومرت ساعة كاملـة على طيراننا واخبرنا احد الركـاب اننا نعبر اجواء امارة «شرقي الاردن» لم يكن لدينـا ادنى فكرة عن هذه الدولـة سوى انها تقع بين العراق وفلسطين ويتربع على عـرشها. . الامير عبدالله بـن الحسين. . شقيق الملك فيصل الاول فى العراق. . وانها بلد فقيرة في مواردها واقتصادياتها.

ركـزنـا الانظـار من خـلال نـوافـذ الطـائرة. فلم نـر من تحتهـا الا كثبـان الـرمـال. . والتلال. . والاراضي الجرداء. . ولا شيء غيرها.

ومرت ساعة والمنـاظر تحت الطائرة لا تتغير. ولكنها بدأت تهتز بقـوة. . واصبنا بنوبة من الهلع والخوف. واشتـد الحال ببعض الزملاء. فـراح واحد او اثنان يفـرغ ما تجمع في بطنه في اكياس ورقية صغيرة وضعت بجانب مقاعد الطائرة.

في تلك الفترة. . لم تكن حصيلتنا من اللغـة الانجليزية تسعفنا في الحديث بطـلاقة مع من يتكلمـونها. كنا نود معـرفة المزيـد عن الاحوال في فلسطين التى سنصل اليهـا. لكن كل من تحدثنا معهـم. . كانوا يتهربـون من الاجابة. غـادر احد الركـاب الجالسين معنا

مكانه ووقف معلنا ان الطائرة ستهبط بعد دقائق في «البحر الميت». كانت هذه المرحلة من اشد ما مر علينا في الرحلة.. وحمدنا الله لوصولنا سالمين بعد ان توقفت محركات الطائرة.. وبدت امامنا صفحة المياه الزرقاء.. وحين هبطت الطائرة في البحر.. لبثنا فترة طويلة ننتظر مغادرتها.. وبدا ان بعض التأخير قد حدث دون ان نعرف الاسباب.. فتح باب الطائرة.. ودخل علينا بعض رجال الشرطة الفلسطينيين.. ومعظمهم من العرب.. واليهود وضابطين من الانجليز.. ودارت بينهم وبين الضباط الموجودين داخل كابينة الطائرة احاديث لا نعرفها. طلبوا منا جوازات السفر قبل ان نغادر الطائرة. واخيرا سمحوا لنا بمغادرتها. وكان هناك عند الباب اكثر من لنش.. ركبنا احدها.. حيث اوصلنا الى رصيف كان هناك لاستقبال الركاب. هذه المرة اختلفت معاملتنا عن المرحلتين السابقتين. ابدينا بعض التخوف.

ركبنا احد الزوارق.. وفي الطريق الى الاستراحة شاهدنا مجموعة من السابحات يلبسن المايوهات (لاول مرة) يزاولن هذه المتعة على مقربة ليست بعيدة عن الاستراحة. بادرنا بالسؤال فأخبرنا ضابط.. وسيم.. فارع الطول بان هؤلاء من السائحات. فيهن اليهوديات وغير اليهوديات. فهذا المكان يرتاده كل يوم.. وعلى امتداد السنة عدد من السواح الذين يقضون يومهم كما نرى.. كان المشهد بالنسبة لنا يبدو غريبا.. لكن الضابط الذى تقدم مجموعتنا.. بدأ يستفسر عن احوالنا.. وكان في حديثه يتكلم بلهجة سورية.. او لبنانية.. وما شككنا لحظة انه يهودي.. كان الطريق الذى سلكناه.. متعرجا تحف به الاشجار الظليلة. والورود.. في تنسيق جميل يبهج النفس. ويشرح الخاطر. وقد اقيمت على مسافات متقاربة لوحات ارشادية اشتملت على بعض العبارات باللغات الانجليزية والعربية والعبرية.

اخبرنا احد العاملين فى الاستراحة التى وصلناها ان هذه اللغات الثلاث هى المتداولة والمستعملة في الدوائر الحكومية.. وغيرها في فلسطين.

في مطعم الاستراحة الجميل الانيق استقبلنا العاملون من كبيرهم الى صغيرهم بالابتسامات.. والترحيب.. والحفاوة البالغة التى لم نتصورها.. لم نصدق ما شاهدناه. سألهم احدنا اذا كان من بينهم احد من اليهود. فردوا ان ضابط الشرطة وحده هو يهودي.. من العراق. يتكلم العربية.. ومحبوب من جميع العاملين. كانوا يسألوننا عن الاحوال في البحرين.. والعراق.. واحوال اليهود بصفة خاصة.. وكنا بدورنا نسألهم عن احوال فلسطين واحوال اليهود فيها. قال واحد منهم انهم يرحبون

بــزيــارة اي عــربي الى فلسطين. لكننــا في الاخير خشينــا ان نسترسـل في مثل هــذه الاحاديث.

كـانت وجبة الطعـام التى قـدمت لنـا من اجـود واحسن مـا تناولنـاه حتى الآن. والى جانب الاصناف المتعددة من الطعام.. رصت الموائد بـانواع كثيرة من الفاكهة.. وكذلك اكواب العصير. فارس المائدة بيننا كان الـزميل عبدالرحمن الشيراوى.. الذى راح يلتهم كل مـا كان امـامه من اطبـاق دون خوف او حـرج. والواقع اننـا تمنينا ان لـو طال بنـا الجلوس في هـذه الاستراحة.. وقـارناها بما كـان عليه الحال هذا الصبـاح عندمـا وصلنا الحبانية.

ما ان شارفت السـاعة الثالثة حتى عدنـا من جديد الى طائرتنا وفي طـريقنا سألت عن الضابط المرافق.. ولكن لم يظهر له اثر. رافقنـا ونحن عائدين شاب عربي فلسطيني ذكر انه ذاهب الى القاهرة.. لمواصلة دراسته.

عاودت الطـائرة تحليقها.. وعبرت اجواء فلسطين ثم استـدارت في طيرانها على صحراء سيناء المصرية. وخـلال هذه المرحلة نتعرض الى بعض المطبـات والجيوب الهوائية.. وفي لحظة من اللحظات الفريدة شاهدنا قنـاة السويس.. وعلى جانبيها مبان وبيوت تمتد الى مسـافات.. انها مـدينة «الاسماعيليـة» كما قيل لنا. وبعـد دقائق معـدودة اصبحنا فـوق مدينـة القاهـرة.. مباشرة.. بـانت لنا مبانيهـا الشاهقـة.. وعماراتها.. ومآذن المسـاجد والجوامع المنتشرة فى كل بقعـة.. كما شاهـدنا شريطـا مستقيما من نهر النيل يعلـوه بعض الضباب.. وقطع مـن السحاب.. الذى يحجب الـرؤية الواضحـة. كنا نتبادل امـاكننا فوق المقـاعد لكي لا تفوتنـا هذه المشاهـد.. كادت قلوبنـا تتوقف ونحن نشعـر ان هذه هى آخر المراحـل. المناظر من تحتنـا تتغير فى كل لحظـة. واخيرا تهبط الطـائرة. ويحملق كل واحد فى وجـه الآخر. ويلفنا الصمت الـرهيب. اخيرا انتهت الرحلـة. وكما حدث فى المرات السابقة غادرنـا الطائرة على عجل.. ونحن نتوجه بالشكـر والدعاء الى الخالق عز وجـل ان منحنا الصبر والجلد حتى وصلنـا هذه المدينـة التى حلمنا سنـوات وسنوات لنراها.

هبطت الطـائرة وسط النيل.. فى مطـار «روض الفرج» احـد احيـاء القاهـرة الفقيرة. كان المكـان الذى انتقلنـا اليه بعـد مغادرتنـا الطائرة عبارة عـن «جبرة» واسعة في جـانبها المواجــه للمــدخـل مكــاتــب للجمارك والجوازات. انتشرت حــول المبنــى اعــداد مــن الباصـات.. وعربات «الحنطـور» التى تجرها البغـال والخيول. وكان النـاس يتزاحمون..

ويجيئون ويروحون في اعداد كبيرة. وصياح الباعة في كل ركن.. والشيالين.. والحمالين من كل شكل.

كانت الساعة هي 5/30 من مساء يوم الاحد المصادف اول نوفمبر 1945 وهو الوقت الذى وصلنا فيه الى هذا المطار النهري.

داخل الجبرة.. تكدست صناديق.. من خشب وغيره ومن اكياس غريبة في اشكالها واحجامها.. وعلى مقربة احضرت الشنط والامتعة التى نقلها الحمالون من الطائرة.. كان يقف امام باب المكتب الذى وقفنا قريبا منه.. ضابط مصرى.. فارع الطول.. يرتدى الطربوش ويتمنطق بمسدس داخل محفظة من الجلد الاسود اللون.. لماعة.. كما يلتف حول وسطه حزام جلدى عريض يتحسسه بيديه كل دقيقة ويعيد تعديله بين فترة واخرى وبصورة مستمرة.. كأنما يخشى سقوطه. وكل من لاقيناه من الموظفين والعسكريين كان يرتدى الطربوش.. والطربوش امر لابد منه في اللباس الرسمي بصورة خاصة.. ويجب ارتداؤه.. في كل وقت.

اعطونا اوراقا.. وطلبوا ان نملأها بالرد على ما ورد فيها من اسئلة ومعلومات. ولكن هذه كانت من الغرابة بحيث لم نعرف كيف نجيب عليها. معلومات يضيق بها المسافر.. ولم يكتفوا بذلك بل راحوا يمطروننا بالاسئلة الغريبة التى لا تخلو من سخافة. كانوا يسألون عما اذا كنا قد احضرنا محظورات.. غير مقدرين اننا طلاب. حضرنا الى مصر لتلقي العلم.. لا لمزاولة التجارة.

وفي خلال ذلك كان تفتيش الشنط يجرى بصورة فظة لا داعى لها على الاطلاق في مثل حالتنا. وخلال ما كانوا يراجعون جوازات السفر ويقلبون اوراقها خيل الينا ان هؤلاء الموظفين الرسميين القابعين داخل غرف المكتب.. يطلعون على هذه الاوراق ربما لاول مرة. وهذا ما قاله احدهم بالفعل. بل انه ذكر انه يسمع باسم بلد «البحرين» لاول مرة.. مما اثار استغرابنا.. او استنكار بعضنا في الواقع. وقد ظهر صدق هذا القول.. مع بعض من التقينا بهم من الاخوة المصريين من مواطنين وغيرهم خلال اقامتنا في القاهرة. كانوا يقولون انهم لم يسمعوا بهذا الاسم من قبل. بل ان بعضهم لا يدري اين تقع.. ومن اي منطقة من الوطن العربي. وكثيرا ما وقعت لنا قصص غريبة في هذا الموضوع.

استغرقت اجراءات الجمارك والجوازات وقتا طويلا.. كدنا ان نفقد فيه اعصابنا.. واخير حضر شاب.. انيق الملبس والهندام عرف نفسه بانه مندوب ادارة «المعهد الثقافي

البريطاني» بالقاهرة واسمه «علي» وانه جاء خصيصا لتسهيل معاملة وصولنا الى المطار. وهو لا يدري ان مثل هذه المعاملة قد انتهت قبل وصوله.

غادرنا الجبرة. . واصطحبنا علي الى احد الباصات التى كانت متوقفة عند المدخل. وسار بنا الباص وسط شوارع القاهرة. . المضاءة بالانوار والمكتظة بالناس. . الى احد المكاتب الانيقة الواقعة بميدان «الاسماعيلية» وهو مكتب «شركة الطيران البريطانية» حيث استرحنا بعض الوقت. . وتم تسجيل اسمائنا من قبل احد موظفى المكتب. كان هذا الميدان هو ميدان «التحرير» في عهد ثورة 1952 فيما بعد. وقد تحول اسمه الى هذا الاسم الجديد. . وكان يضم اول ما شهدناه. . ثكنات الجيش البريطاني التى كانت تسمى فى ذلك الوقت «قشلاق النيل» في نفس الموقع الذى يقوم عليه الآن فندق «هيلتون النيل» ومبنى مقر «جامعة الدول العربية». هذا الميدان الفسيح والذى اصبح من اهم معالم الحياة الحديثة فى العاصمة المصرية.

بعد مضي بعض الوقت وصلت شنطنا من جبرة الجمارك. . وتم توزيعنا في عدد من سيارات الاجرة. . التى غادرت مكتب شركة الطيران. . فى طريقها الى مقر السكن المخصص لاقامتنا. . وهو يقع في الزمالك. . من ارقى احياء القاهرة فى ذلك الوقت. . ومقر السكن هو «بيت البحرين» ويقع في 39 شارع اسماعيل باشا محمد قريبا من «الفيلا» التى ينزل بها رئيس الوزارة المصرية. . دولة اسماعيل صدقى باشا. . وبيوت كثير من الباشوات. . والمسئولين ودور السفارات والمفوضيات الاجنبية. كانت هذه البيوت والفيلات محاطة بالحدائق الخضراء. . ومبنية على احدث طراز واجمله. واينما سرت او توجهت بين شوارع وطرق هذا الحي. . التى رصفت رصفا جيدا. . اطلت عليك اشجار الورد. . والازهار الجميلة من هذه الحدائق.

وقبل ان نبلغ بوابة البيت. . الذى عناه مستشار الحكومة فى رسالته بأنه القسم الداخلي. . تجمع عدد من الطلاب الذين سبقونا في السفر. . والسكن فيه. . واستقبلونا استقبالا حارا. . مرحبين بمقدمنا والانضمام اليهم في السكن بهذا البيت. والتقينا من بينهم بالطلاب. . احمد علي الشوملي. . وعلي محمد الشيخ. . وعلي عبدالله سيار. . وعبدالرحمن علي الجودر وجميعهم من المحرق. . وقد كانوا ضمن بعثة الطلاب الاولى. . وعددهم تسعة قدموا الى مصر للدراسة قبل سنة تقريبا. . كما حضر الى البيت بعد وقت قصير من وصولنا الاستاذ كمال قاسم المهزع الذى سبق له ان درس فى جامعة الازهر. . وجامعة «السوربون» في باريس.

في غرفة الجلوس. . او صالون البيت جلسنا للراحة. . وراح الطلاب الذين سبقونا

يـوجهـون الاسئلـة عن الاحـوال فى البحريـن وننقل لهم بـدورنـا المراحل التى قطعنـاهـا بـالطـائرة حتـى وصـولنـا. . كما قـام بعضهم بـاعطـائنـا نبــذة مختصرة عن الاحـوال فى القاهرة. . وعن برنـامج البيت والزيارات. . وما ينبغى ان نقوم به خـلال الايام القادمة. ورغم ان الساعـات كانت تمر علينا ونحن جـالسين فى اماكننا الا اننـا لم نكن نحس ابدا بالتعب من بعد رحلتنا الطويلـة. كما اننا لم نتناول اي طعام. . وقال بعض الطلاب انهم لم يكـونـوا يتصـورون ان نصل القـاهـرة فى مثـل هـذا الـوقت لـذلـك فقـد دارت بعض الاتصـالات لتأمين احضـار بعض فـرش النوم (مـراتب) وضعت في بعـض غرف النـوم بالدور الثـاني من البيت. . ودون ان يكون معها الاسرة والمخـدات. وقبل ان يذهب كل واحـد الى فـراشـه. . دون تحديـد احضر احـد الخدم في البيت شرائح من سنـدوتشـات الكبدة. . وتناولها بعضنـا. قبل ان يذهب الطلاب الى غرف النـوم. . ونبدأ ليلتنا الأولى في القاهرة. في الحقيقة لم يغمض لي جفن. . وامضيت الليلة في احاديث طويلة ومتصلة مع بعض الزمـلاء. . حتى الدقائق الاولى من الفجـر. . كنا على احر من الجمـر في بدء جولاتنا لمشاهدة معالم القاهرة.

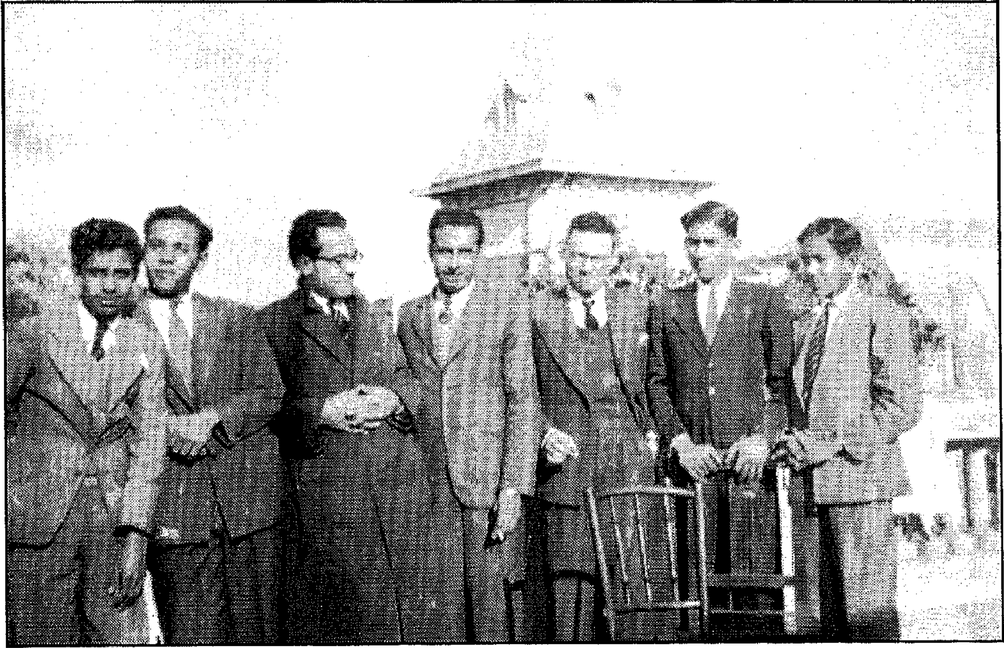
في صباح اليـوم الأول. . استيقظنا متـأخرين. . كـانت الساعـة قد جـاوزت الثامنـة. وبعـد تنـاول وجبـة افطـار خفيفـة. . نشطت الحركـة في البيـت. . وحضر رجـلان من موظفي المعهد البريطاني ومعهم بعض العمال وطلب منـا احد الرجلين مغادرة البيت هذا اليوم. . ريثما يقـوم العمال باعادة تنظيـم الغرف. . ونقل الاسرة والخزانات اليهـا. . حتى تكون جـاهزة قبل حلول المساء. . ومـا كنا في الواقع فى حـاجة لذلك فقد كنـا متشوقين للقيام بأول جولة فى زيارة البلد.

قاد مجموعتنا. . الـزميل احمد علي الشوملي باعتباره اكبر الطلاب سنا وقـد غادرنا البيت مشيـاً عبر شارع حسـن صبري (البرازيل حاليـا) حتى وقفنـا على رصيف اول محطـة من محطات الترام (الترامـواي) وركبنا احدى العـربات فيه. . وسـار بنا مع بقية الـركاب من تحت كوبـرى «ابو العـلاء» قاطعـا شارع فؤاد حتى نـزلنا في احـدى المحطات الـواقعة في ميدان «العتبة».

تجولنا في هـذا الميدان. . وفي الطرق المتفـرعة منـه مثل شارع عبدالعـزيز وشـارع محمد علي، وشاهـدنا فيهما جموع الناس واصحـاب المهن والحرف على اختلافها. وكنـا نتساءل طول الـوقت. . أحقاً هذه هي القـاهرة التى طالما حلمنـا بزيارتها. . اقترح علينـا الزميل الشوملي ان نتنـاول بعض سندوتشات الفـول والطعمية خلال هـذه الجولة طالما ان مـوعد وجبة الغـداء قد حـل. . ويتعذر علينا العـودة الى البيت في هذا الـوقت. . ولـرغبتنا في



■ على سطح بيت البحرين بالقاهرة سنة 1946م .



■ في بيت البحرين بالقاهرة ، مع الاستاذ كمال المهزع سنة 1946م .

تذوق بعض الاطعمة الشعبية. كان الزميل الشوملي يقوم بتسديد كل مصروفاتنا.. وكان كرماً منه انه لم يطالبنا بتسديد تلك المبالغ.. هذه المبالغ التى يمكن اعتبارها مبلغا كبيرا جدا.. وان يدفعها طالب واحد.. فى يوم واحد.. فى مثل تلك الايام.

في الايام التالية.. بدأنا نقوم بجولات لوحدنا.. اي دون ان يكون معنا احد من طلاب البعثة الاوائل. وكانت هذه الجولات تقودنا الى مناطق جديدة من مناطق القاهرة.. وبدأت هذه الجولات بزيارة اهرامات الجيزة.. وابو الهول.. وحدائق الحيوان بالجيزة.. ثم بعض الحدائق الصغيرة مثل حديقة «الاورمان» وحديقة «الاسماك» بالزمالك.. القريبة من بيتنا. كما كنا نقوم في بعض الامسي الى المساجد والجوامع المشهورة.. مثل سيدنا الحسين والجامع الازهر وجامع السيدة زينب.. وجامع ابن طولون.. وغيرها. وكان اكثر ما يستهويني هو التجول فى شارع محمد علي.. وقد كان من اوائل الاماكن التى شاهدناها.. في هذا الشارع كنت تجد انماطا من الحياة المصرية الاصيلة قل ان تجد لها مثيلا هذه الايام. وكان اكثر ما يلفت النظر الحوانيت التى تبيع الآلات الموسيقية.. ومحلات تبيع الحلاوات.. والعطارة.. والاواني المنزلية.. والصناعات اليدوية على مختلف اشكالها.. ودكاكين لبيع الاقمشة.. والاصواف.. والطرابيش.. هذا فضلا عن المطاعم.. والمقاهى الشعبية.. وكانت خاصة بالدلالين.. والمحامين.. والاطباء.. والخطاطين.. والمكتبات ومخازن الادوية.. والصيدليات.. ودور العبادة.. والمنازل التى يتواجد فيها اصحاب المهن الفنية.. من راقصات (الغوازى) والفرق الموسيقية.. وكثير من الاشياء التى لا تقع تحت حصر.

لقد بقيت الذكريات الجميلة عن شارع محمد علي مترسخة في ذهني.. حتى اليوم.. وكنت احرص كلما زرت القاهرة ان امر واطوف لبعض الوقت فى هذا الشارع.. استرجع بعض الذكريات التى لا تنسى.. ولكم تغير الزمن.. وجار على كثير من الاشياء ولكن بقيت الروح الاصيلة التى يحملها هذا الشارع.. والتى لا يمكن ان تنمحى او تزول من الذاكرة.

في ثاني يوم لوجودنا في القاهرة.. صادف حلول ذكرى وعد «بلفور» في ٢ نوفمبر.. وقرب كوبرى «أبو العلاء» المؤدى الى حى الزمالك.. صادف ايضا مرور مظاهرة كان المشاركون فيها يهتفون بسقوط الاستعمار البريطاني.. ويرددون هتافات وشعارات عربية.. قومية عربية.. ومنذ ذلك اليوم كانت المظاهرات لا تكاد تنتهى في القاهرة.. كان المصريون خلال هذه الفترة يقاومون الاحتلال البريطاني الذى يرزحون تحت

وطأته.. ويطالبون بجلاء القوات البريطانية التى كانت متمركزة في مدن القناة.. بل فى وسط القاهرة.. في تلك الأيام لم نكن نقدر ان تكون العلاقة القائمة بين مصر وبريطانيا.. على مثل هذه الحدة والعداء. في تلك الأيام كنا نسمع.. ونقرأ في الجرائد اليومية قيام طلبة الجامعة بالمظاهرات وفي نفس الوقت كانت المفاوضات تدور بين الحكومة المصرية التى يرأسها اسماعيل صدقي باشا.. والحكومة البريطانية التى يمثلها المستر بيغن وزير الخارجية. كانت هذه المفاوضات تطالب بالغاء معاهدة سنة 1936 المعقودة بين البلدين.

اتذكر انه في يوم من الايام.. كنا مارين قرب المتحف المصري استوقفنا احد الجنود البريطانيين الذين يركبون الدراجات النارية.. وسألنا بعض الاسئلة ونحن فى طريقنا عائدين الى البيت من المدرسة.. فقلنا له اننا لسنا من المصريين.. ويظهر ان هذا الجندى لم يقتنع بهذه المعلومة.. فقال لنا بصريح العبارة. اذا كنتم غير مصريين كما تدعون.. فدعونى اطلع على جوازات سفركم فقلنا له اننا لا نحمل معنا جوازات السفر.. قال اذن عليكم في المرة القادمة ان تحملوها معكم.. والا تعرضتم للمخاطر.

مرت بضعة أيام على البيت.. لم يكن فيه احد مسئولا عن شئونه سوى رجال المعهد البريطاني.. الذين يحضر بعضهم لانجاز بعض المهام.. ولا يبقون طويلا.. وفي نفس الوقت كان يجرى تأثيث الغرف فيه.. وتجهيز غرف ومكتب المدير.. وقد عين لهذا الغرض استاذ مصرى.. على درجة كبيرة من المقدرة والكفاءة وحسن الخلق هو الاستاذ حسن حبشي.. وقد باشر عمله في البيت منذ اول يوم واستطاع ان يكسب تقدير واحترام جميع الطلاب. وكنا نجتمع به في مكتبه بعض الاوقات.. ونسمع منه ما ينوى عمله لمنفعة الطلبة.. والمشروعات التى ينوي القيام بها فى المستقبل.

وقد سرت بين الطلاب اشاعة في الايام الاولى باحتمال تعيين مربية انجليزية لمعاونة السيد المدير في اعماله ولكن تبين ـ بمرور الايام ـ زيف هذه الاشاعة.. التى انطلقت من المعهد البريطاني.. ومرت الايام دون ان تتحقق. كما انتشرت اشاعة اخرى.. ذكرت بان مستشار حكومة البحرين (بيلجريف) ربما يزور بيت البحرين.. وهو فى طريقه من البحرين الى لندن في احدى اجازاته.. خلال ايام قريبة. ومرت الايام ايضا.. ولم تتحقق الاشاعة.

لكنى اتذكر ان الاستاذ احمد العمران الذى كان يقوم حتى ذلك الوقت باعمال مدير المعارف.. قد مر بالقاهرة وهو فى طريقه الى لندن لحضور احدى الدورات التدريبية

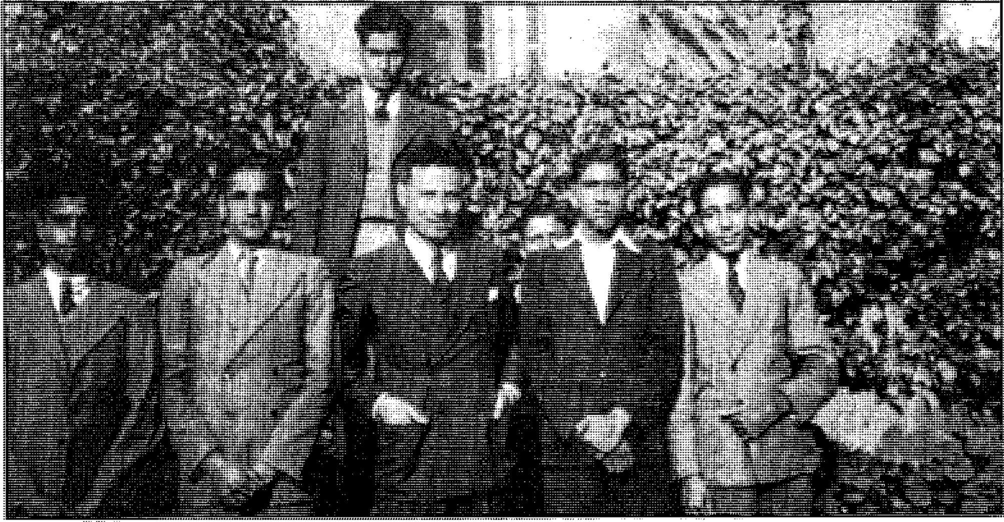
هنـاك. واقام معنـا فى البيت ليوم او يـومين فى الغرفـة العلويـة الموجودة فى السطـوح. . والتى لم ينزل بها احد مـن الطلاب. . وكثيرة هى الاشاعات والاقاويل التـى كانت تروج بيننا دون ان يكتب لها النجاح.

لابد لي وانـا اتكلم عن البيت. . ان اذكـر نبذة موجـزة عنه. فهـو يقع كما اسلفت في حى الـزمالك. . اجمل وارقي احيـاء القاهـرة في تلك الحقبة المزدهـرة من حيـاتها. . وهو عبـارة عن فيـلا صغيرة مبنية على الطـراز الكـلاسيكي الـذى كان سـائدا تلك الايـام في الحي. ويجاور البيت. . عدد من الفيلات. . وعـدد من دور السفارات الاجنبية. . منها دار السفارة الـروسية. . والسفـارة الصينية. . وتقع خلف البيـت من الجهة الغـربية عمارة سكنية من ثـلاثة او اربعـة ادوار. مؤلفة من شقـق يقيم فيها افراد العـائلات معظمهم من الفرنسيين والانجليز.

ومن المدخل فى الدور الأول يقع الى اليسار مكتب المديـر. . ويحتوى على طاولة مكتب كبيرة. . ومقاعـد جلديـة للجلوس. . وبعض الخزانـات كما يوجد فى المكتـب. . تيلفون البيت. اما الى اليمين من المدخل فتـوجد غرفة الجلوس. . او صـالون الاستقبال. . وفى احدى زواياه توجد بعض الطاولات الصغيرة. . وجهـاز راديو. . وفي صدر الغرفة علقت صـورة داخل برواز مـذهب لحضرة صاحـب العظمة الشيخ سلمان بن حمد آل خليفـة. . حـاكم البحرين. . وفى احـدى زوايا الصـورة تظهـر مرافق البيت. . وصـالة الطعـام. . والمطاعم ودورات المياه. . اما في الدور الثاني فقد خصص لغرف النوم. . وكانت ثلاثا او اربعـا متفاوتـة الشكل والحجم. . كـانت الغـرفـة الشمالية اكبرهـا. . وتطل مبـاشرة على الحديقة التى تتداخل اشجارها مع حدائق بيوت الجيران المجاورة.

امـا في السطوح فكـانت تـوجـد غرفتـان صغيرتـان. . اقـام في احداهما الاستـاذ احمد العمران. . كما اسلفت. وكنا في اغلب الايام. . او يوم الجمعـة بالذات. . نقضى اوقاتا جميلة في السطـوح طلبا لدفء الشمس. . او مذاكـرة الدروس. . ومشاهدة معـالم الحياة المحيطة بالبيت. . والتقاط الصور.

في القسم الشمالي من حديقـة البيت. . شجرة من اشجـار المانجو الكبيرة. . ورغـم ان ساق الشجرة يقع في ارض حديقتنا الا ان اغصانها المحملة بثمار هذه الفاكهة اللذيذة. . كـانت معظمها تمتـد داخل حـديقة جـارتنـا العجوز. المسـز جويلـز. . وهى يهوديـة من مالطة. . وتزعم انها من اصل فارسي. كـانت هذه العجوز تحول بيننا وبين الاستفادة من هـذه الثمار. . كلما حاول احـد منا ذلك. فقـد كانـت ظهر كل يـوم تحضر الى حديقتهـا سلما خاصـا تصعد عليـه وفي يدهـا عصا طـويلة تسقط بها حبـات الثمار الناضجـة من



■ مع مدير بيت البحرين بالقاهرة الاستاذ حسن حبش سنة 1946م.

الشجـرة.. بكل يسر وسهـولـة.. وتضع مـا تحصل عليـه منهـا في سلة لـديها.. وقـد تتعطف احيانا فتعطى احدنا بعضا منهـا اذا صادف وجودها.. قبل ان تدلف داخلة الى بيتها. وقـد بقيت على هـذه الطريقة فترة مـن الزمن.. او طيلـة موسم المانجـو. حتى اختفت اخـر حبة من الثمار في الشجـرة.. مستغلـة هذا الـوضع لصالحهـا.. ودون ان يردعها احد.

والى الاسفل من الـدور الاول.. كانت تقع احـد الغرف التى يطلق عليهـا «البدروم» او «السرداب» كما نعرفهـا.. كنا نستعملهـا كمكان لمذاكرة الـدروس.. او تخزين بعض قطع الاثاث المستهلكة.

وفي واجهة هذه الغرفة يقع الجزء الاكبر من حديقة البيت الشمالية.

في مساء احـد الايام ابلغنا الاستـاذ كمال برغبته في السفـر والعودة الى بـاريس لمواصلة دراستة في القـانون. وقـد غادرنـا الى هناك.. ولم التق بـه الا في احدى زيـاراتي الى دولة الكويت خلال الستينات.. وكان يعمل حينئذ في وزارة الارشاد. وقد علمت فيما بعد انه آثر البقاء هناك.. ولم يرجع الى البحرين

مرت فترة من الـوقت كانت احـوال البيت فيها تسير على غير انتظـام.. وذلك بسبب سفر الاستاذ كمال الذى كـان يتولى شئون البيت بصورة مؤقتة.. وتـولى المسئولية من قبل المديـر الجديد.. الاستـاذ حسن حبشى.. وكـان الطلاب طـول الوقـت يسألون السيـد المدير بصورة يومية تقريبا عن موضوع الالتحـاق بالمدرسة.. وكان يرد علينا بانه والمسئول

من رجال المعهد البريطـاني يجرون الاتصالات لتحقيق التحاقنا باحد المدارس الشـانوية في القاهـرة. وذكر الاستاذ حبشى بـان احدى العقبات التـى تصادفهم فى هذا الصـدد هو اننـا وصلنا متـأخريـن بعض الوقـت. . فقد بـدأ العـالم الـدراسي في معظم المدارس قبل اسبوعين تقريبـا. . وانه نظرا لذلـك فان نية المسئولين فى وزارة المعـارف المصرية تتجه الى الحاقنـا باحـدى الفصول الجديـدة فى المرحلة الشـانويـة. . وكان من المؤمـل ان يتم ذلك بمـدرسة علي مبـارك باشـا بمنطقـة «الحلمية» او «المدرسـة السعيديـة» وهى احـد افضل المدارس المصرية واشهـرها في القاهرة. . ولكـن الذى حدث. . ان الريـاح جرت بما لا تشتهى السفن. . فقـد تم الحاقنـا بمدرسـة «محمد علي الاميريـة» وهى مدرسـة ابتدائيـة قديمـة. . وتكاد تكون مجهولـة. . من قبل الكثيرين من اهالي القـاهرة انفسهم. . وتقع في طريق فـرعي. . يمتد من ميـدان السيدة زينب. وتـلاميذها يـزيدون علي الالف. . وتفتقـر الى ابسط وسـائل التنظيم. . والتعليم الحديث. . فتـح فصل جـديد فى المدرسـة وانضم الينا فيه عدد من التلاميذ المصريين الذين فـاتهم الالتحاق بمدارس ثانوية اخرى لاسباب نجهلهـا. ولم يكن امامنا اي خيـار. . لم يكن مثل هذا الترتيب مـا يلفت النظر فقط. . بل الاغـرب ان جميع تـلاميذ الفصل الجديـد. . بمن فيهم الطلبـة المصريين. . اعتبروا طلابا في السنة الاولى الثانوية.

لقد اطلع المسئولـون قبل ذلك على شهاداتنا. وكانوا على علم بـان من بيننا من هو في السنة الثالثة. . وفي السنة الثانية.

ولكنهم عقدوا امتحانا شفويا. . وبصـورة شكلية في الواقع وتقرر على اثره الحاق جميع الطلاب. . على مختلف مستـوياتهم بالسنة الاولى الشـانوية. . وحين راجعنا السيـد مدير البيت قـال لنا بالحرف الـواحد انـه لا يستطيع ان يغير هذا القـرار بل انه نصحنـا بعدم مناقشة القرار.

ولم يكن هنـاك الا التسليم بالامـر والقبـول. . وفي اليوم التـالي بدأنـا الدوام المعتـاد فى المدرسـة. . ولكـن استقـر في اذهـاننـا ان الحاقنـا بهذه المدرسـة هـو اجحـــاف ولا شك بحقنا. . وقـد تعمق هذا الشعور لـدينا على مرور الايام. . كما انـه ترك اثرا سيئـا لدى غـالبيـة الطلاب. وبـدى هـذا واضحـا حين اعلنت نتـائج امتحـانات السنـة. . سـواء لطلاب بعثـة البحرين. . او الطلاب المصريين الـذين زاملونـا في الفصل. . لكننا والحق يقال. . اننا بذلنـا ما وسعنا البذل في استيعاب المنهج. . والـدروس التى كانت معظمها جديدة علينا. . حتى بـالنسبة لطلاب السنة الثالثة الذيـن انهوا هذه المرحلة فى البحرين قبل مجيئهم الى القـاهـرة. وكنـا بشهادة المدرسين احسـن حظا مـن زملائنـا المصريين في

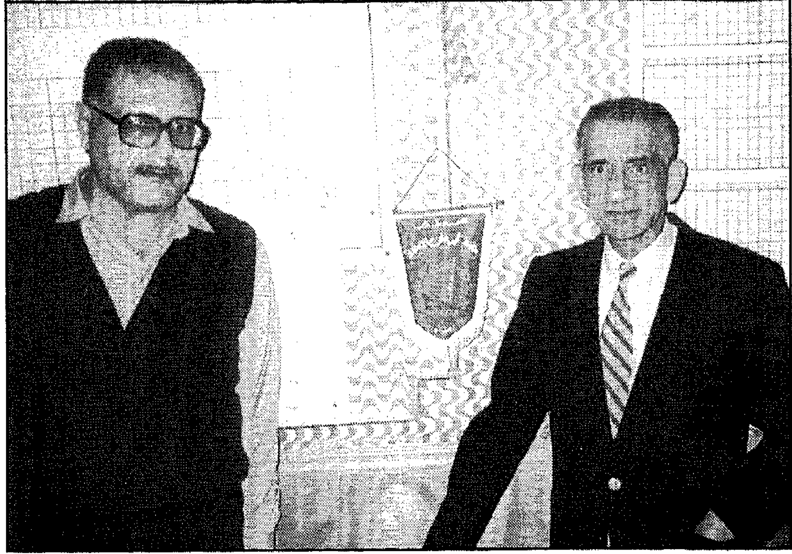
الفصل. هـذا الى جـانب تفـاوت الاعمار. . التى لم تـؤخـذ في الاعتبـار. فقـد كـان من الطـلاب من تعـدى العشرين. . ومنهم من لا يـزال يدرج في الـرابعـة عشرة على افضل تقدير.

كل هـذه الحقـائق وغيرهـا. . لم تـؤخـذ في حسـاب المسئـولين مـن مسئـولي المعهـد البريطاني. . الـذين كانوا وحـدهم من يحق له ان يتخـذ قرارا يتعلق بشئون طـلاب بعثة البحرين.

كان يـرأس الهيئة الاداريـة والتعليمية بـالمدرسة. . نـاظرها الاستـاذ حسن الـزيات. . وكان يتمتع بشخصيـة طاغية. . وهـو لا يغادر مكتبه الا نـادرا. ولا اتذكر ان احـدا منا تكلم معـه طيلـة ما كنـا في المدرسـة. كان المدرسـون والطـلاب لا يجرؤون على مناداتـه باسمـه خوفا وهلعا. . بـل كانو يرددون اسـم «البيه الناظر» امـا المدرسون فانني اتـذكر منهم. . الاستاذ مختار المغـربي مدرس اللغة الانجليزية. . وهـو يبدو دائما انيق المظهر. . بخلاف بقية المدرسين والاستاذ صفوت. . والاستـاذ علوان افندي. . ويطلق عليه بعض الطـلاب الخبثاء اسم «سيـدنا مـوسى» وكـان يقوم بتـدريس مـادة الرسم. . والاشغـال اليدويـة. . التى كان لها فصـل خاص يجاور غرفـة مكتب نـاظر المدرسة. . ننتقـل اليه عندما يحين موعد حصة هذه المادة. . التى كانت بمعدل مرة كل اسبوع.

ورغم تـدنى مستوى المدرسـة وامكانـاتها المتواضعة بين بقيـة المدارس من مثيـلاتها فانها كانت تقدم لطلابها الـذين يزيدون على الالف. . وجبة غذاء يومية متـواضعة فقد كانـت مدرسـة محمد علي تتبع نظـام الدوامين. . وكانت الـوجبة لا تخلـو دائما من كأس «اللبن الـزبادي» الـذى كنـا نقبل عليـه أيما أقبال. . كـانت وجبـة الغذاء تقـدم داخل احـدى الصالات الفسيحة المقامة على امتداد ساحـة المدرسة الخارجية ويدخل اليها التلاميذ وفق نظام خـاص. . وخلال فترة الاستراحـة التى تعقب تناول الـوجبة كنـا نذهب الى غـرفة صغيرة تقع في الممـر الضيق الذى يفصل مبنـى المدرسة عن بعض المبـاني السكنية المطلـة عليها. . في هذه الغرفة. . وفى جوانبهـا نتناول الشاى الاحمر الذى يعده بعض العاملين من «اولاد البلد» لقاء ملاليم زهيدة. . وكانت جلسـات الشاى هذه فرصة طيبة للتعرف على طلبة المدرسة من منتسبي الفصول الاخرى والاستماع الى قصصهم. . واحوالهم.

وعلى كثـرة زيـاراتي الى القـاهـرة التى تـواصلت خـلال الاربعين سنـة الماضيـة. . او تزيد. . كنت دائما اتـوق لزيارة مدرسة محمد علي كلما صادف وقـادتني رجلاي الى ميدان السيدة زينب حيث تقع المدرسة وذلك لاستعادة مـا يجيش في صدري من ذكريات جميلة عن ايـام الدراسـة التى امضينـاها في رحـاب هذه المدرسـة. . حتى قيض الله لي زيـارتها



■ مع مدير مدرسة محمد علي الاميرية / السيدة زينب بالقاهرة سنة 1992م .



■ فناء مدرسة محمد علي الاميرية خلال زيارة مؤلف الكتاب لها سنة 1992م.

مرتين متتاليتين خلال شهر ديسمبر 1990 ويناير 1992 والتجول داخلها بعد طول المدة وتقادم السنين وكنت سعيدا اذ اتيحت لي الفرصة بالاجتماع والتعارف باحد المدرسين العاملين فيها وقت تلك الزيارة. . هو الاستاذ احمد محمد محمد الشيشيني (مدرس رياضيات) الذى قدمنى الى السيد ناظر المدرسة. . وبعض المدرسين. . وجلست الى بعضهم في غرفة الناظر. . وبعض الفصول احدثهم عن احوال المدرسة في تلك الحقبة البعيدة. . والايام التى مرت علينا فيها. فكانوا لا يكادون يصدقون ما

كنت ارويه لهم.. لقد تغير كل شيء في المدرسة.. ولكنها ازدادت سوءا على سوء من ناحية المبنى. لقد تحولت المدرسة وقت زيارتي لها الى مدرسة اعدادية ولم انس قبل ان اغادرها.. ان التقط بعض الصور التذكارية مع بعض تلاميذها.. وبعض المدرسين.

وهى لا تزال حتى اليوم في موقعها القديم.. وهو رقم ٥٠ شارع عبدالمجيد اللبان المتفرع من ميدان السيدة زينب.

كان من اكثر ما ترسخ في ذهني من ذكرى ايام الدراسة تلك المشاوير اليومية التى نقطعها في غدونا ورواحنا من البيت الى المدرسة.. او بالعكس. وبصورة خاصة ما انطبع من معالم تلك الطريق والشوارع.. والحواري والازقة احيانا.. التى نمر عليها صباحا ومساء.. رغم اننا نستخدم احيانا وسائل المواصلات مثل الباص... والتراموای في بعض مراحل الطريق بطول المسافة التى تفصل بين بيت البحرين في الزمالك.. ومدرسة محمد علي في حى السيدة. كنا نقطع الطريق بعبور كوبري ابو العلا.. فكورنيش النيل. حتى مبنى المتحف المصري.. الانتخانة.. فميدان التحرير.. فباب اللوق.. فشارع خيرت حتى نصل الى ميدان السيدة زينب واحيانا كنا نسلك شوارع وطرقات غير هذه.. في بعض الايام كنت اقطع هذه المسافة لوحدي.. واحيانا اخرى برفقة زميل او زميلين او اكثر.. كان يحلو لي اكتشاف كثير من الامور ونحن نشاهد الناس.. سواء في غدوهم ورواحهم.. او وهم يزاولون مهنهم واعمالهم في محلاتهم.. مشاهد ومظاهر عديدة لا تتغير كل يوم.. ولكنها تلفت النظر.. ولا تقع تحت حصر.

كنت اتوقف طويلا وانا في طريقي مارا من باب اللوق والطرق المتفرعة منه.. واحيانا في شارع خيرت.. قريبا من مدرسة «السنية» للبنات.. واحيانا اخرى من شارع «المبتديان» حيث تقع دار «الهلال» وبعض دور المكتبات. وفي مكان ما من باب اللوق.. اتذكر باعة الفواكه والخضراوات وهم يفترشون الارض بما يملكونه من بضاعة.. ينادون عليها باعلى اصواتهم.. والى جانبهم اقفاص الحمام والدجاج والبط.. والطيور او الارانب.. واكوام من ارغفة الخبز البلدي.. وانواع الكعك.. وكانت هناك في نفس المنطقة مدرسة اجنبية للبنات.. كثيرا ما شاهدنا اعدادا من الشباب.. والفضوليين يتجمعون على الارصفة القريبة للبصبصة ومضايقة الطالبات. وقد لاحظت انهم يحاولون في التستر على مواقفهم المخجلة هذه بالوقوف عند العربات التى تبيع الفول والترمس والفول والطعمية التى يصادف توقفها او مرورها امام بوابة المدرسة المذكورة. ولو اردت ان اعدد المظاهر التى كانت تصادفنا ونحن في الطريق لاحتاج الأمر لي كثير من الاطناب والتطويل.

„ تمضى الأيـام وتنقضـى الأسـابيع وحيـاتنـا فى بيت البحرين تأخذ طابعا اعتياديا.. ويسود البيت جو من المحبة والالفة والانسجـام بين جميع الطلاب.. وينصرف الجميع الى تأدية واجبات المدرسة.. ويعيـش ساعات وايام قل أن يجود بها الـزمـان.. وفجـأة تطفـو على السطح بعـض القضـايـا والمشاكل التى لا بد لى من ان أذكر شيئا منها وأنا بصدد نقل صورة عن حياتنا داخل بيت البحرين.

فى أحد الايام تقدم أحد الـزملاء.. ممن يتمتع بوضع مميز بين طلاب البعثة لاعتبـارات خاصة بورقة تحمل فى ثنـاياها احتجـاج طــلاب البعثـة ممـن يسكنـون البيـت على نظـام الوجبات وسوء الاغذية المقدمة لهم „

والواقع انـه تولدت لدى بعضنا بـوادر شكوى وبعض التذمـر حول الموضوع الا ان الامر لم يكن يستدعى اكثـر من أبلاغ السيد مدير البيـت بالعمل على تحسين الاحوال. الا انه بفعل ممارسـات الضغوط التى قام بها الطالب المذكـور. وقع جميع الطلاب على تلك الـورقـة/ العـريضـة التـى عـرضت عليهم. ورفعـت الى ادارة المعهـد البريطـانى باعتباره الجهـة الرسمية المسئولـة عن رعاية شئـون طلاب بعثة البحرين. . كـانت هذه الورقـة تتضمن بعض المطـالب التى ليست لها علاقـة مباشرة بسـوء الاطعمة. . الا ان الجميع لم يتبين هـذه الحقيقـة فى حينهـا. كما ان تلك الـورقـة/ العـريضـة لم تقـدم أو تعرض على الاستاذ حسن حبشى مـدير البيت كما يفترض. بعد تقديم العـريضة بأيام قليلـة زارنا فى البيـت السيد «هـايبـوود» مـدير ادارة المعهـد الثقـافى البريطـانى واجتمع بالسيـد مديـر ادارة البيت فى مكتبه. ودار الحديث بين الاثنين طـويلا، وكـان الطلاب قد تجمهروا امام غـرفة مدير البيت ينتظرون نتائج هـذا الاجتماع. . خرج علينا السيد

هـايوود وهـو يلوح فى يـديه ببعض الاوراق. . وخـلافـا لما عهد فيـه من سعة البـال ودماثة الخلـق. . خرج يرعد ويزبـد ويصرخ فى وجوهنا ويهددنا بعبارات غـاضبة. . ثم فى لين أحيانا. . وأتذكر ما كان يقوله لنا بالحرف الواحد:

You are Coming here to learn (ADAB) my boys, not for (IZRABAT) or (MUZAHARAT).

قال هـذه العبارات بغضب وحنق. . اسلمت بعضنـا للضحك. . وهو ممـا زاده نقمة وحنقا. . وبعد قليل غادر البيت وهـو يتمتم ببض الكلمات وبعد قليل من مغادرة السيد هايوود. . انضم الينا الاستاذ حسن حبشى بل وشاركنـا ضحكاتنا. . توقفنا بضع دقائق عن تناول وجبة الغذاء. . الا اننا أقبلنـا عليها. . ورحنا نلتهم كل المواعين الموضوعة على الطاولة. . بعد ان وعـدنا السيد المدير. . بانه سيعمـل باخلاص على تحسين الاحوال. . وقـد لاحظنا بعـد أيام ان انـواع واصنـاف الطعام بـدأت تتحسن. . وأصبحت تقـدم فى صورة أفضل.

لقد تركـت هذه الحادثة ولا شك أثرهـا فى نفس السيد هايوود. . بـل ونفوس رجال المعهد. . فـراحوا من ذلـك اليوم يـرصدون حركـاتنا وسكنـاتنا. . ويضخمـون من كل صغيرة تصل الى اسماعهم. . وذلك من وراء الستار. ونحن لا ندرى.

وحادثة اخـرى كادت تعصف بكيان البيت. . وتفرق شمل طـلاب البعثة. . وهى ـ وأن كانـت تبدو عابـرة ـ الا انها فى الـواقع اعمق غورا مـن سابقتها. . وكـان يمكن ان تؤدى الى نتائج غير محمودة. . وملخص هذه الحادثة. . انه ذات يوم وقع خلاف بسيط ـ فى ظـاهره ــ بين طـالب وطالـب. . ولما كان مثـل هذا الاختـلاف موجـودا بين هـذين الطالبين فقـد راح كل منهما يوجـه اتهاماتـه ضد الطـرف الاخر متهما اياه بشتـى النعوت والاوصاف حتى كاد الامـر ان يصل بهما الى حد التهديد بالايدي. . وممـا زاد الامر حدة وتصعيدا. . ان بعض الطلاب راح يؤيد ذلك الطالب ضد الطالب الاخر.

اتهامـات كثيرة كـان يتبـادلها الطـرفـان. . وكـانـت تـدور فى اروقـة البيت. . وتـزداد حينا. . وتخف حينا اخر. وبقى الفريقـان على هذا الحال. . وبقى بينهما فريق ثالـث. . اخذ على نفسـه ان يكون بعيدا عن الفـريقين الاخرين. . وان يكون على الحيـاد فى هذه القضيـة التى كادت ان تتطـور الى الاسـوأ لولا حكمـة وتدارك بعـض الزمـلاء ومحاولتهم المخلصة بوأدها فى مهدها. . أنتهـت القضية والحمد لله ولكن ذيولها وصلت بلا شك الى مسـامع رجـال المعهـد البريطـانى ويعلم الله مـاذا بيتـوا لها. . ومـا أعدوا مـن خطط فى سلسلة المآخذ التى تم اعدادها لطلبة البحرين فيما بعد.

فى تلك المرحلة من اعمارنا. . ونحن لا زلنا طلابا نعيش خارج الوطن. . لم نكن نعى تماما ما يطلق عليه هذه الايام بالولاءات او الانتماء. . او السير فى ركاب الحزبيين او العقايديين. كنا لا نزال صغارا. . ثقافتنا محدودة. . ومداركنا قاصرة. . ولكننا نتأثر كثيرا بما يدور حولنا. . كنا مثلا نبدى كراهيتنا للاستعمار البريطانى لما كان يفرضه من سيطرة على كثير من أرجاء وطننا العربى. . وكنا نشهد هذه السيطرة واضحة وضوح الشمس فى مصر. البلد العربى الذى كان بالنسبة لنا البلد القدوة والمثل. كنا مثلا، او معظمنا على الاقل نميل الى مناصرة حزب الوفد. . كنا معجبين برجالاته امثال مصطفى النحاس. . وفؤاد سراج الدين. وعبدالسلام فهمى جمعة. . وحمدى سيف النصر. ومحمد صلاح الدين. . وعلي زكي العرابى. . ومكرم عبيد وغيرهم.

كانت تستهوينا بعض المواقف. . ونتابع باهتمام بالغ ما ينشر فى الصحف المصرية من مقالات وتعليقات. . وتدور بيننا المناقشات والجدل احيانا. . وان كنا غير قادرين على سد اغوار القضايا الوطنية التى كان يمور بها الوطن العربى آنذاك.

عندما وصلنا الى مصر. كانت الحرب العالمية الثانية ما تزال رحاها تدور فى كثير من اصقاع العالم. . وفى اوائل 1946 بدت بعض الظواهر على قرب أنتهاء المعارك. بعد ان نزل الحلفاء فى «نورماندي» على الساحل الفرنسى. . وانتهت معركة «ستالينغراد» لصالح الاتحاد السوفيتي.

والقى الامريكان بقنابلهم الذرية على المدينتين اليابانيتين هيروشيما ونجازاكى. . وفى وطننا العربى. . تشكلت جامعة الدول العربية وغيرها من الاحداث التى تسارعت فى تلك الحقبة.

وكنت والزميلين عبدالحميد الشتر. . وعبدالرحيم علي. . نتابع هذه الاخبار ونقضى الساعات الطويلة فى الاستماع اليها من جهاز الراديو الموجود فى غرفة الجلوس. . بينما كان بقية طلاب البعثةلا يرغبون فى الاقتراب منه. . هذا فى الوقت الذى كانت تجرى فيه المفاوضات بين مصر وبريطانيا لانهاء معاهدة سنة 1936 المعروفة بمفاوضات صدقى. . بيفن.

بعد أسابيع من أنتهاء قضية الطالبين. . راح جميع طلاب البعثة يذاكرون دروسهم ويؤدون واجباتهم الى جانب الاستمتاع بالحياة الجديدة التى يلقونها فى مصر. . ولكن الانباء تسارعت الينا ان المسئولين فى البحرين. . وعلى رأسهم مستشار الحكومة قد تلقوا

انباء تلك القضية بانزعاج شديد.. وانها عززت الشكوك والاقاويل التى بدأت بعض الاوساط فى البحرين تتناقلها عن البعثة.. وافرادها.. وهى لا تزال بعد فى ايامها الاولى، اما نحن فلم نلتفت الى ما كان يقال.. وهدأت الامور بعد ذلك.

وبعد هاتين الحادثتين اللتين القتا بظلالها القاتمة الكئيبة على مسيرة الطلبة.. تعود الامور الى طبيعتها المعتادة فى بيت البحرين.. ويحدثنا السيد مدير ادارة البيت الاستاذ حبشى عن برنامج طموح يعده لنا لزيارات الى بعض معالم القاهرة.. وادبائها.. ومفكريها والاجتماع بهم فى مقار اعمالهم أو دعوتهم لزيارة البيت.. والحقيقة ان الفترة المنصرمة الاولى التى اعقبت وصولنا من البحرين.. قد حفلت بسلسلة من الزيارات والمشاهدات التى احاول ان لا يفوتنى تسجيلها.. والاشارة اليها.



■ مع الأخ علي المسقطي في شارع فؤاد الاول بالقاهرة سنة 1945م.

ان اكثر ما كان يجذب انتباهنا هو مشاهدة الافلام السينمائية التى تعرض لعدة ايام وفى اكثر من دار من دور العرض المنتشرة فى كل مكان يتوجه اليه فى مدينة القاهرة.. لم يكن الفيلم فى حد ذاته هو ما كان يجذب انتباهنا فقط.. بل ان دار العرض كانت هى الاخرى مثار الاهتمام.. مثل هذه الدور نشاهدها لأول مرة.. وهو شىء جديد بالنسبة لنا.. وأتذكر ان اول الافلام المصرية التى شاهدتها كان

فيلم «جمال ودلال» بطولة فريد الاطرش.. وسامية جمال وكان يعرض فى دار سينما ستوديو مصر بشارع عماد الدين.. كان صباح يوم الجمعة من كل اسبوع هو اليوم المفضل لزيارة دور السينما.. وهو يوم العطلة الاسبوعية الذى نجد أنفسنا فيه طليقين من كل قيد.. حتى ان بعضنا كان يشاهد اكثر من فيلم واحد.. فى اكثر من دار للعرض اذا سنحت له الظروف بذلك.. وفى الأيام الاولى.. وحتى مغادرتنا القاهرة اقتصرت زياراتنا على دور السينما القريبة.. والمعروفة فى وسط القاهرة مثل سينما «مترو» بشارع سليمان.. وسينما «أوبرا» بميدان الاوبرا.. وسينما «الباريزيانا» بشارع عبدالعزيز المتفرع من ميدان العتبة.. وهى من دور العرض الشعبية.. وكانت متخصصة تقريبا فى عرض افلام رعاة البقر الامريكية.. والمسلسلات الاجنبية الطويلة التى يستمر عرضها طول اليوم.. ودون انقطاع كما كنا نقوم بزيارة دار سينما «ريفولى» بشارع فؤاد.

اما المسارح والكازينوهات والملاهى الليلية الاخرى.. فقد كان نصيبنا من زيارتها محدودا.. وان كانت اكثر اغراء وأشد جذبا من دور السينما.. وذلك لسببين.. اولاهما ان السيد مدير البيت كان يحذرنا من ارتيادها.. الا بعلم وأذن مسبق منه.. وكان يقول لنا ان مثل هذه الاماكن هى للرجال الكبار. والسبب الثانى ان أسعار تذاكر الدخول لمثل هذه الاماكن لا تتحملها جيوبنا فى تلك الأيام.. ومع هذا فقد اسعدنا الحظ بمشاهدة رواية كانت تعرض على مسرح دار الاوبرا الملكية.. وقد صحبنا فيها السيد مدير البيت.. اسم الرواية كما أتذكرها «العباسة/ أخت الرشيد» وكان من بين الممثلين.. الاستاذ سراج منير. كما شاهدنا بعد هذه الرواية بأيام رواية باسم «مشغول بغيرى» كانت تعرض على خشبة مسرح الازبكية.. القريب من دار الاوبرا.

كنا نكثر التردد على زيارة منطقة الاهرامات وأبو الهول.. وحدائق الحيوانات بالجيزة، لقد كان الوصول الى هذه الاماكن بالباص يستغرق بعض الوقت.. وقد كانت هذه الاماكن من أول ما التقطنا فيها الصور التذكارية.. وأننى لأتذكر كم هو عدد الصور التى كنت أبعث بها الى الاهل والاصدقاء فى البحرين بين حين وآخر.. ولما أرسلت مجموعة منها كانوا يطالبوننى بأرسال مجموعات اخرى.

حديقة الحيوان فى تلك الايام كانت واحدة من أشهر واكبر الحدائق فى العالم.. فقد كانت تضم اصنافا عديدة.. ونادرة من الحيوانات والطيور والزواحف.. التى لا يوجد مثيل لها فى كثير من حدائق العالم الاخرى.

وكانت الحديقـة منسقة ومخططة فى معظم اقسامها. . وممـراتها الا انها فقدت كثيرا من مكانتها فى السنـوات الاخيرة. . لم تكن هذه الحديقة مقتصرة فقط على الحيـوانات. . بل كانـت تملك فصائل فـريدة من الاشجـار والنباتـات الغريبة. . منقـولة من جميـع أنحاء العـالم. كـان اكثر مـا يستهـوينـا عنـدما نـزور حـدائق الحيـوان هـو مشاهـدة اقفـاص الحيـوانـات. . وعلى الأخـص القـردة. . والجلـوس لفترات تطـول او تقصر فى مقهـى «حديقة الشـاى» التى تقع وسط بركة مـائية فى جانب جميل خلاب من جـوانب حدائق الحيوانات. . وقد قلنا فى باديء الامـر ان الحديقة مقتصرة على تقديم الشاى. . كما يدل على ذلك اسمها. . الا انـه تبين لنا أنها تقدم كـذلك مختلف اصناف المشروبـات الباردة والساخنـة. . وبعض وجبات الطعـام الخفيفة. . والمهم فى كل ذلك ان الاسعـار لم تكن باهظـة. . وتسهل على كل جيب. . فى ايـام اخرى. . يطيـب لنا زيـارة احدى الحدائق وقضاء بعض الوقت بـالتجول فيها. . كانت هذه الحديقة تعرف بحـديقة الاندلس وتقع بالقرب من ميدان «الدقي» وتمثال الزعيم سعد زغلول المقام هناك.

فى هـذه الحديقـة التى تـرتفع عن مستـوى الطـريق ببضع عتبـات وكنـا نجلس على المصـاطب الحجريـة الموجـودة فى بعض جـوانبها. . وتطل مبـاشرة على النيل حيث تحلـو الجلسات ومراقبة المراكب النهرية التى تـرفع اشرعتها البيضاء وتمخر مياه النهر الخالد. . بعض هذه المراكب تنقل المسـافرين والركاب ومعظمهم من الفـلاحين وابناء الصعيد الى قـراهم وامـاكـن عملهم على طـول مجرى النهـر. . وعلى الجانبين كـانـت تصطف عـدة مراكب يطلـق عليها «ذهبيات» هى عبـارة عن بيوت انيقـة بالخشب ومـوصلة بالكهـرباء وسـائر الخدمات. كـانت الـدهشـة والانبهار تتملكنـا ونحن نتخيل الحيـاة المرفهـة التى يعيشها اصحاب هذه «الذهبيات» المحظوظون بعيدا عن صخب المدينة وضوضائها.

خلال أحـدى عطل الاسبوع المعتـادة. . نظمت لنـا ادارة البيت زيارة استطـلاعية الى ضاحيـة «حلوان» التى تقـع على مسافة قـريبة جنـوب القاهـرة. والطريق بينهما بـالقطار يستغـرق نحو نصـف ساعـة. . كـان برنـامج الـزيـارة حافـلا. . فعنـد وصـولنا محطـة القطار. . توجهنا مباشرة لزيارة «الحديقة اليـابانية» التى تشتهر بها حلوان والحقيقة ان هذه الحديقة لا تختلف عن غيرهـا سوى بوجود سلسلـة من التماثيل الطينية المنصوبـة فى احد ممرات الحديقة للاله «بوذا» والمكان يصلح لالتقاط الصـور التذكارية. . وقد تناولنا وجبة الغـذاء فى هذه الـزيارة فى مكـان قـريب من مـوقع «مرصـد حلـوان» واشتملت الوجبـة بـالاضـافـة للسنـدويشـات المشكلـة. . على بعض الفـاكهـة مثـل العنب. . والتين. .

والشمام.. التى اشترينا منها اقفاصا عديدة ونحن فى طريقنا بالقطار. وامضينا فى هذا المكان عصر اليوم بطوله حتى حل المساء وعدنا الى القاهرة.

كما تشتهر حلوان ايضا بمياهها المعدنية.. التى يقصدها كثير من الناس.. وخصوصا فى فصل الصيف للاستمتاع بها فى المسابح او الحمامات الشعبية المقامة هناك.. الا انه لم يقدر لنا زيارتها او الاطلاع عليها.. طيلة اقامتنا فى القاهرة.. ولكننى زرتها بعد سنوات طويلة فى زيارات خاصة.. كانت آخرها خلال سنة 1962.. ولكنها لم تكن بالصورة التى كنت اتخيلها من قبل.. كما زرت حلوان ايضا فى عام 1990.



■ أمام البرج الياباني في مدينة حلوان – 2 محرم سنة 1365هـ.

اما المساجد والجوامع الاسلامية فلم يكن أحد من طلاب البعثة يحرص على زيارتها كحرصى.. ويشاركنى فى ذلك العزيزان الزميلان عبدالرحيم علي.. وعبدالحميد الشتر. وقد زرنا منها عددا كبيرا.. اذكر منها على الاخص..

الجامع الازهر.. جامع سيدنا الحسين.. جامع أبن طولون.. جامع السيدة زينب.. جامع السيدة نفيسة.. جامع الرفاعى.. جامع عمرو بن العاص فى مصر القديمة.. وكذلك بعض الكنائس القبطية القديمة الموجودة بكثرة فى هذه



■ قرب الهرم الاكبر بالجيزة 26 يناير 1946م .

المنطقة . . وجامع صلاح الدين وجامع السلطان حسن . . وغيرها . . والغريب العجيب اننا على كثرة ما زرناه من هذه المساجد المعروفة . . لا أتذكر انني ـ على الاقل ـ قد قمت بزيارة قلعة محمد علي . . التى هى أشهر من نار على علم . . لكل زائر الى القاهرة . . وحتى زياراتى الاخيرة الى القاهرة . . لم أقم بزيارة القلعة الا مرة واحدة وقد كان ذلك فى عام 1990.

وفى الأيام الاولى . . زرنا مناطق عديدة من مناطق القاهرة وكنا نحرص فى هذه الزيارات ان تكون لمناطق قديمة . . وشعبية الطابع منها الموسكى . . وخان الخليلى . . بولاق . . وشبرا . . والعباسية والجيزة وامبابة . . وغيرها . . والى جانب هذه الزيارات . . قمنا بزيارات يجدر بى ان اذكرها على سبيل المثال ومنها :

1) دار الكتب.. ميدان محمد علي.. المتفرع من العتبة وكانت زيارة سريعة لم تتح لى ولغيرى من الزملاء.. الاطلاع على نفائس الكتب والمخطوطات التى تحويها هذه الدار.. وكان المفروض ان نقوم بالزيارة مرات.. ومرات.

2) متحف السكك الحديدية.. ميدان محطة مصر «رمسيس» واحيانا ميدان باب الحديد.. وهذا المتحف كانت زيارته زيارة عابرة.. وقصيرة جدا.

3) متحف الشمع.. من أجمل ما زرناه من معالم القاهرة. وقد علمت ان المكان قد نقل الى مكان غير معروف.. ولم يعد المتحف موجودا فى السنوات الاخيرة.

4) متحف الاسماك.. وهو مبنى صغير يقع فى احدى الحدائق القريبة.. فى شارع فؤاد.. الزمالك القريبة من بيتنا بالزمالك.

5) حدائق الجمعية الزراعية المصرية.. بمنطقة الدقى وفيها قاعة فسيحة لمعرض زراعى يحوى بعض النباتات وعلى الاخص.. القطن.. وتنتشر فى ارجاء هذه الحدائق.. الورود والازهار.

6) ستوديو سينما مصر.. فى طريق الاهرامات بمنطقة الجيزة.. وقد صحبنا فى هذه الزيارة الاستاذ حسن مدير ادارة البيت وبرفقته عدد من أصدقائه من المصريين.. لا أتذكر أحدا منهم..أمضينا فى هذه الزيارة بضع ساعات أطلعنا خلالها على المراحل التى تمر بها صناعة الافلام.. من تصوير.. وتمثيل. كما شاهدنا عددا من الديكورات المقامة فى جوانب متعددة من هذا الموقع.

7) متحف التاريخ المصري.. ويطلق عليه عامة الناس الانتكخانة.. بميدان الاسماعيلية.. الذى تحول بعد ثورة يوليو 1952 الى ميدان التحرير.

يبقى هذا المكان واحدا من اعظم ما يمكن ان يشاهده اى زائر الى مصر.. فهو يحوى أشهر الاثار التاريخية التى خلفها قدماء المصريين من الفراعنة وغيرهم.. من تماثيل. نقوش.. وموميات.. وصور.. ومنحوتات.. بكل ما يخطر على البال.. لقد تكررت زياراتنا لهذا المتحف.. ومع ذلك.. لم نشاهد من موجوداته الا القليل.

8) فى احدى الاجازات.. ذهبنا فى الصباح لزيارة منطقة «القناطر الخيرية» التى كنا نقرأ عنها فى كتب المقررات بالمدارس.. وكانت الفكرة التى نحملها عنها مختلفة قبل الزيارة.. لقد كانت عبارة عن سدود حجرية بناها الوالى «محمد علي باشا» ابان تأسيس الدولة المصرية الحديثة.

انها احدى الاماكن التى يمكن للزائر ان يقضى فيها وقتا سعيدا.. فى العربات التى تجرها الحمير او ركوب القوارب التى تطوف فى القنوات او نهر النيل.. فى

هـذه الحديقة تسمع الاهـزوجـة المصرية المشهـورة التى يـرددها الاطفـال وهم يطوفون فى الحديقة فرادى وجماعات.. والتى تقول:

تعال يا شاطر.. نروح القناطر..

كما يلاحـظ الزائر لهذه الحدائق وجـود بعض الاكشاك الخشبيـة التى تبيع الاكلات الشعبية الرخيصة.. ويقبل عليها الزوار ايما اقبال لرخص اسعارها.

9) وفى عيد «شم النسيـم» وهو من المناسبـات الموسمية المعـروفة فى مصر.. يحتفل بها المصرييـون على اختلاف طبقـاتهم من قـديم الـزمان.. وهى تصـادف دائما فصل الربيع الـذى يحلو فيه الطقس. وتخليـدا لتقليد قديم يعرف بـوفاء النيل.. واتذكر اننـا فى تلك المناسبة ذهبنا الى حديقة «الاورمـان» التى تقع قريبا من جامعة فؤاد «القاهرة الان» وأمضينا سـاعات طويلة فى التجوال بأرجاء هذه الحديقة.. واختلطنـا بالشلل والجماعات التى كـانت تفترش الارض وهم يؤدون اغانيهم الشعبية المحببة.. ويتناولـون الاكلات التقليدية.. المؤلفة من «الفسيـخ» والبصل الاخضر.. وغيرهـا بينما الاطفـال الصغار يتراكضـون فى كل مكـان وهم يرتدون على رؤوسهم «الطراطير» المصنوعة من الورق الملون.

وكتذكار لهذه الـزيارة اشترى بعضنا هذه «الطراطير» وأحضرناهـا معنا عند عودتنا الى البيت.. ولكنها ضاعت فى ما ضاع من أشياء كثيرة غيرها.

10) من الزيـارات التى بقيت ذكريـاتها الجميلة.. زيارة قام بها للبيـت فريق من طـلاب مدرسة «شبرا» الثـانويـة.. ردا على زيارة قمنا بها الى مـدرستهم قبل مـدة.. لأجل التعـارف وكـانت سهـرة فـريـدة تقـام لأول مـرة فى بيت البحـرين ويحضرها الى جانب طلاب المدرسة بعض مدرسيهم.

وفى خلال هـذه السهرة التى امتدت بعض الـوقت انطلق الطلاب المدعوون يقـدمون بعض المسـابقات. . ويـؤدون بعض الاغانى التـى أتذكر مـن بينها اغنيـة «يا بـو العيون السود» وقد ظل الجميع يرددها فترة طويلة.

وكان الامل معقودا ان تتم زيارات متبادلـة مع بعض المدارس الاخرى على غرار هذه الزيارة. . ولكـن للأسف انقضى العام الدراسـى ولم يتم شيء منها. رغم انه لم يـوجد ما يحول دون ذلك. . حسب معلوماتنا على الاقل.



■ سمو الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة خلال زيارته الى بيت البحرين بالقاهرة 1946م .

صباح يوم جمعة . . لم تشرق الشمس فيه كما تشرق كل يوم . . ولم يكن الطقس فيه كما تعودنا ان يكون . . زارنا فى البيت . . سمو الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة . . عم صاحب العظمة حاكم البحرين . . لقد ابلغنا بخبر هذه الزيارة قبل أيام . . ولذلك كنا مستعدين لها اكمل الاستعداد . . كنا نعرف ان الشيخ محمد من رجالات الاسرة الحاكمة فى البحرين الذين يحلو لهم السفر والتجوال فى مختلف بلدان العالم . . وبالاخص مصر التى لا يكاد يفارقها طول العام . . والى جانب هذا فأن الشيخ معروف بأنه على جانب كبير من الادب والفكر . . وانه ينظم الشعر الفصيح منه . وباللهجة العامية . . او النبط . .

فى ذلك اليوم حضر برفقة الشيخ بعض مرافقيه من أهل البحرين . . الذين تعرفنا اليهم . . ومنهم السيد سلمان المعاودة من رجال اللؤلؤ فى المحرق . . والسائق الخاص السيد علي ابراهيم كما قام الاستاذ حسن . . مدير بيت البحرين . . بدعوة عدد من المدعوين . . منهم الاستاذ عبدالعزيز حسين . . مدير ادارة بيت الكويت . . الذى يقع

على مقربة من بيتنا.. وفى نفس الشارع والذى تولى منصب وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء فى الكويت بعد استقلالها.. والاستاذ محمود رياض.. شقيق الاستاذ حسن.. والدكتور عثمان لبيب.. الذى تربطة علاقة وثيقة بالاخوين.

حضر هذا النفر من المدعوين.. وجلس الشيخ محمد وسطهم فى غرفة الجلوس.. وأخذ يتكلم عن قيمة العلم.. وفوائده وأسفاره.. واتصالاته مع الادباء.. والشعراء.. وراح يعدد اسماءهم. ويروى بعض النوادر عنهم. وكنا نستمع لهذه الاحاديث.. ولم يكن أحد منا.. أو حتى من المدعوين بقادر ان يجارى الشيخ فى قوة احاديثه وغزارتها.

وقد تناول جميع الحاضرين وجبة غذاء دسمة احتوت على أصناف من اللحم والاطباق المنوعة.. لم يشهد لها البيت مثيلا فى اي يوم.. بعد تلك الزيارة.. وقبل ان يغادر الشيخ ومرافقوه تجمعنا فى حديقة البيت.. والتقطت لنا بهذه المناسبة صورة تذكارية ضمن جميع طلاب البعثة.. فيما عدا طالبين اثنين حالت ظروفهما فى تلك الدقائق.. ولم يظهرا معنا فى الصورة.

ويجدر ان أذكر هنا.. ان هذه الصورة.. بعد عودتنا الى البحرين خير تذكار لبعثة البحرين الدراسية.. وأخذت مكانها فى ارشيف وزارة الاعلام.. فى مركز التراث الذى انشأته البحرين.. اواخر الثمانينات.

كان الشيخ محمد ينزل فى جناح خاص به فى فندق «وندسور» الذى يقع خلف محلات «شيكوريل» بشارع فؤاد.. وكان بعض طلبة البحرين يزورونه فى الفندق كلما سنحت لهم الظروف.. واتذكر انه فى احدى هذه الزيارات الخاطفة.. كان الشيخ محمد يلوم بعض الطلبة.. بل ويعنفهم لعدم تأديتهم فروض الصلاة.. فى اوقاتها.. وللحقيقة يجب القول ان بعض الطلبة لم يكن يولى هذا الموضوع الاهتمام المطلوب، ولم يكن أحد منا يرغب ان يفرض اراءه على الاخرين لكننا ــ والحق يقال ــ بقينا نتذكر نصائح الشيخ محمد.. دائما.

ولقد دأبت على زيارة الشيخ محمد.. بعد عودتنا الى البحرين ولسنوات طويلة فى مجلس سموه بمدينة المحرق، مع بعض الزملاء من طلاب البعثة السابقين.. والاستماع الى اشعاره واحاديثه عن العرب وامجادهم فى ايامهم الغابرة، كنت معجبا بشخصية الشيخ محمد.. وبثقافته العالية.. حتى بعد وفاته وانتقاله الى الرفيق الاعلى.

رحلة الى.. الأقصر:

لسوف تظل احداث هذه الرحلة الفريدة الى الاقصر. جنوبى مصر. محفورة فى اعماقى. . فقد كانت هى الاولى. . والاخيرة التى نغادر فيها مدينة القاهرة الى خارجها طول مدة بقائنا للدراسة والتى قاربت العام تقريبا. وكنا منذ وطأت اقدامنا القاهرة نطالب الاستاذ حسن مدير ادارة بيت البحرين. . وغيره من رجال المعهد الثقافى البريطانى بضرورة ترتيب رحلات لنا للاطلاع على معالم الديار المصرية. . مثل الاسكندرية او غيرها. وكانوا يعدوننا بتحقيق ذلك فى الوقت المناسب. . وكانت رحلة الاقصر هذه. . واحدة من تلك الرحلات التى كنا نرجو ان تتحقق وذلك كدنا ان نطير من الفرح عندما أخبرنا الاستاذ حسن بان الرحلة الى الاقصر ستكون قريبة. . وأنها ستمتد الى عدة ايام. . ويجب ان نستعد لها بالملابس والاغراض المناسبة. . وعندما استفسرنا عن أجور الاشتراك فى الرحلة. . وعن عدد المشتركين فيها من غير طلاب البحرين وعن البرنامج الموضوع لأيام الرحلة. . الى غير ذلك من الاستفسارات. . رد علينا السيد المدير بأنه لا يعرف عن ذلك شيئا. . وان موضوع هذه الملاحظات متروك لادارة المدرسة ومدرسيها الذين سيشرفون على الرحلة.

وحل موعد سفر افراد الرحلة فى ثانى يوم من أيام الاجازة الربيعية «نصف السنة» كما كنا نطلق عليها فى البحرين والتى تستمر فى العادة أسبوعين متواصلين.

حزمنا أمتعتنا القليلة. . وغادرنا البيت فى الزمالك صباح يوم السبت. . «نسيت التاريخ للأسف» الى محطة القطار بميدان باب الحديد «رمسيس» حيث حضر قبلنا بقليل بعض طلاب مدرستنا المشتركين فى هذه الرحلة. . وأتذكر منهم الطلاب فوزى. . والموصلى. . والباسل. . والثلاثة من قادة الكشافة بالمدرسة. . واصغرهم فوزى. . ابن ناظر المدرسة. . وكان بعض المدرسين. . وعلى رأسهم الاستاذ صفوت قد قاموا بحجز احدى عربات القطار المتجه الى الصعيد. . للطلاب المشتركين فى الرحلة. . لم يكن عددنا كبيرا. . وجلسنا فى احد اركان المحطة ننتظر تعليمات الاستاذ صفوت بركوب

القطار.

وعندما صرنـا داخل عربة القطار. . راح كل واحد يحاول ان يستأثـر بالمكان الافضل حسب اعتقاده. . وابلغنـا احد المدرسين المشرفين بأن الرحلة ربما تستغـرق اكثر من ٤٥ ساعة حتى يصل القطارالمحطة الاخيرة فى مدينة الاقصر التى نقصدها.

وبعد ان بدأ القطـار حركته. . هجم علينا جماعة من أهالي الصعيـد. . رجالا ونساء محملين بأغراضهم وحوائجهم. . واحتلوا أماكن لهم فى العـربة التى نزلنا فيها. . وزاحمونا فى المقاعـد التى اخترناهـا. . ولم تنفع معهم توسـلاتنا او توسـلات المدرسين المرافقين لنا فى هذه الرحلـة. . فى ان يتركوا لنا تلك المقاعـد. . مرت ساعتان او اكثـر والقطار يمر بمحطات عديـدة لكنه لا يتوقف فيها. . ونتساءل عن السبـب. ولا احد يجيبنا. . لكن بعـد ساعـة اخرى. . مـررنا فى طـريقنـا بعدة منـاطق. . وبلـدات استطعت ان التقط اسماءها بعد ان يتوقف القطار فيها.

ومن هذه. . بنـى سويـف. . وبنى مزار. . سمالـوط. . المنيا. . منفلوط التى ذكـرتنا بمـوطـن الكـاتب المصرى المعـروف مصطفـى لطفى المنفلـوطى. . صـاحب «العبرات والنظرات» وقصة «ماجدولين» وغيرها. . ثم أسيـوط. . وأبو تيج. . وعبرنا أحد الجسور بعـد ان تحول سـد القطـار من البر الغـربـى الى البر الشرقى مـارا. . بنجع حمادى. . وقنا. . حتى محطة الاقصر.

كـان الظلام قـد أرخى سدولـه عندمـا اجتزنـا منطقة المنيـا. . وبتنا لا نـرى المناظـر بوضـوح سوى مـا يتراءى لنا بين الحين الحين مـن انوار الكهـرباء وفى بعض المنـاطق او تلك المحطات التى يتوقف فيها القطار.

ويبدو أن بعض الطـلاب قد أخذه التعب من حركـة القطار الرتيبة فـاستسلم للنوم مفترشا الفراغـات بين المقاعد. وتحولت العربة الى ما يشبـه عنبر النوم. لم يكن الطلاب وحـدهم من نـاموا. . بـل شاركهم ايضـا بعض الفـلاحين الـذين كانـوا معنـا فى نفس العربة. . والنوم سلطان كما يقولون.

وفى أحـدى المحطات. . تـوقف القطار وقتـا اطول ممـا توقفـه فى أي محطة أخـرى. فكانت فـرصة لبعضنا ان يشترى بعض الطعام من البـاعة الذين مـلأوا المحطة بنداءتهم وصراخهم.

بعد ان شعـرنا بالجوع. . أشترينـا بعض الكعك والخبز والجبنـه البيضاء. . والسميط

المحلى بـالسمسم والسكر. . او المعسـل كما يسمونـه. . كما أشترى البعض سندويشـات بالبيض. . مع أكواب الشاى. . والنعناع. . وغيرها.

ومما يجدر بي ان أذكـره فى هذه الرحلـة. . هو أننى بدأت عـادة التدخين ـ الملعـونة ـ فقد أغرانى أحـد الطلاب الخبثاء. . ولعله الموصلى بالتـدخين حين اكتشفت انه «يدخن» بعيـدا عن أنظـار بعض الطلبـة. . واكتشفت أنـه يخبئه فى جيبـه. . وفى الشنطـة الكبيرة بعض علب السجائر من ماركة NAVY CUT الزرقاء. . التى يطلق عليها «بحارى» وهى صناعـة مصرية. . ومن يـومها بـدأت التدخين وان كنت على استحيـاء أول الامر. . الى أن بدأت تصبح عادة مألوفة. . الغريب فى الامـر أن السيد مدير ادارة البيت. . شاهدنا ندخن اكثر مـن مرة وكذلك بقية المدرسين لكنهم لم يعترضوا. . ممـا شجعنا فى الاستمرار فيها. وهكذا تكون البدايات دائما.

مـرت سـاعـات طـويلـة والقطـار يغـد سيره. . وكف الجميـع عن تـوجيـه الاسئلـة والاستفسارات عن اسماء المحطـات التى يتوقف فيهـا القطار بعد أن هـدهـم التعب وراح بعضهـم يغط فى النـوم العميق. . حتـى وصلنا محطـة الاقصر. المقصـودة فى السـاعـات الاولى من فجر اليوم التالى.

بعد ان تـوقف القطار تمامـا لاحظنا ان عددا كبيرا مـن المسافرين غيرنـا قد بـدأ يغادر القطـار. . انــزلنـا أغـراضنــا والادوات التى احضرهـا العمال. . فى مكــان على رصيف المحطة. . الـذى يمتد مسـافة طـويلة داخل محطـة القطار. وبعد قليـل حضر الاستاذ صفوت والذى اتضح انـه المشرف العام على الرحلة. وطلب منا ان نحمل مـا نقدر عليه من امتعــة وادوات والسير بضعـة اقـدام الى الشـاطىء. . حيـث تقف المراكـب وبعض الـزوارق على شاطىء النيـل فى الناحيـة الاخرى. . وعبرنـا الى ناحيـة البر المقـابل حيث سرنا مسـافة قصيرة. . وحططنا رحالنـا قريبا من احـد الكثبان الرملية. . وكـانت المنطقة صحراء جرداء. . لا اثـر فيها لحياة. . وبعد استراحـة قصيرة تعاون جميع الحاضرين من طـلاب ومـدرسين وبعض العمال الـذين حضروا للمسـاعـدة. . فى نصب الخيـام. . كل خيمة فى زاويـة. . وفى وسطها تـم نصب صاريـة للعلم. . واستغرق هـذا العمل بعض الوقت وتم فرش كل خيمة ووزع الطلاب على الخيام بتوجيه من الاستاذ صفوت.

وقـام الطـلاب بـالتجـوال فى المنطقـة لتجميـع اعـواد الشجـر المتـوفـرة فى المكـان. . واحضارهـا الى المخيم حيث بدأ طبـاخ البيت. . محيى الدين. . الـذى حضر معنا. . فى

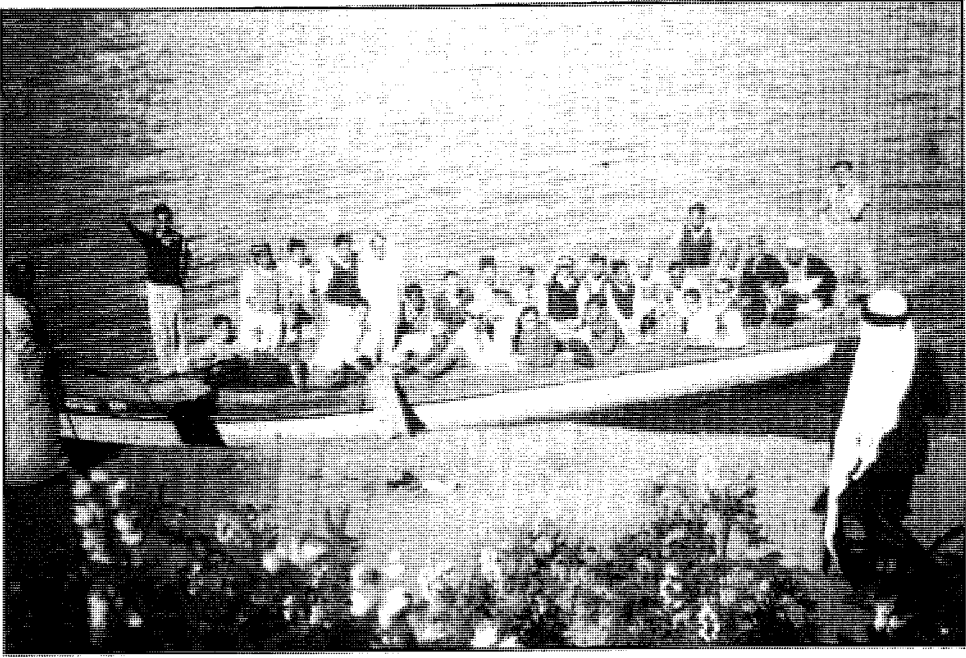
مباشرة اعداد وجبة الغذاء بمساعدة بعض العمال. . وطلب الاستاذ صفوت ان نقوم بعملية يومية لاحضار قطع الاخشاب كلما وجدنا شيئا منها. . وتجميعها قريبا من أرض المخيم. . وقد بقينا فى حركة دائبة حتى الظهيرة. . وكانت وجبة الطعام التى تناولناها فى اول أيام الرحلة لذيذة جدا. . بعد الغذاء. . أمرنا الاستاذ صفوت بأخذ قسط من الراحة استعدادا لسهرة الليلة.

فى هذه البقعة النائية من صعيد مصر. . حيث عاش الفراعنة وأنشأوا حضارة عظيمة بقيت حتى اليوم شاهدة عليهم. . وعلى تلك الحقبة التاريخية التى وصلت الينا بعد الاف من السنين. . بزغ القمر قويا. . مرسلا ضوءه الساطع على هذه الاصقاع ـ تحلق الطلاب. . قريبا من صارية العلم وسط أرض المخيم. . وراحت كل مجموعة منا تؤدى رقصة. . او اغنية وعلى مقربة من المكان الذى جلسنا فيه. . أشعل الطباخ محيى الدين شعلة من النار. . اضاءت المكان. . وكان بعضنا يساعده باضافة بعض الاخشاب. . والاعواد كلما خبا الضوء.

وقد تناولنا فى ليلتنا الاولى وجبة عشاء. . كانت اقرب ما تكون الى وجبة «المجبوس» الذى اعتدنا عليه فى البحرين. . وقبل ان ينتصف الليل. . طلب الاستاذ صفوت. . والاستاذ حسن حبشى منا. . مغادرة الحلقة والدخول الى الخيام. . والاستعداد للنوم. . وهكذا بدأ. . وأنتهى اليوم الاول للرحلة.

فى اليوم التالى صحا الجميع مبكرين الا بضعة افراد من المدرسين او الطلاب اصروا على الاستغراق فى النوم الى اطول مدة ممكنه. . وتكرم الاستاذ صفوت فسمح لهم. . الا انه ابلغنا بأنه لن يتسامح فى ذلك يوم غد. . والايام القادمة. . وذهب كل واحد منا الى ناحية من نواحي المخيم. . وأدينا تحية العلم. . ثم بعد ذلك بقليل تناولنا وجبة الافطار التى كانت عبارة عن اطباق لذيذة من الفول المدمس بالزيت والبيض المسلوق. . ثم الشاي. . وبعض البرتقال الذى أحضره احد الفلاحين. . حسب اتفاق معه كما يظهر. . على ظهر حمارين أحضرهما معه فى ذلك الصباح. . من ناحية البر الغربى. . على شاطىء النيل.

وكان أول «تعليم» أصدره الاستاذ صفوت. . هو التوجه الى البر الغربى. . لاحضار بعض اعواد الاخشاب والعصى. . بكل ما يمكن ان يساعد فى اعمال الطبخ. . واشعال نار المخيم. . قبل ان يبدأ برنامج اليوم. . وقد انصاع الجميع الى هذه التعليمات. .



■ رحلة طلاب مدرسة محمد علي الى الأقصر سنة 1946م .

وأنهيت هذه المهمة قبل ان تحل الساعة العاشرة صباحا.

بدأ برنامج اليوم الثانى بزيارة «معبد الكرنك» اكبر الاثار وأشهرها.. تجولنا بين أعمدة المعبد الرخامية التى تعلوها تيجان زهرة «اللوتس» المقدسة عن قدماء المصريين.. وزرنا «البركة».. وزرنا «طريق الكباش» وهو عبارة عن صفين من الاعمدة تؤدى الى أحدى المقابر.. المندثرة.. وأمام مسلة حاتشبسوت الملكة الفرعونية.. وقفنا نتأمل بخشوع هذه الاثار العظيمة التى خلفها اولئك القدماء.. مما يجعل أبناء هذا الوقت عاجزين ان يأتوا بشىء مما أتى به اجدادهم.. وبقينا نتجول بين هذه الاطلال.. والاثار.. والمقابر حتى حلول المساء.. وكانت وجبة الغذاء بضعة سندويشات منوعة أحضرناها معنا خلال هذه الزيارة.. وعدنا بعد نهاية الزيارة الى المخيم.. واستمر برنامج هذه الليلة كسابقه.. ولكنه تميز بالنوم المبكر.. ودون اشعال نار المخيم المعتاد.. وكنا نشعر ببرودة الطقس.

اما فى اليوم الثالث فقد اشتمل البرنامج على زيارة «وادى الملوك» وهو مقابر جماعية منحوته فى الصخر وفى عدة مواقع.. والمكان نقطة جذب قوية لجموع السواح الاجانب

الـذين يقصـدون هذا الموقـع طيلة أيـام السنـة تقـريبا. . وبصـورة خـاصـة فى فصل الشتاء. . وكان اكثـر ما لفت انظارنا فى جولة اليـوم. . اننا شاهدنا أفـواج السواح الذين جاءوا فى مجمـوعات كبيرة لمشـاهدة الاثـار. وهم اما مـن الفرنسيين. . او الالمان. . او الانجليـز. . وهم يمتطـون الحمير. . وقد قـام بعضنـا بـاستئجار عـدد منهـا من الاولاد الصغار والاولاد المنتشرين فى هذا المكان.

لقـد كان ركـوب الحمير فى هذه الجولـة اكبر متعة. . جعل بعضنـا يتسابق عليهـا. . وتمنينا لـو أنها ـ اى الحمير ـ بقيت معنـا طول اليـوم. توقفنا تحت سفح احـد التلال. . وتناولنا وجبة غذاء سريعة. . ثم بعدها واصلنا الجولة. . لمشاهدة مقابر الملوك العظام. . «توت عنخ آمـون» و «سنوسرت» الاول. . وكان أحـد الاولاد ـ كبير السن ـ يشرح لنا بطريقتـه الخاصة تفـاصيل تاريـخ هؤلاء الملوك. . والاعمال التـى قامـوا بها خلال فترات حكمهم. . وشرح الطـريقـة التى تتـم لنقل التـوابيت الـذهبيـة من هـذه القبـور. الى خـزانات المتحف المصري بمـدينة القـاهرة. . حيـث يتم حفظها. . وعـرضها هنـاك. . خشية ان تبقى فى اماكنها الاصلية التى اكتشفت فيها. . وتتعرض للسرقة او التلف.

فى اليـوم الرابـع لهذه الزيـارة. . بكـرنـا فى مغادرة أرض المخيـم. . لمواصلة زيـاراتنـا المكررة حسب برنامج الجولات. . فزرنا منطقـة «هابو» التى تقع على مسافة بعيدة داخل الصحـراء. . وتضم تمثـالين كبيرين ينتصبـان جنبـا الى جنب لـلآلـه «آمون» وصـاحبـه «الراهب» وهذا الموقع مـن اكبر مواقع الاثار فى مدينة الاقصر وقد زرت هـذه البقاع بعد اكثر من ٤٥ سنة. . وبـالتحديد سنة 1992 فشاهدت افتتاح العـديد من المقابر التى لم تكتشف بعد فى زيـارتنا خلال 1946. . كما لاحظت ان الطرق المؤديـة الى معالم المنطقة قـد شقت فى اكثر من اتجاه وصـوب. . وبدلا مـن قطعان الحمير التى كـانت منتشرة فى تلك الأيـام الخاليـة. . استعيض عنهـا الان بـارتـال السيـارات الحديثـة. . والبـاصـات السيـاحيـة. كما ان أفـواج السـواح من مختلف بلـدان العـالم. . قـد أزداد زيـادة كبيرة وأصبحت اعدادهم تتعدى عشرات الالوف كل عام.

دخلنـا اليوم الخامس فى الـرحلة. . وقـد طلب الاستاذ صفـوت والمدرسون تخصيصـه لتنظيف أرض المخيم ونقل ما تجمع من أوساخ وقمامة الى مكان بعيد. . ودفنها هناك.

وبعد وجبـة الغذاء. . قام أحـد المشرفين من المدرسين بالقاء شرح مفصـل عن الاثار التى تمت زيـارتها خلال الايـام التى انقضت. . وقام الطـلاب الذيـن احضروا كاميرات

التصـوير معهم بـالتقـاط الصور التـذكـارية. . وكـان يـوما «مفتـوحـا» للتعارف وتـوثيق العلاقات بين الطلاب.

وصلت الليلـة الأخيرة. . التى أمضينـاها بـاشعـال نار المخيـم وسط أرض المخيم. . واقـامة حفـل سمر شـائق اشتمل على كثير مـن فقرات التسليـة والمتعـة. . واشرف على تنظيم هـذه الليلة. . الاستـاذ «أمين افندى» أحد المدرسين. . الـذين لم يكـونوا يحضرون الى صفنا بالمدرسة واطفئت نار المخيـم عند حلول الساعة 12,00 بعد منتصف الليلة. . وآوى كل طالب الى خيمته.

وفى صبـاح اليــوم الاخير. . وعلى أصـوات رعـاة الماشيــة الـذيـن كـانـت تصل الى أسماعنا. . وهم يسوقونها الى الشاطىء ونقلها الى الشـاطىء الثانى. . كان أول ما باشرناه من نشـاط. . هو تحيـة العلم. . وانـزاله من أعلى الصـاريـة. . واعطاء الاشـارة بتفكيك الخيـام. . وتجميع ادوات الـرحلـة والامتعـة التى تخص الطـلاب. . حضر بعض العمال لمساعـدتنا فى هذه العمليـة. . وبعد ساعتين تقـريبا. . اختفى المخيم الـذى ضم شملنا خـلال الايام الماضيـة. . التى كـانت من احلى وأجمل الأيام. . وسرنـا فى طـابور طـويل متجهين الى الشاطىء حيث ركبنا احـدى الزوارق الراسية هناك. . كما فعلنا تمامـا عندما وصلنا. . ومن الـزوارق. . نزلنا على ضفة الشـاطىء الثانى. . ومنها الى محطـة القطار. . مرة اخرى.

لم تكن رحلة العـودة الى القاهـرة. . تشبه الرحلـة التى قدمنـا فيها الى الاقصر. . مع ان الطريق واحدة. . ولم تتغير وذلك لان معظم الطـلاب. . قد نالهم التعب. . ففضلوا ان يستسلموا للنـوم داخل عـربة القطار بعـد ساعـات قليلة من السفـر فى الوقـت الذى فضلت فيه شخصيا ضرورة مشاهدة ما نمـر عليه فى الطريق من مناطق وكثيرا من المزارع والحقـول. . وبعض المبانـى وغيرها. . وذلـك بفضل لون الشمــس التى كانـت ساطعـة طـول الوقت بعكـس ما كـان عليـه الحال وقت سفرنـا الى الاقصر. والتى هى بطبيعـة الحال ميزة مهمة لم تتوفر لنا فى تلك الرحلة.

المهم اننا وصلنا الى بيتنا بالزمالك. . قبل ان يحل المساء بقليل.

مؤخرا. . قـرأت فى أحد الدوريات اليومية التى تصـدر فى لندن. . كلمة قصيرة عن «هـوية» تـوت غنخ آمون. . بعـد 71 عـاما من اكتشـاف موميـائه من قبل علماء الاثـار المصرية او علم «المصريات» كما يطلق عليها. . جاء فى الكلمة:



■ رحلة الى مدينة الاقصر سنة 1946م.

«يبدو ان طبيعة الجدل بين علماء المصريات، جعلهم لا يتفقون على شىء حتى عن توت غنخ آمون. . الاثر الوحيد الذى عثر عليه كاملا. اذ عاد علماء المصريات بعد 71 عاما من اكتشاف مقبرة ومومياء «توت» ليختلفوا ويثيروا تساؤلا. . هل توت عنخ آمون هو نفسه «توت غنخ آتون» فعلا. . ام لا. . وهل المومياء التى عثر عليها تخصه ام انها لملك آخر. . وهل المقبرة التى وجد بها هى مقبرته التى وجد بها هى مقبرته ام لا. . وهل مات مقتولا. . وكيف قتل».

هذه التساءلات تؤكد انه لا توجد ثوابت متفق عليها بين خبراء الاثار. . ولكن الطريف فى الامر ان هذه التساؤلات صادرة هذه المرة عن «هِيئة الآثار المصرية» وليست عن باحث هاو. . او شخص يبحث عن الاثارة العلمية فى اوساط معاهد ومراكز الاثار العديدة فى العالم.

رئيس هيئة الاثار المصرية. . الدكتور عبد الحليم نور الدين. . يقول: جميع هذه التساؤلات محور بحوث ومناقشات المؤتمر العلمى الذى تشهده مدينة «الاقصر» حاليا. . ويقول خبير الاثار المصرية الدكتور عبدالرزاق محمود. . ان الغموض الذى يحيط بحياة «توت غنخ آمون» يثير العديد من هذه التساءلات والتى لم تجد اجابة حتى الان.

فقد تولى الحكم وعمره 9 سنوات. . ومات فجأة وعمره 19 عاما. . ولا يعرف أحد هل مات مقتولا ام مسموما. . والمقبرة التى عثر عليها هى أصغر مقبرة ملكية. . ولا يمكن ان تكون قد أعدت ليدفن بها ملك. . مما يعنى احتمالات ان تكون هذه المقبرة كانت تعد لأحد الامراء. . ودفن بها. . توت غنخ آمون بعد موته المفاجىء. . كما ان اثاره التى عثر عليها بالمقبرة عليها نقش لاسم «توت غنخ آتون» وعلى البعض الاخر نقش اسم «توت عنخ آمون».

كما توجد مقابر لم تكتمل بعد فى «وادى الملوك» الشرقى بالاقصر. . يتوقع علماء الاثار ان تكون احداها خاصة به.

انتهاء الاجازة.. والعودة الى المدرسة

بعد ايام. . عدنا الى المدرسة. . وانتظمت برامج الدراسة من جديد. . عاقدين العزم على بذل كل ما نستطيع من جهد فى سبيل الحصول على نتائج طيبة. . ومثمرة. . ترضينا فى الدرجة الاولى. . وترضى الاهل فى الوطن العزيز. . كما ترضى المسئولين فى

المعهد البريطاني. . وكان أرضاء هؤلاء ايضا شيئا لا بد منه.

فى هذه الفترة. . اى بعد عودتنا من الأقصر بأيـام. . تميزت بكثرة الرسائل التى كنت أبعث بها الى البحـرين. . الى الـوالد. . الاهـل والاصدقـاء. . وكـان لا يمر أسبـوع الا وأبعث بثلاث او أربع رسـائل اليهم. . كما بدأ الزمـلاء فى انتهاج هذه الطريقـة وفى هذه الـرسائل المسهبـة فى طولها. . كنـا نشرح مشـاهداتنـا والـزيارات التى نقـوم بها. . وادق الشئون والاخبار عن حيـاتنا وكانت الرسائل التى تردنـا من البحرين قليلة. . اذا قيست بعدد الـرسائل التى نبعث بها اليهم. . كـانت بعض الرسـائل التى تصلنا من البحـرين تستغرق فى طريقها حتى تصلنا ما يقرب من أسبوعين.

فى هذه الفترة ايضا. . قويت عادة التدخين لـدي. . وكنت أقوم بشراء علبة السيجاير كلما نفـذت منى. . من دكـان «أبـو علي» القـائم فى شـارع حسن صبري. . قـريبـا من مكتب البريـد. . وذلك رغم تـواضع مصروف الجيب الـذى احصل عليـه. . سـواء من راتب المجلس البريطـانى وهـو مبلغ خمسـة جنيهات. . او مـا يصلنى من مسـاعـدة من البحرين. . والى جانب شراء السيجـائر كنا أحيانا اذا ما توفرت لـدينا السيولة. . نشترى من هذا الدكان بعض الفاكهة. . او الفول السودانى. . المقلى والمقشر.

فى احدى زياراتـى الى القاهرة. . خلال عقد التسعينـات قصدت لزيارة هـذا الدكان بمنطقة الـزمالك. . فـوجدته فى نفس مـوقعه ويبيع الفـاكهة. . وان تغير مالكـه. . اكثر من مرة. . وأشتريت منه بعض العنب. . وفاء لايامنا القديمة فى هذا المكان العزيز.

لا أود ان انتقل الى فصـل جديـد. . قبـل ان أذكر هنـا بعض الخواطـر والحكـايـات الصغيرة التى دأبت على تدوينها منذ تلـك الايام البعيدة. . فى وريقات. . بقيت احتفظ بها. . وهى خواطر وذكريات كـانت تمثل بالنسبة لي. . وحى الخاطر فى تلك الفترة ولعل ذلك ما يميزها عن بقية هذه الفصول.

1- فى ظهر يـوم جمعة خلال الايـام الاولى لوصولنـا القاهرة عن لى والاخ عبـدالحميد الشتر. ان نـؤدى صلاة الجمعـة. . وقد اخترنـا جامـع السلطان «أبـو العلا» الـواقع فى طريقنـا بشارع فؤاد. . والقـريب من الكوبـرى. . لقد كـانت هذه الرغبـة تجربة قـاسية مررت بها. . ولم اكررها فيما بعد.

دخلنـا الجامـع لأول مـرة. . وفـاتنـى قبل ذلـك ان استـوضـح من زميلى بعـض المعلومـات. . او المناسك التى يتـوجب القيام بها. . داخل الجامع. . جلسنـا فى الصف

الثـانى الذى لا يبعـد كثيرا عن مـوقع منبر خطيب الجامع المنتصب أمـامنـا وسط الجامع تقـريبا. لاحظـت ان بعض الـداخلين. . وليس جميعهم يقـومون بتـأدية الصـلاة فى اى صف من الصفوف التى انتظموا فيها.

وبعد ان ينتهوا منهـا يظلون جالسين فى اماكنهم. . فى هدوء وخشـوع بارزين. . وقد سبقنى الاخ عبدالحميد فى القيام بهذا الغرض وبقيت انتظره حتى فرغ من ذلك وجلس فى مكانه الى جانبى.

قمت بدورى بتأدية نفس الفـرض. . ولكن ما حدث بالفعل هو اننى اديتهـا بطريقة مغايـرة لما يفترض ان تكون. . لقـد كنت اظن ان الفريضـة هى نفسها صـلاة الظهر. . والتى يشترط فيها ان تكون اربـع ركعات متتالية. . كما نعهدهـا فى كل وقت، ولكن بدا اننى ارتكبت خطأ فاحشا بتأديتى لهذه الصلاة.

فقد راح بعض المصلين القـريبين منا. . او الـذين جلسوا فى الصف الثـانى خلفنا. . وبعض المصلين الاخرين الجالسين فى جـوانب الجامع. . وغيرهم يرمقوننى بنظـرات كلها استغراب او استنكـار كما لاحظت. . لـدرجة اننى لم اعـرف تماما كيف انهيت صـلاتى وجلست فى مكـانى. . وانا فى أشـد حالات الخجل. . والخوف. . والعـرق يتصبب من جبينى. . وحين دنوت من الـزميل عبدالحميد همس فى اذنى بان الخطأ الـذى ارتكبته هو أننى اديـت الصـلاة بـأربع ركعـات. . بـدل ركعتين فقط كما تقضـى بـذلك المنـاسك الشرعية. . وذلك تحيـة وتكريما للجامع وهـى سنة متبعة فى جميع المذاهب الاسـلامية. . سواء كـان ذلك فى يـوم الجمعة. . او فى اى وقت يـدخل فيه المسلـم الى أحد المسـاجد لتأديـة الصـلاة المعتـادة. . ولأننى كنـت اجهل هـذه الحقيقـة. . وكـان ظنى ان أؤدى الصلاة كما أعهدهـا. . وخفى على ان صلاة يوم الجمعة تسقط تلقائيـا بتأديتها جماعة مع الامـام. . ولكن هذا مـا حـدث بالفعـل. . وظل ضميرى يؤنبنـى على هذه الغلطـة. . طويلا.

فى أحدى الامسيات الجميلة. . حضرنا حفلـة شاى اقامها السيد أف. جى. ويكلن مديـر معارف البحرين السـابق. . وأحد المسئـولين الكبار فى المعهد الثقـافى البريطانى فى القاهرة. . وذلك على شرف طـلاب البحرين الذين يدرسون فى القاهـرة. . كانت الحفلة فى بيت السيد ويلكن بضاحية المعادى. . جنـوب القاهرة. . المشهورة بحدائقها. . وعلى طريقـة (البيت المفتـوح) أو كما يسميها الغـربيون OPEN HOUSE وهى الطريقـة التى لا

يستقـر فيهـا المدعـوون فى مكـان واحـد من البيت. . فى قـاعـة او غـرفـة مثـلا، انتشر المدعـوون فى صـالـون البيت. . وفى الحديقـة الملحقـة وكـان السيـد ويكلن وزوجتـه لا يستقـران. . ويتنقــلان بين الموائد التى جلـس اليهـا بعضهــم. . بينما فضل الاخــرون الوقوف. . والانتقال من ركن الى آخر. . وراح السيـد ويكلن يحدثنا عن عمله السابق. . وعن تركـه البحرين. . وخلافـه مع مستشار الحكومـة. . تشارلس بيلجريـف وعن حياة سلفه السيـد ويلكي WILCKIE كما روى لنا تفـاصيل حادث وفـاة طفله «تيمـوتى» وعن المقترحات التى قـدمها الى حكـومة البحرين حـول النهضة بمستوى التعليـم فى البحرين ومعارضته لاساليب الادارة الحكومية التى كان يتبعها المستشار.

من هذه الاحـاديث التى كان يـرويها السيد ويكلن. . ومـا كان لنا ان نسمعهـا لولا هذه الحفلـة. . اتصح لنـا مقدار مـا يكنه هـذا الانسان من عطف وتقـدير للبحـرين. . وأهلها. . وهـو يندر وجـوده ـ عادة ـــ من هؤلاء القـوم الذين فطروا على حـب السيطرة والهيمنة على الشعـوب التى نكبت بهم على مر العصـور. . والواقع اننـا ما كنا نصـدق ما سمعناه. . ولكنه اثبت لنا صدقه فى كل ما قاله.



■ علي المسقطي، عبدالرحيم علي ومؤلف الكتاب.



■ في شارع فؤاد الاول بالقاهرة سنة 1946م.

اما قصة وفاة ولده.. فقد كنا لا نزال نتذكرها جيدا.. ونحن فى المدرسة الثانوية بالبحرين.. ولكن قصة خلافه مع المستشار فقد خفيت علينا.. تماما.. كما خفيت علينا قضايا اخرى.. الغريب اننا فى هذه الحفلة انتقلنا الى جو البحرين.. فقد انطلق الطلاب على سجيتهم وراح بعضهم باداء لعبة «المعجال» ولعبة «السفرة» فى ارجاء حديقة البيت الواسعة.. التى انتشرت فيها بعض الكراسى.. كان من بين المدعوين فى الحفلة.. الاستاذ فؤاد منيب.. شقيق الممثلة السينمائية.. مارى منيب.. والموظف بادارة المعهد البريطانى.. لم يحضر الاخر عبدالرحيم علي معنا هذه الحفلة لانه تأخر فى الصعود الى الباص الذى نقلنا من الزمالك الى المعادى وكانت هذه واحدة من عشرات القصص والمقالب التى تكون مثار تعليقات الطلاب عن الزميل عبدالرحيم.

2- هذه هى قصة قديمة.. يرجع فى تاريخها الى الايام الاولى من وصولنا القاهرة.. انقلها ضمن الخواطر التى انطبعت فى ذهنى ولما تمثله خير تمثيل لما كنا عليه من الغفلة والغشامة فى تلك الايام.

كان «الترامواى» الذى يقطع شوارع القاهرة فى تلك الفترة من الثلاثينيات والاربعينات وما بعدها.. والذى أسعدنا الحظ بمعايشته مدة ما كنا نعيش هناك.. كان هذا بالنسبة لنا حدث جديد نشهده لاول مرة.. كنا نسمع من الناس الذين يصادف ان نلتقى بهم ان هذا الترامواى العجيب يعتبر وسيلة من وسائل النقل العام والمواصلات فى كثير من بلدان العالم.. فى اوروبا غالبا.. وليس مصر فقط.. الا انه فى الواقع يمثل وسائل النقل فى القرن التاسع عشر وليس القرن الذى نعيشه حقيقة.. وهو القرن العشرين.. وكنا نسمع ايضا ان الحكومة المصرية تفكر فى استبداله بوسيلة اكثر حداثة هو قطار «المترو» السريع.. الذى يمتد من وسط القاهرة حتى ضاحية «مصر الجديدة» او «هيلو بولس» كما تسمى احيانا.. لكن «الترامواى» ومهما كان يقال عنه يظل بالنسبة لنا شيئا جديدا.

لقد كنت وغيرى من طلاب البعثة فى الايام الاولى نقف فى ارصفة الشوارع التى نمر بها.. فى رواحنا وغدونا من البيت نقف كالمشدوهين ونحن نشاهد عربات الترامواى تخترق شوارع القاهرة.. وهى غاصة بركابها الذين لا يكتفون بالجلوس داخل عرباتها.. بل يتسلقون اطرافها واحيانا سقوفها.. او كما كانوا يقولون.. يتشعبطون.

3- فى كثير من المرات.. عندما اغادر بيت البحرين.. وامر ببعض الشوارع..

اقف مبهورا وانا اراقب حركة سير هذه الترامـوايات واحدث نفسى بركوبها. . لرغبتى فى ركـوبها. . واكتشـاف المجهول الـذى اتـوقعـه فى كل محطـة يتـوقف فيهـا. . وحتى اخـر محطة. . اد اننا فى تلك الايـام لم نكن لنتصور ان تكون مدينة القاهـرة بهذا الاتساع وكنا نسمع عن مناطق واحيـاء هى من ضواحى القاهـرة. . واطرافها يستغرق الـوصول اليها سـاعـات طـويلـة. . ولما لم يكن بمقـدورنـا استعمال سيـارات الاجـرة. . او اجـرة الباصـات. . فأن استعمال وسيلة مواصلات رخيصة. . ومضمونة مثل عربـات الترامواى تبقى هى الوسيلة الافضل. . والاسرع.

4- ظهر أحـد الايام. . وبعد أن تنـاولت وجبة الغداء. . غـادرت البيت متجها الى الناحية الاخرى التى يقع فيها شارع أسماعيل محمـد حتى وصلت الى كوبرى الزمالك. . القريب من منطقـة «امبابة» على شاطىء النيل. . والتى تختلـف فى كل شىء عن منطقة الـزمالك التى نسكنهـا. . وقفت عنـد وصولى هنـاك قرب احـدى محطات الترامـواى. . وبعد تـردد لم يدم طـويلا ركبت عـربة الترام وكـان فى ظنى انه سيتجـه شمالا. . غير أنه خيب أملى. . وعاد يتجـه ناحية اخـرى. . حتى وجدت نفسى مـع بقية الركـاب الذين غصت بهم العـربات فى شـارع فـؤاد. . متجهين الى ميدان العتبـة. . وهى المنطقـة التى سبق وزرناهـا اكثر من مـرة. . كنت آمل ان يتجه الترام فى سيره منطقة امبـابة باعتبـارها منطقة جديدة لم نرها بعد.

كانت العـربة التى صعـدت اليها من عـربات الدرجـة الثانية ومـزدحمة بالـركاب عن آخـرها. . وكـان الركـاب من رجال ونسـاء ينـزلون ويصعـدون فى كل محطة نمـر بها فى الطريق. . وفى احدى هذه المحطات. . بـدلت مكانى. . وانتقلت الى جانب الشباك فى احد الصفوف الامامية من عربة الترام. . وجلس بجانبى راكب. . من ابناء السودان.

جـاء الكمســارى يطلب الاجـرة. . وكنت اعـرف انــه لا بـد لى ولغيرى مـن دفع الاجـرة. . التى قـد تختلف من راكـب لآخر حسـب مسـافة الطـريق، ولكنـى لغشمى تجاهلت فى الالتفات لما كـان يردده من كلمة. . ورق. . ورق. . يـا بهوات. . ظنا منى انه يطلب ورقـا. . قد يكون بحـاجة لـه ليدون شيئا. علما بأننى فى نفـس اللحظة كنت أقبض فى يدى على حفنة من قطع الفلوس أو «الفكـة» لتسليمه ما يطلب منها، بل اننى رحت احاول ايجاد العـذر لهذا التجاهل بالتفتيش فى جيـوبى بحركة مفتعلـة للعثور على اى «ورقـة» لتسليمهـا لهذا الكمسـارى المسكين وأخيرا حين اقترب منـى. . وبـدأ يـوجـه كلامه لى مبـاشرة اجبته بأننى ـ لـلأسف ـ لا أملك ورقا لاعطيه إيـاه. . وفى ذات الوقت

أدرت وجهى مما حمله على الاسترسال فى الضحك.. وامالة طربوشه على رأسه وكان يقول فى عبارات سريعة.. افندية أيه دول يا عالم.. عجيبة والله.. انقول ايه بأه..

اخيرا تدخل بيننا أحد الركاب.. وطلب منى اعطاء الكمسارى بعض ما أحمله من فكة حين رآها فى يدى.. وتكلم وقال هو صحيح ان ما معاكش ورق.. امّال أيه دول اللى فى ايديك بأه ما دول برضه ورق.. والاّ الورق شكل تانى.. قولوا معاى الحمد لله.. بعد هذه الحادثة حرصت ان أحمل معى الفكة المطلوبة كلما صعدت الترام.. واعطاء الكمسارى أجرته قبل اى راكب آخر.

كنت مارا مساء أحد الايام فى شارع عماد الدين.. ومن مكان قريب من سينما «الكوزمو» لفت انتباهى منظر بائع الفول والحمص البلدى «السنبل» الذى اوقف عربته الصغيرة قريبا من مدخل دار السينما المذكورة.. كانت رائحة الحمص تفوح من العربة.. وموقد النار فى العربة يتصاعد منه الدخان الذى يزكم الانوف فى الشارع.

5- لم اتمالك نفسى امام «الاغراء» المتمثل فى عربة البائع. فسلمته ورقة نقد بمبلغ ٥ قروش.. فناولنى كيسا مكورا تناولته من يده وانا احسس حرارته التى لا تزال تنبعث منه بجانب رائحته النفاذة.. وغادرت المكان.. وانا ألتهم ما فى الكيس حبة حبة حتى أتيت على ما فيه. وفى يوم آخر قصدت احد الدكاكين التى تبيع هذه الاصناف من «الحبوب» بميدان السيدة وسلمته نفس المبلغ اى ٥ قروش.. ولكنه اعطانى كيسا ممتلئا بالفول والحمص.. وبعض «الحب». وتذكرت ذلك البائع اللعين الذى ضحك علي فى شارع عماد الدين حين باعنى تلك الكمية التى لا تقاس بدكان البائع بالميدان.. وكنت اتمنى ان التقى هذا البائع كلما مررت بشارع عماد الدين.. ولم يخب ظنى فقد التقيت به.. وأنبته بشدة على فعلته معى.. ولكنه رد علي بكل برود.. انت غلطان يا ابنى.. روح.. الله يفتح عليك وعلينا.. ومرت ايام اكتشفت فيها ان بالامكان شراء نفس الكمية التى غشنى فيها ذلك البائع الشاطر.. بعدة مليمات فقط.

6- الى الغرب من بيتنا.. تقع عمارة سكنية مؤلفة من عدة ادوار. تقيم فيها عائلات.. جميعهم من الاسر الاجنبية الذين يعملون فى الشركات والبنوك والمتاجر الكبرى بالقاهرة.

كانت نافذة احدى الشقق فى هذه العمارة تطل مباشرة على البيت وترتفع الى مستوى نافذة غرفة السطوح.. ولما كانت المسافة بين الغرفتين فى العمارة والبيت قريبة.. فقد

كان من السهل جدا مشاهدة ما يجرى فيهما بالنسبة للمقيم فى اى منهما.

كانت غرفة السطوح الصغيرة فى البيت كما نسميها شبه مهملة تقريبا. اذ لا يقيم فيها احد من الطلاب.. ولذلك فان نافذتها الوحيدة المطلة على شقة العمارة المقابلة تبقى مغلقة بالمتاريس فى معظم الأيام. ولا تفتح الا حين يحضر احد الخدم لفتحها للتهوية.. بعكس نافذة غرفة الشقة المقابلة.. فإنها تظل مفتوحة معظم اليوم حيث تحضر خادمة لنشر غسيل الاسرة على حبال ممدودة فى ردهة الشقة.

كنا نلحظ هذه الحركة اليومية.. ولكن دون ان تثير اى اهتمام من قبل اى طالب من سكان البيت.

بعد مدة.. اكتشف بعض الطلاب ان الزميل (...) لا يتواجد فى غرفة الجلوس.. او بقية مرافق البيت.. وحتى فى غرفة النوم فى كثير من الايام.. وقد التقيت يوما بالزميل المذكور وسألته عن سر غيابه وانقطاعه فذكر لى انه حصل على اذن خاص من السيد مدير ادارة البيت بالاقامة لوحده بغرفة السطوح.. لوعكة صحية ألمت به - كما أدعى - ولرغبته فى مذاكرة الدرس بعيدا عن إزعاج الزملاء.

ولم يكن فى ما ادعاه الزميل اى غرابة.. فقد كان بعضنا فعلا يذاكر الدروس فى السطوح.. ويقضون اوقاتا هناك.. لكن دون ان يفكر أحد منهم فى دخول اى من الغرفتين الصغيرتين الموجودتين هناك.

ومرت بضعة ايام تبين ان القصة التى رواها الزميل.. تخفى هدفا او سرا لم يتكلم عنه.. ولم تمر بضعة ايام اخرى حتى تكشف هذا السر. وهو يتلخص ان الزميل (....) شاهد من خلال تواجده فى الغرفة ان غرفة الشقة المقابلة تسكنها فتاة أجنبية.. لعلها فرنسية او ايطالية.. فى مقتبل العمر.. ذات جمال فتان.. وهى طالبة بلا شك فى احدى المدارس الاجنبية.. وذلك من شكل «المريول» الذى ترتديه.. وقد شاهدها مرة وهى تدلف الى الغرفة.. وتخلع عنها ذلك المريول.. وتستبدله بثياب تحضرها من الخزانة التى تجاور سريرها فى الغرفة.. ثم تروح بعد ان يتم ذلك تتمدد فى السرير.. وتقوم بحركات تحرق اعصاب الحليم (حسب تعبيره).

استمر الزميل فى مراقبة الفتاة.. وهى بالطبع مطمئنة كل الاطمئنان الى ان أحدا لا يمكن ان يراها فى مثل هذا الوضع داخل غرفتها.. واستمر هذا الحال بضعة ايام.. كان صاحبنا لا يفارق الغرفة حتى عرف بالقصة زميل آخر.. كان ينضم اليه فى





■ في بيت البحرين بالقاهرة سنة 1946م .

الغرفـة . . ولكن الزميـل الآخر كان سيـىء الحظ . . فلم يشاهـد مما كـان يرويه الـزميل شيئـا . . وقد انتشر خبر سر الغـرفة بين الطـلاب. وكـان يفترض ان تنتهى القصة عنـد هذا الحد . . الا ان الـزميل داخلتـه الشكوك انـه «صاحب حق» وان الفتـاة الغافلـة ربما تبادلـه «العواطف» و«الحب» ولذلك راح يفكـر فى ايجاد وسيلة ما تقربـه اليها . . وليثبت لبقية الـزملاء انـه فعلا يعيـش حالة حـب حقيقية . . لا يعـرفونها. وقـد هداه تفكيره فى أمسيـة أحدى الليـالى بان يـرسل عبر المسافـة الفاصلـة بين الغرفتين . . بقطعـة خشب صغيرة كتب عليها بخط جميل عبارة I LOVE YOU . . وقد افزع سقوط الخشبـة فى غرفة الفتـاة أسرتها ممـا حـدا بوالـدتها الى الخروج الى بلكـونـة الغـرفـة وتوجيـه عبـارات اللـوم والاستنكار . . وعندمـا علم الاستاذ حبشى بالقصة تحدث الى السيدة والـدة الفتاة واعتذر عن تصرفات الـزميل ووعدها بعدم تكـرار هذا العمل . . ومن يومهـا لم يسمح لأحد من الطلاب . . بارتياد غرفة السطوح.

بعد ان أسـدل الستار على هذه القصـة . . وقعت قصة اخـرى . . لكنها لحسن الحظ انتهت بسرعة. وملخصها ان أحد طلاب البعثة حـاول مغازلة احدى الفتيات التى دأبت ان تسلك فى طـريقها الى بيتهـا . . شـارع اسماعيل محمـد . . مساء كل يـوم . . وتبين ان الفتاة هى كـريمة الوزير المفوض لاحـدى الدول العربية الشقيقة فى مصر . . وقـد قامت هذه الفتاة بابلاغ والدها الذى أبلغ بدوره السيد مدير ادارة البيت.

وقـد جمعنـا السيد المديـر مسـاء اليـوم نفسـه وطلب منـا التقيـد بالاخـلاق والسلـوك الحسن . . حفاظـا على السمعة الطيبـة التى يتمتع بها طلاب البعثـة . . وتجنب التورط فى مثل هذه المشكلات. ويجب علي ان اذكر فى هذا الصـدد . . انه فيما عدا هذين الحادثين لم يحدث ان قـام أحـد من طـلاب البعثـة . . بما يشين او يخدش الحيـاء طيلـة المدة التى أمضيناها فى القاهرة.

علاقاتنا .. مع المعهد البريطانى

كانت عـلاقات طـلاب بعثة البحرين . . قـائمة ووثيقـة مع المعهد الثقافى البريطـانى بالقاهـرة منذ اللحظة الاولى التى وطأت اقـدامنا أرض مصر . . فقد كان هـذا المعهد هو الجهة الرسمية الوحيدة المسئولة عن شئون الطلبة ورعاية مصالحهم.

كما كان مسئولا ايضا عن رعاية شئون ومصالح طلاب الكويت.. الذين سبقونا بالقدوم الى القاهرة.

وقد كان معلوما لدى الجميع ان البحرين وشقيقتها دولة الكويت كانتا فى تلك الفترة لا تربطهما اية بعثة دبلوماسية او قنصلية مع مصر. وكانت بريطانيا تتولى رعاية مصالح كثير من الدول العربية.. وغيرها فى كثير من دول العالم.. ومن الايام الاولى لوصولنا.. كنا نذهب الى ادارة المعهد.. التى تقع فى شارع متفرع من شارع فؤاد.. يعرف بـ «سكة المغربى» لتسلم الراتب الشهرى.. الذى يقوم المعهد بدفعه الى جميع الطلبة.

كان هذا الراتب هو مبلغ خمسة جنيهات مصرية لا تزيد.. وهذا المبلغ وان بدا زهيدا.. الا انه كان مبلغا لا يستهان به فى تلك الايام.

كان يتولى ادارة المعهد السيد هايوود.. الذى سبق وزارنا فى البيت.. وقت ثارت أزمة الطعام من قبل بعض الطلاب. كما زار السيد هايوود البحرين قبل سفرنا.. واننى لا أستبعد ان السيد هايوود هو الذى أوصى حكومة البحرين على إرسال الطلاب لاستكمال دراستهم فى القاهرة.. وقد اكد هذه الحقيقة السيد ويكلن.. مدير المعارف السابق حين دعانا لحفلة خاصة فى بيته بالمعادى.

وخلال الاجازة الصيفية كان المعهد يقوم بتنظيم دروس خاصة فى اللغة الانجليزية.. التحقنا بها.. كما التحق بها ايضا عدد من طلاب بعثة الكويت.. واننى اتذكر ان من بين المدرسين الذين كانوا يقدمون هذا الدروس.. مدرسا عجوزا من مالطة.. اسمه المستر «ماكاليف» كان هذا المدرس يجيد الحديث باللغة العربية.. بالطريقة او الاسلوب الذى نشهده فى الافلام السينمائية.. وقد دأب هذا الرجل على تملقنا بشتى الوسائل كلما حضرنا لزيارة المعهد.. كان عندما يرى أحدا منا يبادر الى دعوته للجلوس فى مكتبه.. وطلب الشاى.. وخلال مثل هذه الجلسات القصيرة يحاول ان يتعرف الى احوال الطلاب.. والحياة داخل بيت البحرين.. ومن الامور التى لفتت نظرى.. هو قول المستر «ماكاليف» بأن الاموال التى تصرفها حكومة البحرين على طلابها فى القاهرة.. ليست فى محلها.. ولا أدرى حتى اليوم ماذا كان يعنى بهذا القول..

قبل ان نعود الى البحرين.. علمنا بأن السيد «ماكاليف» كان هو الموظف المسئول عن اعداد التقارير الخاصة بطلاب البعثة.. وتقديمها الى المسئولين بالمعهد.. وهذا

يعني انـه الموظف الاول المطلع على شئون الطلبـة. . والى جانـب هذا المدرس. . يـوجد مـدرس آخر. . انجليـزي الجنسية اسمـه «جولى» وكـان متعصبـا. . ومتجهم الوجـه. . ومتعاليا. . وقد لاحظنا انه كان يميل الى الطلبة الكويتيين اكثر من طلبة البحرين.

بعـد قيـام ثورة يـوليـو 1952 الظـافـرة فى مصر. وفى السنـوات الاولى لتأميم قنـاة السويـس. . قرأنـا فى الصحف ان المعهد الثقـافى البريطانى فى القـاهرة. . كـان «وكرا» للجاسوسية من قبل السفـارة البريطانية فى مصر. . وان أجهزة كثيرة اكتشفت فى المبنى. . وقد هدم المبنى عـن آخره فى اوائل الستينات. . ولاحظت خلال زياراتـى الى القاهرة. . ومشاهداتى للمكان. . ان صالة لعرض اللـوحات الفنية. . ومتاجر للملبوسات والازياء الحديثة قد اقيمت مكـان مبنى المعهد. . لم يكن أحد منا ليتصـور ان تتكشف الايام عما كان يـدور فى اروقة المعهد من دسـائس ومؤامرات يحيكهـا المسئولون فيـه. . ولم يكن من المستغـرب ان تصـل تقـاريـر المعهـد عن الطــلاب او غيرهم الى المسئـولين وهـى تحمل الافتراءات والاكاذيب.

فى سياق الحديث عن المعهد البريطانـى. . وعن الانجليز يطيب لى ان أذكر شيئا عما كنـا نشهده من احـداث او نسمع بـه من اخبار. عـن الوضع السـائد فى مصر فى تلك الأيام.

كـانت مصر كغيرهـا من اقطـار العـروبـة فى تلك الفترة تـرزح تحت نير الاستعمار. . وكان النفـوذ والسيطرة البريطـانية ظـاهرة على كثير من نـواحى الحياة. . ونحـن وان كنا لانزال صغـارا عندما حللنا بـالقاهرة. . كنـا نحاول ان نقارن ما نشـاهده فى مصر. . بما نعهده فى البحرين. . وكنا نعجب كثيرا لهذا التغلغل الاجنبى فيما حولنا.

لم يكن ليثيرنى شيء اكثر مـن ان أشاهد الجنود البريطـانيين من انجليز. . وغيرهم. . وهم ينطلقـون فى شوارع القـاهرة ومنـاطقها على دراجـاتهم الناريـة السريعة. . ويمـرون احيـانـا على العـربـات العسكـريـة التى يستعملهـا افـراد الجيـش المصرى. . او رجـال الشرطة. . كان هـؤلاء. . وأولئك يلتقون أحيانا وجها لـوجه. . ولكن المصريين يكظمون غيظهـم اذا ما حدث ذلك بينهما.

كان مبلغ علمنا فى ذلـك الوقت ان الجيش البريطانى يرابط فى منطقـة مدن القناة. . السويس وبورسعيد. . وربما الاسكندرية. ولكـن ان يكون افراد منه يتواجدون فى وسط القـاهرة فـان مثل ذلك لا يصـدق. . ففى ميدان «الاسماعيليـة» الذى تحول الى ميـدان

«التحرير» بعد ثـورة ١٩٥٢. كانت هناك ثكنة عسكرية قديمـة.. ربما ترجع فى تاريخها الى مـا قبل عهد الخديـو اسماعيل، يطلـق عليها «قشـلاق النيل» مكـان فندق «هيلتـون النيل» حاليا.

وفى حى الزمالك.. حيث يقع بيت البحرين بشـارع اسماعيل باشا محمد تقع إحدى الفلل السكنية.. التى تسكنها عـائلة ضابط بريطانى عالى الـرتبة بلا شك.. يقف على مدخلها جندى بريطانى شاكى السلاح يحرسها على مدار الساعة.

كما توجد بيوت كثيرة فى الزمالك.. يحرسها جنـود بريطانيون.. مثل هذه الفيلا التى تجاورنا.

كنت أتابع مـا ينشر فى جريدة «الاهرام» او غيرها من الجرائد اليـومية المصرية.. من تحركـات ونشـاط السفير البريطـانى «لـورد كيلرن» الـذى كـانت شخصيتـه طـاغيـة فى المجتمع المصرى فى تلك الفترة.. وفى حى الـزمالك.. كان يسكن عـدد كبير من رجال السياسة.. من مصريين واجانب.. وعدد مـن السفراء اتذكر منهم محمود جم.. سفير ايـران.. ومحمـد صادق المجـددى سفير افغـانسـتـان.. وقد كـان بيتـه قـريبا مـن بيت البحـرين، وتعـرفـت الى أحـد اولاده واسمـه «عثمان» ولكن العـلاقـات معـه لم تستمـر طويلا.. لسفره عائدا الى كابول.. لاسباب عائلية.

خـلال المفـاوضـات التـى كـانت دائرة فى ذلك الـوقـت بين الحكـومتين المصريـة.. والبريطانيـة.. لتعديل نصوص معـاهدة سنة ١٩٣٦ المعقـودة بين البلدين.. كان يـدير تلك المفاوضات من جانب مصر.. دولة اسماعيل صـدقى باشا.. رئيس الوزراء.. جار البيت. لقـد كنا نسمع مـا يتناقلـه الناس فى القـاهرة.. من طـلاب وغيرهم.. عن ان هـذا البـاشا.. مكـروه من سـائر طبقـات الشعب المصري.. ولا يكنـون لـه اى ود او تقدير.. نظرا لما عهد عنه من سطوة.. وتجبر.

وكنا فى غـدونا ورواحنـا من البيت الى المدرسة.. نشـاهد عسـاكر الجيش البريطـانى تجوب الشوارع.. وتتصـدى للمظاهرات التى يقوم بها الطـلاب والعمال.. المصريون.. وكانت الصحف المصريـة تنشر صباح كل يوم أخبـار هذه المظاهرات والمصـادمات التى تقع بين القائمين بها مع جنـود الجيش البريطانى.. أو أحيـانا الشرطة المصرية الـوطنية. ولكنها كانت تصب جام غضبها على حكومة صـدقى باشا.. وتتهمها بالتهاون فى حفظ وصيانة كرامة المصريين.. ولكـن هذه الصحف نفسها.. ولا سيما الصحف المصورة..

مثل «المصـور» . . ومجلـة «الاثنين» كـانـت تغـدق على الملك فـاروق . . وافـراد العـائلـة الملكية . . شتى الالقـاب . . والرتب الرفيعة والاوصاف . . وتنشر أخبـارهم . . وتنقلاتهم بصـورة ملفتـة للنظـر ولـدرجـة ان غير المتتبع للشئـون المصريـة الـداخليـة فى تلك الفترة التاريخية الغـريبة يحسب ان هؤلاء الافراد . . من أسرة محمـد علي . . أمراء وأميرات ونبلاء ونبيـلات . . فوق مستـوى البشر العاديين . . وان النقـد لا يمكن ان يطالهم . . وكنـا . . ونحن أبعـد ما نكـون عن معـرفـة ما يـدور فى مصر مما يتصـل بهذا الجانب . . او حتى غيره . . نعجب أشـد العجب ونحـن نقـرأ فى الصحـف الصـادرة . . مـا يكتبـه رجـال الصحافـة من مقالات مدح وتزلف . . لـذات الملك . . وبقية الأمراء . . بل وللبـاشوات من رجال السلطـة . . والحكام . . وذوى النفـوذ فى مصر. لقد كانت أيـاما . . غـريبة . . وعجيبة .

مناسبات عامة.. وذكريات

خلال فترة اقـامتنا فى القـاهرة . . والتى لم تكن طـويلة على أيـة حال . أسعـدنا الحظ بمشـاهدة او حضـور بعض المنـاسبـات العامـة التى صـادف وقوعهـا او وقتهـا فى تلك الفترة . . والـواقع انها مناسبـات كانـت تقع فى كل وقت . . ولم تكن مميـزة او خاصـة . . سوى اننا نشهـدها للمرة الاولى . . وهى احداث هامـة ولا شك . . وقل ان تتكرر بتلك الصورة التى شهدناها فى هذه السنوات .

من أهم المشاهدات التى اتذكرها . . الاحتفـال بمناسبة عيد الجلوس الملكى . . الذى يصـادف شهر فبرايـر . . من كل عـام . . اتذكـر انه فى الايـام الاولى من هذا الشهـر . . ازدانت شوارع القـاهرة . . والمحـلات التجارية . . والمبـانى العامـة . . والحدائق والقصور وعلى الاخص الشـوارع الكبرى . . والميـادين بحلـة قشيبـة من الـزينـات . . والالـوان . . والانـوار الكهربـائيـة . . وفى ليلة الاحتفـال خرجـت جموع الناس . . وطلبـة المدارس . . وطـالباتها . . ومجمـوعـات من فـرق الجيش وألـويته . . مـن مختلف الـرتب . . واطلقت الانوار والالعـاب النارية . فى هـذا الاحتفال الذى نشهـده لاول مرة ذهبت بـرفقة بعض الزمـلاء من طلاب البعثة . . وأخذنـا لنا مكانا فى شـارع عبدالعزيز . المتفـرع من ميدان العتبة . . وبقينا فى هذا المكـان ساعات طويلة . . شهدنا فيها مـرور مواكب الكشافة من بنين وبنـات . . ومجمـوعـات مـن عمال المصـانع . . ومختلـف المهن . . وبعـض من ممثلى

الهيئات والجمعيات.. او المؤسسات التجارية والحكومية وهم يمرون فى مجموعات.. مجموعة فى اثر مجموعة.. وهم يحملون اليافطات المعبرة عن هذه المناسبة.. وبينها تمر بين فترة واخرى مجموعة من افراد الفرقة الموسيقية.. يعزفون الالحان والمارشات العسكرية.. كان جميع الواقفين معنا على أرصفة الشوارع يرددون ان الموكب الملكى.. سيمر بعد قليل. وقد مرت فترة طويلة.. ولم نشهد ذلك. وقيل لنا ان الموكب قد اتجه الى طريق آخر غير الطريق الذى كنا نقف فيه.

إننى أتذكر ان اهم ما شاهدناه فى مناسبة هذا العيد.. موكب «الشعلة» فقد كان يضم افرادا من رجال الجيش يرتدون الملابس الفرعونية المزركشة.. ويسيرون على اقدامهم يحفون بالعربة الملكية التى يجرونها فى الطريق.. وهو منظر فريد.. قل ان يتكرر هذه الايام.

فى نفس الشهر شهدت القاهرة مناسبة عظيمة اخرى لا تقل فى اهميتها عن أهمية الاحتفال بعيد الجلوس.. ان لم تزد عليها بكثير. هذه المناسبة.. هى الزيارة الملكية التاريخية التى قام بها صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لمصر بدعوة كريمة من صاحب الجلالة الملك فاروق الاول.. ملك مصر.

وكان الملك السعودى قادما من لقاء جمعه مع الرئيس الامريكى روزفلت ورئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل فى قناة السويس بعد اعلان انتهاء الحرب العالمية.. وكان هذا اللقاء بين الزعماء الثلاثة لقاء تاريخيا.

فى ذلك اليوم.. وكان الوقت مساء.. وقبل ان تغرب الشمس.. خرجت القاهرة عن بكرة أبيها.. تلاميذ المدارس.. وطلاب الجامعة وعشرات الآلاف من فئات الشعب المصرى.. وآلاف من افراد الشرطة اصطفوا فى الاماكن والشوارع التى تقرر ان يمر بها الموكب الرسمى الذى يضم الملكين المصري.. والسعودى.

وأخذت مكانى مع بعض الزملاء.. والمئات من المشاهدين قريبا من مدخل فندق «الكونتننتال» المقابل لدار الاوبرا الملكية. وقد حاول كثيرون زحزحتنا من مكاننا هذا.. ولكننا تمسكنا به ولم نغادره. مر الموكب.. وشاهدنا الملكين فاروق وآل سعود داخل العربة الملكية التى كانت تتقدمها كوكبة من الخيول المطهمة.. ومن خلفها أرتال من السيارات الملكية الفخمة التى يستقلها افراد من الامراء السعوديين وافراد من الحاشية.. وكبار رجال الحكومة.. والمسئولين وغيرهم.



■ الزيارة الملكية التاريخية التى قام بها صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لمصر بدعوة كريمة من صاحب الجلالة الملك فاروق الاول.. ملك مصر.

صفقنا طويلا . . والموكب الملكى يقترب من المكان الذى وقفنا فيه. كانت الطريق التى سلكها الموكب قد فرشت بالرمل الاحمر . . او الاصفر حتى مدخل قصر «عابدين» الذى حل به الملك الضيف خلال زيارته.

لا اعرف كم استمرت هذه الزيارة، ولكن جميع الصحف المصرية دأبت على الحديث عنها . . ونقل التحقيقات الخاصة بالمملكة العربية السعودية ونواحى الحياة فيها وذلك لعدة ايام.

واتذكر انه بعد ايام من هذه الزيارة . . طلب مدرس اللغة العربية فى مدرستنا من تلاميذ الصف ان نكتب موضوعا أنشائيا عن الزيارة . . بعد ان أعطانا صورة من العناصر الرئيسية التى يقوم على أساسها الموضوع المطلوب.

كانت هذه المهمة بمثابة «الواجب» وقد حصلت على تقدير جيد هو 13/15 . . ونصحنى المدرس المذكور بتدوين بعض العناصر على الصورة التى شرحها للتلاميذ . . حين اعداد موضوعات جديدة. ولازلت احتفظ بالموضوع فى كراسة الصف الخاصة

بالمدرسة.

ومن المناسبات التى حضرناها.. جنازة المغفور لها السيدة صفية زغلول.. أرملة الزعيم المصري الوطنى سعد زغلول.. او «أم المصريين» كما كانوا يطلقون عليها.. لقد كانت جنازة مشهودة سار فيها المئات من المشيعين.. من كبار رجالات الدولة.. والاحزاب، كان معى.. ونحن نشاهد موكب الجنازة.. الطالب عثمان صادق المجددى.. نجل السفير الافغانى بالقاهرة.. والطريف أننا فور مرور الموكب.. ذهبنا لمشاهدة افلام سينمائية قصيرة كانت تعرض فى احدى دور السينما القريبة.

كما شهدنا جنازة المرحوم أحمد محمد حسنين باشا «رئيس الديوان الملكى» كان هذا الباشا من كبار رجال السياسة فى مصر. وطالما كان اسمه يتردد فى الصحف وهو يحمل لقبا طويلا لا يتمتع به الا القلة النادرة من الباشوات وهو لقب «صاحب المقام الرفيع» كانت الجنازة خارجة لتوها من أحد الجوامع القريبة من ميدان ابراهيم باشا «الاوبرا» ومن الشخصيات التى شاهدناها تسير فى هذه الجنازة شيخ الجامع الازهر.. والسفير البريطانى «لورد كيلرن» وامراء.. ونبلاء من اسرة محمد علي.. ووزراء وضباط. ويتقدم الجميع أحد الباشوات الذى يمثل جلالة الملك فاروق وفرقة موسيقى.. وحاملى باقات الورد.. وسار خلف هؤلاء جموع غفيرة من الناس.. من مختلف الطبقات والفئات.

كان مشهد مثل هذه الجنازات.. شيئا غير مألوف لنا.. وفى أحاديثنا عندما نتواجد فى البيت.. ونروح نتحدث فيما بيننا عن مثل هذه المشاهد.. ينتابنا الشعور بأن ما يجرى فى البحرين.. أو ربما غيرها.. وبين ما يجرى فى مصر. بصورة خاصة يختلف فى كثير من التفاصيل.. بل والشكليات وذلك لان مصر كبلد اسلامى.. او شرقى.. استطاع ان يحافظ على العديد من التقاليد والعادات التى تكاد تنعدم فى كثير من بلدان الوطن العربى. وهذا ايضا ما يجعل مصر تحتل مكانة مرموقة بين سائر دول العالم فى الحضارة والنهضة.

لقد كنا نسمع عن كثير من الاحتفالات والمناسبات التى تقام فى القاهرة.. او غيرها من الاقاليم والمدن.. والقرى.. ولكنه كان من المتعذر حضورها او مشاهدتها فى مكان اقامتها بالذات وذلك لاعتبارات كثيرة.. او ظروف عامة.

ومن المناسبات التى ستظل ماثلة فى بالى.. هى الاحتفال بعودة الحجاج المصريين

التاريـخ المدون. وفعلا وفقت الى اكتشـاف ثلاث مـدن. احداها حـول قلعة البحـرين. والثانية منطقة معبد باربار والثالثة في منطقة المطلة.

وبقدر مـا اطرب البعثة الـدانماركية العثور على هـذه المدن الثلاث، وبقـدر ما فتح امامهم من توفر امكانيات التنقيب على هذه الجزيـرة الغالية، بقدر ما هون امامهم من سحر لغـز مقبرة ما قبل التـاريخ، وجعلهم يفتنون في تحقيق حلـم طالما راود العلماء وهوالكشف عن المكان الحقيقى لديلمون التى ترددت في سجلات التاريخ: وهنا فرض نفسه سؤال: هل هى بحريننا الحالية؟

وفي ذلك يحدثنا البروفسور Glod فيقول:

«على الرغم من ان العلماء قـد اهتموا بالبحـرين لوجود هذه المقبرة كلغـز تاريخي كبير، الا ان الـذي دفع علماء الاثار والتـاريخ والجغـرافيا والاداب وفقـه اللغة لترديـد اسم البحريـن كان شيئا أخـر ايضا. وهو تـرجيح كونها دلمون الاسم الـذي تردد في اول سطور قصة التاريخ، حيث اقترن بقصـة الطوفان في اقدم صفة لها. وحيث اتخذ «نوح» السامريين والبابليين سكنا، المكـان الذي قصده «جلجامش» على ارض الرافدين القديمة بحثا عن الحياة الابدية كما تقول اساطير الاولين.

ولقد استحـوذت مشكلة البحث عن المكان الـذي كان «دلمون». على اهتمام العلماء منذ 81 – 1880 ولقد رجح اخيرا احتمال ان تكون جزر البحرين.

وفي رأي Cornwell ان الاسم بمثـابة ايضـا الساحل المقـابل من شبـه الجزيرة العربية وساحل الاحساء» وان اساس ما تـوصل اليه من اكتشافات هناك عام 41 – 1940 «انتهى كلام البروفسور Glod.

ومن الـدلائل التى تحسسها العلماء لترجيح كـون بحريننـا الحالية هـي ديلمون القديمة، البحث عن مخلفات تثبت علاقتها بالتجارة بين حضارتى وادي السند ووادي الرافدين وقد تحقق الكثير من الدلائل في هذا الصدد.

من تلك الدلائل النقش المسمارى الوحيد الذي عثـر عليه فوق هذه الجزيرة، والذى عثر عليه Durand في جدار احد المساجد ونصه بالخط المسماري البابلي ما يلي:

«قصر ريمون خـادم انزاك مـن «قبيلة عقـارم» وهذا في رأي Glob يؤكد عـلاقة البحرين بارض الرافدين القديمة، حيث كان يعبد «انزاك» باسم «نابو».

من المناسبات العزيزة التى لا تنسى. . حضور الحفل الذى اقيم مساء احد الايام فى شهر مارس 1946 بمدرجات كلية الآداب بجامعة فؤاد «القاهرة» لمناقشة الرسالة التى تقدم بها الاستاذ حسن حبشي مدير ادارة بيت البحرين لنيل درجة «الماجستير» وكذلك الحفل الثانى الذى اقيم مساء يوم 16 يونيه 1946 فى نفس القاعة. حضر هذا الاحتفال عدد من طلاب الجامعة من مختلف الكليات وعدد من الاساتذة وبعض زملاء المدير. . كما حضر بعض الكتاب والادباء ممن تربطهم علاقات وثيقة معه. وقد ترأس اجتماع اللجنة الدكتور محمد شفيق غربال بك. وكيل وزارة المعارف المصرية فى ذلك الوقت. . يعاونه استاذان من رجال الجامعة. . وكانوا جميعا يرتدون لباس الجامعة الرسمى «الروب الجامعى».

وقف الاستاذ حسن فى زاوية من القاعة. . يشرح موضوع الرسالة. . ويرد بطلاقة ورباطة جأش على كل ما يوجه اليه من اسئلة واستفسارات عن عبارات ووقائع وردت فى الموضوع وكان موضوع الرسالة «نور الدين. . والحرب الصليبية». استمرت المناقشة اكثر من ساعتين. . وبعد المداولة والتشاور بين اعضاء اللجنة. . القى الرئيس كلمة دقيقة. . اعلن فيها فوز الاستاذ حبشي بالشهادة. . بمرتبة «شرف جدا» وقام عدد من الحاضرين داخل القاعة بتهنئة الاستاذ حبشي. . وصفق له عدد كبير بينما لم يكتف البعض بذلك بل راحوا يقبلونه فى حرارة وصدق. . متمنين له نيل الشهادة الكبرى وهى الدكتوراه، وكذلك قمنا نحن قبل ان نعود الى البيت ونحن فى أحسن حال. . وأنعم بال. . وقد كانت هذه اول مرة. . نحظى فيها بزيارة رحاب الجامعة. . او مرفق من مرافقها.

يقتضينى الانصاف. . ان أذكر هنا بعض الملاحظات التى تكونت لدي عن الاستاذ حسن حبشي. لقد كان شخصية محبوبة فى البيت من قبل جميع طلبة البعثة. . وكنا جميعنا نكن له الاحترام والتقدير. . منذ اليوم الاول الذى حل فيه بيننا مديرا لبيت البحرين. . ولا أتذكر ان احدا من الطلاب او غيرهم شكا منه. . او نقل عنه. . كان الاستاذ حبشي فى الاوقات التى تحلو له يتحدث كثيرا عن الفترة التى امضاها فى العراق فى التدريس بدار المعلمين فى بغداد. . وكانت تتردد فى هذه الاحاديث التى نروح ننصت لها بكل تقدير واهتمام. . كلمات عراقية اصيلة. . مثل آغاتى. . الويش. . اكو. . وماكو.

كان الاستاذ حبشي يبدى ملاحظاته اللاذعة احيانا حين يسمع أحدنا يتحدث

بلهجة البحرين.

لقد كانت هذه القضية وامثالها احدى «الغمامات» الثقيلة التى ظلت تحلق فى سماء البيت وتعكر صفو الحياة فيه بعض الاحيان.. حين يصر بعض طلبة البعثة على استعمال تعبير دون آخر. كان الاستاذ حسن يجيد الحديث اللغة الانجليزية اجادة تامة كما كان ينطق باللغة الفرنسية بطلاقة تامة.. وهو الى جانب هاتين اللغتين يتحدث اللغة الاسبانية وبعض الكلمات والتعبيرات باللغة اللاتينية القديمة.. كل هذا.. الى جانب ما يتابعه من فكر ورأي فيما ينشر فى الصحف والمجلات المصرية المتخصصة آنذاك.

كان الاستاذ حسن شديد الحرص عندما يصادف ويحدث لاحدنا ان يدخل الى غرفته. كان يحرص ان لا يقرب احد من جهاز التلفون الموجود على طاولة المكتب القائمة فى إحدى زوايا الغرفة الجميلة.

ولا اذكر ان أحدا من طلاب البعثة استعمل جهاز التلفون الا نادرا.. انا شخصيا لم أجد فى نفسى حاجة لاستعماله.. مطلقا. هذا ولم يكن الاستاذ شديدا فى معاملته لأي فرد من افراد البعثة.. بل على العكس من ذلك.. فقد كان الجميع على صلات طيبة معه.. يعامل الجميع دون تفريق.. وكان بمثابة الوالد الحنون للجميع، ولكنه كان يظهر الجد والحزم حين يحدث خلاف او إشكال فى البيت، وينتهى الامر بقبول الطلاب لتوجيهاته.. دون مناقشة. ولقد سار الاستاذ على اتباع هذا الاسلوب.. حتى آخر يوم بقى فيه معنا.. قبل ان تتفرق السبل بنا بعد ذلك.. ولقد وعدنا الاستاذ حسن بزيارة الى البحرين اذا ما سنحت له ظروف عمله بذلك. لكن مرت سنوات وسنوات طويلة - حتى الآن - ولم تتحقق هذه الامنية لنا او لأستاذنا.

ان هذا يذكرنى دوما.. بما أسمعه خلال بضع السنوات الاخيرة منذ منتصف الثمانينات.. بحديث يذاع من اذاعة «نداء الاسلام» من مكة المكرمة.. وهى الاذاعة السعودية المعروفة.. بصورة منتظمة فى بعض الليالي.. والحديث بعنوان: قصة إسلام صحابى.. ويذكرنى صوت مقدم هذا البرنامج وهو كما يذاع.. الدكتور حسن حبشي.. بصوت استاذنا مدير بيت البحرين بالقاهرة أواخر الاربعينات. وخلال احدى الزيارات التى قمت بها الى الرياض.. اتصلت ببعض الاقسام فى اذاعة الرياض للاستفسار عن شخصية الدكتور حسن حبشي واحتمال ان يكون هو استاذنا بعظمه

ولحمه ــ كما يقولـون ـ الا انني لم أقف بعـد على الحقيقة. . وقـد ذكرني احد الـذين اتصلت بهم في الاذاعـة. . ان الاستـاذ هـو مصرى. . كـان يعمل منـذ زمن في احـدى الجامعات السعودية وكان يعمل في تقديـم بعض «الاحاديث» للاذاعة. . بطريق تسجيل الاشرطة «الكاسيت» ولكن لا أحد يعرف عنوان الدكتور حبشى في القاهرة.

وهكذا تبقى قصـة الاستاذ حبشى. . احدى الحلقـات التي لا تزال تشـدني اليها. . وتذكرني بتلك الايام الخوالي بالقاهرة رغم مرور هذه السنوات الطويلة.

خواطر.. وتأملات

في فترة من فترات اقـامتنـا بـالقـاهـرة. . وبخــاصـة قبل نهايـة السنـة الـدراسيـة. . استحـوذت على اهتمامي بصـورة غريبـة رغبـة الاطلاع والنظـر في كل مـا كـان يكتب في الصحف والـدوريات المصريـة الصـادرة في تلك الايام. . مـن مصورة وغير مصـورة عن الحياة التي يعيشهـا افراد الاسرة المالكة في مصر. هـذه الحياة التي كانت تبـدو لي ولناس كثيرين أشبـه ما تكـون بقصص الخيـال. . والغرائب. لقـد كانـت تلك الصحف تنشر تعليقاتها وحكـاياتها. . في صـورة تحقيقات مصورة احيـانا. . مـركزة على الحيـاة الخاصة التي يحيـاها اولئك النفـر من البشر. . من أمـراء وأميرات. . ونبلاء ونبيـلات من سلالـة محمد علي باشا الكبير. . والي مصر.

كنت مهتما ان احصل بـأى طريقـة على اعـداد متفرقـة من مجلـة «الاثنين» و«الدنيـا» الاسبوعيـة المصورة. . او مجلـة «المصور» التي يـرأس تحريرهـا الكاتب الصحفـي الذائع الصيت آنـذاك فكرى اباظة بـاشا. . او احصـل على اعداد نـادرة من مجلة «اللطـائف» المصورة التـي كانت تصـدر في مصر منذ حقبـة طويلـة في الثلاثينـات قبل ان تنقطع في اوائل الاربعينـات. كان يصـادف ان احصل على بضعـة اعـداد منها بمبـالغ زهيـدة من اكشـاك بيع الصحف والكتـب القديمـة المنتشرة على اسـوار حـديقة «الازبكيـة» بميـدان الاوبرا والقريبة من ميدان «العتبة» الخضراء.

منذ تلك الفترة. . والى ما بعـد قيام ثورة 23 يوليو 1952 كان اهتمامي يزداد بتتبع

هذه الاخبار والتعليقات. . ويذكرني ذلك بشراء مجلد ضخم يضم اعداد مجلة «المصور» الصادرة سنة 1929 التي تحمل في صفحاتها كماً هائلا من المعلومات والصور. النادرة والتحقيقات التي كانت تجري بطريقة تلك الايام. . عن اخبار الدنيا في كل حقل. . وفي كل مجال. . وما زخرت به تلك الحقبة الزمنية الماضية من عجائب. . وغرائب. . وحتى بعد عودتنا الى البحرين بعد ذلك ومرور سنوات طويلة عليها. . بقي اهتمامي قويا راسخا بمطالعة تلك الصحف والمجلات. . وحين يخطر لي احيانا ان أتساءل عن السر الذي يكمن وراء ذلك. . رغم تغير حال الدنيا. . وتغير حال كل شيء فيها. . فإنني لا أجد اي تفسير واضح له. . لكنني اليوم ارجع ذلك الى انني قد انتمي الى جيل استقرت في قناعاته الشخصية المكانة الموجودة التي كنا نعيشها او نشهدها عن قرب في منطقتنا وما يتصل بها من قضايا قد تتلاقى أو تتعارض مع وجهات النظر التي لا تتلاءم مع التيار السائد في هذه المنطقة من الوطن العربي. . في الوقت الراهن.

كان اكثر ما يثير اهتمامي هو تلك الصور الجميلة التي تنقلها المجلات عن حياة الملكين السعيدين. . فاروق الاول. . وفريدة. . والعالم المحيط بهما سواء في حياتهما الخاصة. . او من خلال الجولات والزيارات التي يقومان بها داخل مصر او خارجها من حين لآخر.

وكانت التعليقات المنشورة توحي بأن هذا الرباط الذي يربط بين الملكين رباط قوي. . ولا يخطر لاحد ان يتخيل في ذلك الوقت ان تنفصم عراه. ولكنني من خلال قراءاتي لما كان يصدر عن الملك من تجاوزات وخروج عن كل الاعراف. . والعادات. . توقعت ان تلك السعادة التي ما فتئت صحافة تلك السنين ان تحسنها وتجملها لا بد ان تزول.

حتى جاء يوم تحدثت فيها كل الاوساط عن الخلافات الناشئة بينهما وان هذه الخلافات ستؤدي الى الانفصال. . وبالفعل وكما شهدت فقد تحققت هذه التوقعات وتم طلاق الملك. . والملكة.

فاروق. . ملك مصر والسودان. . وفريدة. . سليلة الحسب والنسب. . او محبوبة الشعب. . صافيناز ذو الفقار كما عرفها الناس بهذا الاسم دوما.

من اهتماماتي. . الغوص في كل ما كان يكتب او ينشر عن حياة الامير محمد علي. . ولي عهد المملكة المصرية. . وكم كنت اعجب لكون هذا الرجل قد تخطى كثيرا سن

الملك نفسه. وقد كنت اظن ان يكون هذا الرجل.. نظرا لسنه قياسا لسن الملك ان يكون وصيا على العرش.. او عضوا فى مجلس الوصاية.. كما كان وضع الامير عبدالاله بن علي.. الوصي على عرش العراق.. ولا ادرى كيف كانت العلاقة تقوم بين فاروق.. الملك.. وهذا الامير. لكن قواعد البروتوكول السائدة فى القصور الملكية تلك الايام كانت قد شكلت اسسا وقواعد متفقا عليها سار عليها المسئولون فى مصر.. لكن من غير شك ان علاقة الملك فاروق بولي عهده هذا.. كانت من الغرابة التى لا يمكن ان تصدق فى هذه الايام.

كانت الصحف تنشر كثيرا عن العلاقات التى تربط بين افراد الاسرة الملكية وعلاقاتها مع الاسر الملكية فى البلاد الاوروبية.. وغيرها من بلدان العالم.. والزيارات التى يتبادلونها.. والرحلات التى يتم تنظيمها.

ويتم مثل هذا النشر فى الصحف فى صورة يكاد يخيل للقارىء انها لا تمت بصلة الى عالمنا الذى نعيشه.. بل هى اقرب الى عالم الخيال.. انها حياة البذخ والرفاهية.. والأنس والبهجة.

احد هؤلاء الامراء الذين حرصت على تتبع اخبارهم.. وكل ما ينشر عنهم فى الصحف.. هو الامير يوسف كمال. ولا اظن ان الكثيرين قد سمعوا به. انه واحد من بقايا الاسرة الذين كانت لهم صولات وجولات قبل ان يعتلى الملك فاروق عرش بلاده. وكان لهذا الأمير قصور فى بلاد الصعيد.. ومزارع واسعة. ومما يذكر عنه انه كان يطلب من الفلاحين فى مزارعه بان يرووا الاراضى بالماء المحلى بالسكر.. رغبة فى ان يأتى الانتاج على الصورة التى يهواها الامير. فى الوقت الذى كان فيه اولئك الفلاحون لا يجدون بعض حبات من السكر.. ذاته.. لاستعمالهم فى حياتهم المعيشية اليومية. بل أنى قرأت مرة بأن الامير يوسف كمال كان يأمر الفلاحين بحرق الكميات الزائدة من انتاج الغلات فى مزارعه.. حرصا منه بان لا تذهب لصالح الفلاحين.. وفائدتهم.. الى غير ذلك من القصص الغريبة.

قصة اخرى عن أمير آخر.. هو النبيل عباس حليم.. ولقب النبيل هذا يقل فى المرتبة قليلا عن لقب الامير. لقد عرف عن هذا النبيل تحرره من التقاليد الملكية السائدة بتلك الايام.. وما يربط بينها من بروتوكولات وانظمة.. وكان يعرف عنه انه هو الامير الشعبى المعارض فى أسرة محمد علي.. ولقد مر وقت كان يظن فيه ان عباس

حليم كـان يطمع فى عرش المملكـة. . وانه ضـالع فى مؤامـرة لاغتيال المـلك فاروق. . وازاحته عن عرشه. . وتروي الصحف المتخصصـة فى هذا الشأن روايات وحكايات اين منها قصص هوليوود وافلام السينما التى كانت رائجة فى تلك الايام.

وإن أنسى لا أنسى تلك المقالات اللاهبة والاقـاويل والحكايات التى لا اول ولا آخر لها. . التى كانت تنشر. بعد قيـام ثورة يوليو. عن سلوك وحياة الملكـة نازلى. . والدة فاروق. . ومـا كان يشـاع عنها. . وعن العـلاقات التى كـانت تربطهـا برئيس الـديوان الملكى. . صاحب المقـام الرفيع. . أحمد محمد حسنين بـاشا. أحد ابـرز رجالات الحكم والسيـاسـة فى مصر. خـلال فترة الثـلاثينـات بـل وحتى الاربعينـات. ومـن منـا يجهل الفضائح التى انتشرت على اثـر ثورة التحرير فى يـوليو. . وراحت تتحدث عن حكـايات وقصص بطلهـا الاوحـد. . جـلالـة الملك المعظم. لقـد طـالت مثل هـذه الفضـائح. . سيدات فى نفس الاسرة. . ويكفى ان اذكر هنا قصة الاميرة فـاطمة. . قرينة الامير عمر طوسون احد كبار رجال الاسرة المعروفين.

أمـا مغامـرات الملك مع سيـدات رجال الحاشيـة والوزراء وغيرهم. . فـان المقام هنـا يضيق بها لو أردنـا ذكر تفاصيلهـا. وفى السنوات الاخيرة. . وربما الى اليـوم. . لم تتوقف سلسلة الكتـب والمؤلفات التى تتحـدث عن سيرة تلك الفترة العصيبة مـن حياة مصر. . ولعل مـن أشهـر مـا كتـب فى هـذا المجـال. . الكتـاب الـذى قـام بنشره. . الايطـالى المعـروف. . انطون بـولى. خـادم الملك. ولا اخفي انـه تجمع لدي عـدد كبير من هـذه الكتب. . الرخيصة وامثالها. . استعار مني بعض الاصدقاء بعضها. . ولا زلت احتفظ بالباقي حتى الآن. . ولكل شىء نهاية.

ذكريات فى رمضان

خلال شهر رمضان. . سعـدنا كثيرا بزيارة عدد من الادبـاء والكتاب. . ورجال الفكر الذين تـربط بينهم علاقة بالاستـاذ حبشى. وقد تمت بضع زيارات قـام بها هؤلاء الادباء الى البيت ومنهم الاستـاذ الدكتـور زكى مبارك. . صاحـب الكتب والمؤلفات المعـروفة. .

ومنها كتاب «ليلى المريضة فى العراق» وكتاب «الموازنة فى الشعر الجاهلى» وغيرهما.

كانت امسية جميلة حين زف الينا الاستاذ حسن زيارة الدكتور مبارك.. وحين وصوله.. انفرد الاستاذ حسن به طويلا فى غرفة مكتبه يتحدثان فى امور لم تتح لنا الفرصة الى الاستماع الى ما كان يدور بينهما من حديث.. ولكن الدكتور مبارك أمضى معنا بعض الوقت فى غرفة الاستقبال.. وبدا لنا ان الدكتور مبارك فى تلك الامسية ربما كان يعانى من بعض التعب والارهاق. وكان اكثر ما لفت نظرنا عنه انه كان «مبهدلا» فى ملبسه ومظهره.. وعندما سألنا السيد المدير عن حقيقة ذلك.. قال ان ذلك هو سمة العظماء.. الذين لا يهتمون بالمظاهر. وقبل ان يغادر الدكتور زكى مبارك عتبات بيت البحرين.. وعدنا بالاجتماع واللقاء معه فى فرصة قريبة.. كما وعدنا باهداء بعض كتبه بمناسبة هذه الزيارة.

لكن الايام مرت.. دون ان يتحقق ذلك اللقاء المرتقب ودون ان يحصل أي منا على هدايا الكتب التى وعد بها.



,, كما أنسنا بـزيارة الاستاذ محمـد سعيد العريـان. احد الكتـاب المثقفين المصريين.. واحـد كبـار المسئـولين بـوزارة المعـارف المصرية. ويظهـر ان الاستـاذ العريـان لم يشأ ان يتحدث الينـا فى هذه الزيـارة. والتقطنا معـه بعض الصور التذكارية.

وزارنـا فى البيت الاستاذ «محمـد امين حسـونة» المحـرر بـدار الهلال. وكـانـت تنشر لـه مقـالات معـروفـة بمجلـة «الاثنين» وبمناسبة هـذه الزيـارة اهدى الاستـاذ حسونـة بعض كتبه الى عـدد من الطلاب.. وكان من بينهـا نسخا من كتابه (ساعات الصمت) وكتاب اخر عنوانه (الباب الذهبي) وهو قصة مصرية قصيرة. ،،

ومن الادبـاء والكتاب الـذين زاروا البيت خـلال شهر رمضـان ايضا الاستـاذ الشاعـر «علي احمد بـاكثير» الحضرمي/ اليماني الاصل والذى عـرفنـا انه نـزح من بلده واستقـر في مصر. وآثر الاقامـة فيها لسنوات طويلة. وهـو من الادباء المعروفين يومئذ بـالقاهرة. . وله عـدة مؤلفات منهـا رواية (سلامـة) التى اشتركت في تمثيل قصتهـا كوكب الشرق (ام كلثـوم) في فيلم سينمائي عـرض في البحـريـن كما اتـذكـر في اوائل الخمسينـات. ولاقى الفيلم نجاحا كبيرا فى البحرين.

ومن زوار رمضـان ايضـا. . المؤرخ المصرى الكبير الاستـاذ حسن ابـراهيـم حسن. . والاستاذ. . محمد عبدالواحد خـلاف رئيس تحرير مجلة «الثقافة» التى احتجبت قبل ذلك بسنوات. والاستاذ «الشيخ كامل عجلان» وهو من رجال الجامع الازهر.

وكان مـن المؤمل. . كما وعدنـا الاستاذ حبشى . . ترتيـب زيارات الى عدد آخـر من الادبـاء والمفكـرين. . ســواء فى البيت. . او في بيتهم ومكـاتبهـم امثـال الـدكتـور طـه



■ مع الاستاذ حمد سعيد العريان وكيل وزارة المعارف العمومية بمصر سنة 1946م .

حسين . . وعباس محمود العقاد . . وتوفيق الحكيم. والذين عرفنا ان الاستاذ حسن تربطه بهم علاقات وثيقة. وكان من الممكن ان تتم مثل هذه الزيارات . . لو امتد بنا الوقت فى القاهرة. ولكن حال دون ذلك . . تتابع الاحداث التى توالت على بيت البحرين. ومن الكتاب والادباء الاخرين لا أنسى الاستاذ المعروف والذائع الصيت . . سلامة موسى الذى شغفت وبعض طلاب البعثة بما كان يكتبه من مقالات فى الصحف . . او ينشره من كتب . . ومؤلفات تتسم كلها بالجرأة والحداثة . . مما عرض هذا الاستاذ الى الوقوع ضحية التنديد به وشن الحملات عليه . . لا لشيء الا انه مصري . وينتمى الى الطائفة القبطية التى تناصبها العداء بعض الاوساط فى مصر.

حتى اننى اذكر ان احد الكتاب «الوقحين» كتب مرة عن الاستاذ سلامة موسى . . بأن جل ما يكتبه وينشر له بالصحف المصرية هو من وجهة نظر ذلك الكاتب . . اراء هدامة . . وخطيرة . . وهى تمثل فى رأيه نوعا من انواع الادب الرخيص . . الذى يخدم غايات المستعمر واهداف الاجانب المقيمين في مصر. وقد اطلق ذلك الكاتب على مقالات الاستاذ سلامه موسى : صفة «الادب المراحيضى» .

واعتزازا منى . . بما كان يدبجه الاستاذ موسى من مقالات وينشره في مجلات . . وكتب . فقد عملت ـ جهدي ـ على اقتناء ما صدر له من كتب ومؤلفات . . احتفظ منها بما يلي :

1- مقدمة السوبر مان

2- اسرار النفس

3- هؤلاء علمونى

4- عقلي وعقلك

5- ما هى النهضة

6- الشخصية الناجعة

7- كيف نسوس حياتنا بعد الخمسين

8- اشهر اللهجات

9- الانسان قمة التطور

10 -حرية الفكر.. وابطالها فى التاريخ

11- نشوء فكرة الله

12- مختارات.. سلامة موسى

13- مشاعل الطريق الى الشباب

14- الادب والحياة

15- انتصارات انسان

16- المرأة ليست لعبة الرجل

17- الادب الانجليزي الحديث

18- احاديث الى الشباب

19- الدنيا بعد 30 عاما.

20- حر ية العقل فى مصر

21- مصر اصل الحضارة

22- البلاغة العصرية واللغة العربية

23- احلام الفلاسفة

24- برناردشو

25- التثقيف الذاتي

26- فن الحياة.. والحب

27- الاشتراكية

28- الصحافة.. حرية ورسالة

29- غاندى.. الحركة الهندية

30- اليوم.. والغد

31- النهضة الاوروبية

32- الادب للشعب

33- هؤلاء علمونى

34- فى الحياة

35- نظرية التطور.. واصل الانسان

36- اشهر قصص الحب فى التاريخ

37- جيوبنا.. وجيوبهم

38- العقل الباطن

39- محاولات سيكولوجية

40- تربية سلامة موسى

41- مختارات.. سلامة موسى

42- الجريمة .. والعقاب (مترجمة) دستوفسكى

43- مقالات ممنوعة

44- الادب والحياة

45- الحب فى التاريخ

وقـد اخبرني احد الاصـدقاء ان سـلامة مـوسى قـد خلف وراءه اكثـر من ٥٠ كتابـا والمعروف انه لازال يوجد عدد اخـر من كتب المؤلف. . لم يسعدنى الحظ بالحصول عليها حتى اليـوم. . لكن بهذه السلسلـة من كتبـه ومـؤلفـاتـه يكون استـاذنـا الكبير على رأس الكتاب. . والادباء. . في مكتبتى المتواضعة. . واحاول استكمال المتبقى من كتبه.

في هـذا الشهـر. . فـان رمضـان يختلـف كثيرا عن سـائر شهـور السنـة وكثيرة هى الـذكـريـات المرتبطـة بهذا الشهـر. . وفي بلـد مثل مصر. . فـان رمضـان يعنـى الشيء الكثير. وخصـوصا في احيـاء مدينـة القاهـرة القديمـة وفي ازقة وحـوارى هذه الاحيـاء الشعبيـة. . مثل حي الازهـر وسيـدنـا الحسين. . والسيـدة وبـاب الشعريـة وبـولاق. . وغيرها.

لقد كنا سعـداء الحظ ان يمر هذا الشهر ونحن نقيم بـالقاهرة لنشهد احداثـا ما كان متيسرا ان نشهدها عـن قرب لولا مثل هذه الاقـامة. ولكن اهم ما يميـز هذا الشهر. . وليـاليه بصـورة خاصـة. . هو صـورة اولئك النفـر من الاطفال. . بنين وبنـات. . وهم يطـوفون الطـرق والشوارع يحملـون فوانيس رمضـان المزخرفـة. . وهم يرددون: رمضـان جـانا. . واحـوى واحوى. . في اصـوات والحان ينخلع لها اللب. . اصوات جميلـة تعبر عن فرحة الاطفال بقدوم هذا الشهر الفضيل الذى تفيض افراحه وبركاته على الجميع.

وكنا ونحن نشهـد الاحتفال بهذا الشهر نطوف في بعض الليـالي. . ببعض الاحياء. . ونتـوغل الى داخل الازقـة والطـرق العتيقـة المتفرعـة منهـا. . نشـاهد جموع النـاس وقـد احتشدوا بـالقرب من دور العبادة. . الجوامع والمسـاجد حيث اقيمت السرادقات الـزاهية بالـوانها ومفروشاتها. . لاداء شعائر الصـوم. . وتلاوة الادعية والموشحات. . واى الـذكر الحكيم. كما يتجمع النـاس ويتحلقـون في مجمـوعات بـالمقـاهى الشعبيـة المنتشرة في كل مكان. . ومن اشهـر تلك المقاهي. . مقهى «الفيشاوى» الواقعـة قريبا من جامـع سيدنا الحسين .ان اهم ما يميز هذا المقهى المشهور هو ان السواح من كل جنسية يقصدونه. . ويمضون فيه اوقات جميلة قد تمتد الى سـاعات يحتسون فيه الشاي. . او المشروبات التى ينفرد به شهـر رمضان، مثل قمر الدين. . وما شـابهه. ويبقى هذا المقهى . . وغيره من المقاهى الاخرى عامرة بروادها الى ما بعد السحور وساعات الفجر الاولى.

الى اليوم. . مـا برحـت تلك المشاهـد الحية التى يقضيهـا الناس فى ليـالي رمضان. . مـاثلة في ذهنـي. باعـة المأكـولات والحلـويات بمختلـف اشكالها والـوانها. . وحلقـات الـدراويـش. . ومشـايـخ الطـرق الصـوفيـة. . واتبـاعهـم. . والحواة. . والمهـرجين. .

والزمارين او الطبالين. . والعوالم والمغنين والمنشـدين. . واصنافا متعددة من البشر لا تقع تحت حصر. لقد كنـا نقضى ساعات طـويلة نتجول فيها بين حـي الحسين وحى السيدة زينب. . نشاهد فيها هذه الصور. وكنا لا نعود الى البيت الا في ساعات متأخرة.

في ليلـة من الليـالي دعينـا لحضـور وجبة افطـار رمضـانيـة في بيت السيـد المديـر. . واستقبلتنا عندما دخلنا شقيقته الانسة (امينة) ولاول مـرة منذ وصولنا القاهرة . . نتذوق اصناف الطعام المصرى الاصيل. الى جـانب ما تزخر به موائد رمضـان الخاصة مثل قمر الدين. . والملـوخية بالارانب. . واصنافـا عديدة لا اتـذكرها كانت هـذه السهرة في بيت العائلة لمجموعة محدودة من الطلاب اعقبتها سهرة مماثلة لمجموعة اخرى.

ويذكـرني رمضـان باشيـاء. . منها ان عددا معـروفا مـن الطلاب. . دأبـوا على عدم التقيد بالتقاليد. . والاعراف السـائدة فى هذا الشهر الكريم. . ولم يكن بعضهم يخفي انه لا يصـوم الشهـر. . رغم ان وجبـة السحـور كانـت تقـدم قبل مـوعدهـا المحـدد عـادة بسـاعتين. وكان بعض الطلبـة قـد دأب الى اللجوء الى طبـاخ البيت «العم محى الـدين» لمسـاعدتهم فى الحصـول على مـا يتفضل من اطبـاق رمضانيـة من الليلـة الماضية. وكـان بعضهم يـذهب الى المطـاعم العامـة بشارع عماد الـدين. . او شـارع سليمان ويحصل على بغيته من طعـام. . او شراب. . وقد كـانت بعض تلك المطاعم تقـدم خدمـاتها للسواح ولـلاجـانب مـن غير المسلمين في كل وقـت وعلى الاخص المطـاعم التـى يتردد عليهـا اليونانيون والارمن. . وغيرهم.

في احدى الليالي. . قمت بالترتيـب مع مجموعة من الطلاب بجولة طـويلة. . اخذتنا من البيت في الزمالك. . حتـى موقع استراحة اهرام الجيزة. بعد ان قطعنـا شوارع طويلة حتى وصلنـاها. وفي طـريق العودة. . حططنـا الرحال في احـد المقاهـى الشعبية الفقيرة وتناولنا بعض المرطبات. . ومنها اللبن الزبـادي. . والكازوزة. ويظهر ان مكوثنا بالمقهى قد طـال. . قد جعل صاحبـه يسهى عن وجودنـا فيه. . مما حملنـا على مغادرة المقهى. . دون ان نقوم بتسديـد قيمة ما شربناه. . وبقينا نتـذكر هذه الحادثة مـدة. . ولما كنا نشعر بالتعب من جراء تلك الجولـة. . فقد فضلنا ان نعود بالترام بقية المسافـة المتبقية لنا حتى نصل شـارع فـؤاد. . والطـريق المؤدي الى بيتنـا بـالـزمـالك بعـد ان امضينـا اكثـر من ٦ ساعات فى هذه الجولة.

واشتملت زياراتنا وجولاتنا الرمضـانية على التردد في بعض الليالي على حديقة الازبكية حيث يتيسر بعض الاحيـان شراء الكتب الـرخيصة. . التى لا تتعـدى اسعـارها مـلاليم

وقروش والى اليـوم فانني احتفظ بمجموعـة من هذه الكتب. كـان يستحوذ على اهتمامي مجموعـات المجلات والصحف القـديمة. . او الكتب التراثيـة القديمـة ومرة اتذكـر انني اشتريت كتـابـا تراثيـا وهي نسخـة جيـدة. . رغم انها مستعملة بمبلـغ زهيد لا يتعـدى جنيها ونصف ولكنني بعد سنوات مررت بنفـس الدكان فى الازبكية. . وسألت عن نفس الكتاب وما اذا كـان من الممكن الحصول عليه. . فـاجابني البائع بانـه سيحاول ان يعثر عليه لـدى احد اصحـابه من بـاعة الكتب القـديمة ولكن المبلـغ الذى يطلبـه هو ١٥٠ جنيها. . ورغـم ان هذا المبلغ يـزيد اضعـافا على المبلغ السـابق. . الا انـه باسعـار هذه الايام يتعـدى مبلغ متواضـع. ولعل الكثيرين يدفعـون فيه اكثر مـن هذا المبلغ لـو قدر لهم الحصول على نسخة من هذا الكتاب القديم.

في بعض الليـالي. . كنا نـذهب الى بيت الكويـت الذى يقع قـريبا من بيتنـا. . وفي نفس شارع اسماعيـل محمد. . حيث نحضر السهرات او النـدوات التي يقيمها بمنـاسبة شهـر رمضان. كـانت هـذه السهـرات تشتمل علي محاضرات لاحـد مشـايخ الـدين. . وقـراءة عطرة من أي الـذكر الحكيم. . يعقبهـا تعليق من احـد الاساتـذة الحاضرين. . وملاحظـات بعض طلاب بعثـة الكويت عليهـا. كان يـدعى لهذه السهرات عـددا من الادبـاء والكتاب. وفي بعض الليـالي تعـرض الافلام الثقـافيـة. . او المسلية. . وكنـا في بيت البحرين. . نفتقد فعاليات كثيرة تقام في بيت الكـويت. . لو قمنا بمقارنة الاحوال بينهما. ولكننا لم نكن نشكـو او نتذمر من ذلـك. . وذلك بسبب ضخامة عـدد طلاب الكويت الـذين يزيـدون علينا بأربع مـرات. . وربما لعوامل اخـرى لا مجال الى التطرق اليها.

اما الشيء الـوحيد الـذى حز في نفوسنـا فهو في الـواقع عدم اغتنامنـا فرصـة انقضاء الشهر. . وحضور صـلاة العيد وخطبته التى حلت صباح يـوم جميل. نحن نصحو على مناداة المؤذنين من كل المساجـد المحيطة بنا لحضور الصلاة. . ونشاهـد مجموعات الناس يصطحبـون معهم اطفـالهم وهم يهرعـون الى هذه المسـاجـد، لا ادري السبب فى عـدم حضورنا، وتفـويت هذه الفرصة علينـا لربما كان ذلك تقاعسا مـن السيد المدير. ولكن هذا ما حدث وبقينا. . ونحن قلة من الطلبة. . نادمين عليه مدة طويلة.

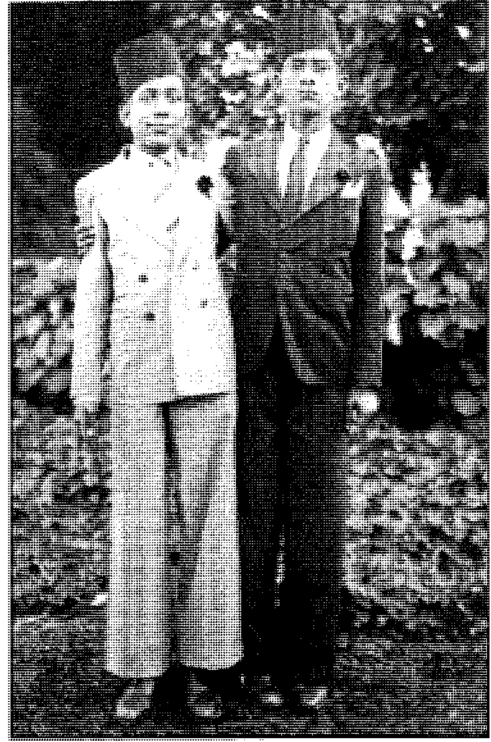
واغتنمنا فرصة اجازة العيد الطويلة التـى استمرت اربعة او خمسة ايام متواصلة فقمنا بزيارات منتظمة الى الحدائق العـامة بما فيها حديقة الحيوان بالجيزة. حيث شـاهدنا جموعا غفيرة من النـاس يهرعون اليهـا لقضـاء اوقاتهم. . والاستمتـاع بالاجـازة فى احدى هـذه

الحدائق.. واتذكر انها كـانت حديقة «الاورمان» امضينا اطـول وقت.. كان معنا بعض طلاب مدرستنـا من المصريين وقد احضر بعضهم بعض الفاكهة والاطعمـة المطبوخة التى كـان مـن بينهـا الفسيخ.. الـذى يتكـون مـن السمـك المملح والبصـل الاخضر.. والفلفل،، ورغـم اننـا في اول الامر لم نكـن لنقبل على تنـاولـه.. الا اننـا بعـد فترة من تجربته.. رأيناه من الـذ ما يمكن.. فاقبلنا عليه اقبالا منقطع النظير. وكنـا نقوم بطلبه كلما تيسر ذلك.

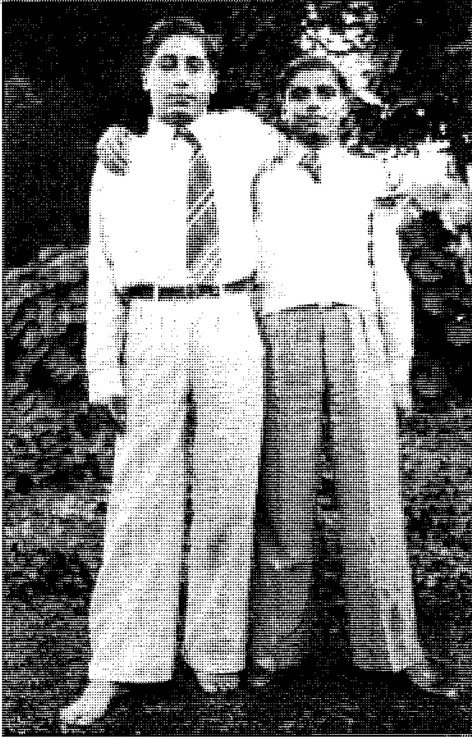
كما احضر طلابنا بعض السجـاد معهم.. واخذنا لنا ركنـا بعيدا في الحديقة.. حيث جلسنا نتسـامر.. ونؤدي بعـض الاغنيات التى نجيدهـا وسط اندهـاش واستغراب زوار الحديقة الذين يمرون بالقرب من المكان الذى اخذناه.

وراحت جماعـات من الشبـاب والاطفـال يمضون الـوقت في القيـام ببعض الالعـاب المسلية.. مما جعلنـا نقدم على عرض بعض الالعاب المماثلة التى نعـرفها فى البحرين.. وقد اقبلوا عليها لما فيها من بعض الغرابة بالنسبة لهم.





■ القناطر الخيرية في 23 ذو الحجة سنة 1364 هـ .



■ مع عبدالرحمن الشيراوي في حدائق القناطر الخيرية.

وانتشر في ارجاء الحديقة باعة المشروبات.. والحلويات والمهرجين.. والحواة الذين يقومون بترقيص «القردة» المدربة التى احضروها معهم.. وتكون رائجة في مثل هذه المناسبات.

وبالنسبة لنا كان من اغرب ما شاهدناه خلال هذه الزيارة الصندوق الموسيقي.. الذى حمله احد الرجال.. واخذ يطوف به على مجموعات زوار الحديقة.. ويرغبهم فى الاستماع الى شيء من الموسيقى التى يرغبون فيها. لقد كان مثل هذا الصندوق الموسيقى.. شيئا من التسلية الرائجة فى اوروبا منذ اواخر القرن الماضي.. وانتقل كما يظهر الى مصر مع مانتقل اليها من عادات.. لم تصل منطقتنا بعد فى الخليج حتى تلك الوقت.

كان اظرف شيء ونحن نختتم زيارتنا للحديقة.. اننا قمنا بشراء «طراطير» الورق الملون الذى كان يبيعه بعض الشباب هناك.. وارتديناها على رؤوسنا ونحن فى الطريق عائدين الى البيت.. ونحن جميعا في اسعد حال.. وانعم بال.

وفي مساء كل يوم خميس.. كنا نسمع صوت موسيقي الجيش العسكري.. واحيانا بعض الاغاني.. ونحن نقضى الوقت في سطوح البيت.. من مقر نادي الضباط بالزمالك.. الذى يقع تماما خلف بيتنا من الجهة الغربية. ونعيش دقائق في اشبه ما يكون بالاحلام. وقد بقيت اصداء هذه الموسيقى عامرة فى اذهاننا.

في المدرسة.. من جديد:

ما ان انتهت اجازة عيد الفطر.. حتى عدنا بعد ايام قلائل في مراجعة الدروس واستذكار المقررات استعدادا لمعركة امتحانات نهاية السنة.. التى لم يكن بيننا وبينها طويل وقت.. وحتى هذه الوصلة من الوقت كانت الدروس التى نتلقاها فى المدرسة تسير سيرا طبيعيا.. لا يعكر مزاجنا معكر. والتعاون مع المدرسين والمسئولين على احسن ما يرام. وكان السيد مدير البيت.. والمدرسون في المدرسة.. وكذلك رجال المعهد الثقافي البريطاني.. يثنون جميعا على ما نبذله من جهد للخروج بافضل النتائج التى تحقق آمالنا وآمال الأهل في البحرين.

ولم يكن احـد من الطلاب يغادر البيـت الى الخارج الا قليلا وبعد ان يستـأذن السيد المديـر في ذلك. وكـان الـوقت كلـه يقضى في مـراجعـة الـدروس. . فى غـرف النـوم احيانا . . وفى الحديقة. . واحيانا فى السطوح. . سواء فرادي او جماعي.

في غضـون ذلك. . تصـل الى بعض الطـلاب رسـائل مـن ذويهم او اصـدقـائهـم فى البحريـن. . تتحدث عن احوال البعثـة واخبار الطـلاب. . والحياة في القاهـرة. . وتنقل وتروى احاديث غريبة عجيبة. . وتروى حكـايات وقصصا. . عن مزاعم واقاويل تتناول سمعة الطـلاب ومكانتهـم. . ولا تقف عند حـد. ولكنها وهـذا هو مـا يثير الاستغراب تذكـر حوادث معينة وقعت للبعض زاعمـة انها وقعت فعلا بالبيـت. وان بعض الطلاب ربما كـانوا فى غفلـة عنها. . وسرعـان ما انتشرت تلـك الاشاعـات بين صفوف الطـلاب انتشـار النـار بين الهشيم. وراح كل طـالـب يفسر مـا يقف عليـه من اشـاعـات تفسيرا يخالف تفسير الطـالب الاخـر. بل ان بعضهـم راح يزيـد ويـزيـد من حجم مـا سمعـه ويضفى عليـه من خيـالـه مـا يشـاء. . استمـر سيل هـذه الـرسـائل يتدفـق على بعض الطلاب. . بل ان احـد الطلبة (. . .) كان يتلقى في اليـوم رسالتين على الاقل . . حتى اخذ مـن جانبه تـزويد بقية الطـلاب بهذه الرسـائل يأخذونها ويقـرأونها كيفما يشاءون. الغريـب ان بقية الطـلاب لم تصلهم من امثال هـذه الرسـائل من البحـرين شيء. رغم انهم كتبـوا الى اهـاليهم واصــدقـائهم يستفسرون عن مصـدر هـذه الـرسـائل. . وعن الاهـداف التى تخفيهـا. ولكنهم لم يستلمـوا اي ردود في هـذا الشأن. . مما عـزز الـرأى القائل بان وراء هذه الرسائل المغرضـة اناس لا يرغبون ان يروا طلاب البعثة يسيرون في الطريق الصحيح. وزاد فى غرابـة الامر. . ان سيل هذه الرسائل قـد انقطع تماما. . فلم يعد يصل صاحبنا (. . .) شيء منها.

في هـذا الجو المشحون بـالمزاعم والاقـاويل. .حل مـوعد الامتحـانـات ودخلناهـا. . واستمرت بضعة ايـام. . لكن اتضح لنا بان بعض المناهج لم تكن مقـررة علينا اذ لم ترد مطلقا فيما درسناه. وقـد اجمع الطلاب على ذلك ورفعوا شكواهم الى ناظـر المدرسة وبقية المدرسين وكان رد هؤلاء بان هذه الاسئلة لم يضعهـا احد من مدرسي مدرسة محمد علي. . بل هـى مـرسلـة من وزارة المعـارف العمـومية. ولا منـاص مـن قبـولها. . والا تعـرض المسئولـون في المدرسة الى العقوبات التى هم في غنـى عنها بالطبع. وقد تضـامن معنا فى هذه الشكـوى بعض طلاب الفصل من الزمـلاء المصريين. الذين يحتكون ببقيـة الطلاب امثالهم في المدارس الثانوية الاخرى. وينقلـون الينا ما يدور فيها. . وعلى الاخص اخبار

الامتحانات.

بقينا فى حيرة. والاقاويل تتردد على السنة طلاب المدرسة ولكننا رغم ذلك.. بذلنا جهودا في تأدية الامتحانات واجتياز عقباتها بكل ما اوتينا من عزم وارادة.. بعد ما يقرب من اسبوع اعلنت النتائج.. وكم كانت مخيبة لامال الكثيرين. ومن بين مجموعة طلاب البحرين الملتحقين بالمدرسة لم ينجح منهم الا ثلاثة طلاب فقط اما الباقون وعددهم ١٣ فقد رسبوا جميعا في اكثر من مادة مما يعنى بديهيا ان على هؤلاء اعادة تقديم الامتحان فى الملحق او قبل بداية الموسم الدراسي القادم. وان اجازة الصيف الطويلة كفيلة بالمذاكرة.. واصلاح ما فات خلال السنة.

لم تكن هذه النتائج المؤسفة مقتصرة على طلاب البحرين فقط بل شملت جميع طلبة الفصل من الزملاء المصريين الذين لم ينجح من بينهم طالب واحد. مع ان عددهم فى الفصل يزيد على ٣٠ طالبا. ورغم هذا الوضع الصعب الشديد الذى وجدنا انفسنا فيه فانه لم يراود احد منا ان تذهب جهوده عبثا.. او ان تكون مثل هذه النتيجة سببا للتعجيل بتصفية البعثة.. واعادة الطلاب الى البحرين. لم تدر هذه الافكار في ذهن اي منا. ذلك لانه من الطبيعي ان ينجح بعض الطلاب.. وان يرسب بعضهم.. يحدث ذلك في جميع المدارس وعلى مختلف مستوياتها.. وفي كل بلد وهذه قاعدة ثابتة فى كل مكان وفي كل عصر. ثم هذا ما حدث ـ كما علمنا ـ بالنسبة لطلاب بعثة الكويت.. ايضا.. الذين كانوا مبتعثين فى القاهرة قبلنا بسنتين. ولم نسمع ان حكومتهم فكرت يوما في اعادة طلاب البعثة الى البلد بحجة ان بعض الطلاب قد رسبوا في الامتحانات.

لقد كان يراودنا الامل ان نعيد ما خسرنا فيه فى امتحان الاعادة التى تعقد عادة قبل بداية السنة الدراسية.

لقد كنا في حالة مريرة. ولكن الأمل ان نعيد الامتحانات في موعدها كان امامنا من غير شك. الا ان موقف المسئولين في المجلس الثقافي البريطاني قلب كل تطلعاتنا. وساروا في طريق لم نكن لنظن لحظة انهم سيسلكونه باتخاذهم قرارا ظالما اجحف بحقوق الطلاب واخزاهم.

راح بعض الطلاب يكتبون الى اولياء أمورهم.. واصدقائهم في البحرين يشرحون موقفهم مما ينوى المعهد البريطاني اتخاذه. وهو اعادة البعثة بكامل طلابها الى البحرين



■ صورة تذكارية تجمع طلاب بعثة البحرين للدراسة في القاهرة (1945 - 1946م) ويرى جالسا وسط الحاضرين سمو الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة، والأستاذ عبدالعزيز حسين مدير بيت الكويت بمصر، وبعض الأصدقاء والأدباء المصريين.

عقابا لهم على قضية الرسوب. وفى هـذه الرسائل التى وصلت الاباء والمسئولين. . لم يرد منهـا شيء يمكن ان يعول عليـه. ولم نعرف مـوقف حكـومة البحـرين رسميا من هـذه القضية. لـذلك وازاء تفـاقم الحالة. . ومـرور الوقت. . طلبنـا الاجتماع بالاستـاذ حسن حبشى مدير ادارة البيت لـلاستفسار عن ما يشاع فى اوساط الطلاب. وقـد صدمنا كثيرا بأن الاتصالات فيما يتعلق بمصير البعثـة. . وبقائها في مصر يتم مبـاشرة بين ادارة المعهد وحكـومـة البحريـن. وان اي من هـذين الطـرفين لا يقـومـان باطـلاع السيـد المديـر بما يتوصلان اليه من قرارات وخيارات.

طلب الاستاذ حسن منا عـدم الاستماع الى ما كان يشاع من اكاذيـب واقاويل. . وانه على عكس مـا يقال فانـه يقوم بـاتصالات مع ادارة المعهـد البريطاني لترتيب تقـديم دورة صيفيـة في المعهد لاعطـائنـا دروس تقـوية فى المواد التى رسبنـا فيهـا بـالاضافـة الى دورة خاصة فى اللغة الانجليزية.

ووصلت الى بعض الطلاب رسائل من ذويهم يذكرون فيهـا انهم اتصلوا بالحكومة. . بيت المستشـار. . ودائرة المعارف. وبعض المسئـولين. . وان هؤلاء لا يعـرفون شيئـا عن مـوضـوع ارجـاع البعثـة الى البحـرين. وكـان بعض الـرسـائل تتحـدث عـن مثل هـذه الاخبـار. . غير الـواضحـة. . لدى بعـض الطـلاب. وفي مـرحلة مـن المراحل تبين ان بعض الطلاب فى القاهرة. . اخذوا يكتبون الى من يعـرفونهم من اصدقائهم فى البحرين رسائل كلها تهجم وافتراءات على بعض زمـلائهم الموجودين بالقاهـرة. . الامر الذى نجم عنه سـوء فهم لدى الطرفين. فقـد تضمنت تلك الرسـائل سلسلة طويلـة من القصص التى اخترعهـا اولئك الطلاب. . لا لشـيء الا بقصد الاضرار بسمعـة زملائهم الاخـرين من الطـلاب ظنا منهـم ان الحكومـة ستعمل على ارجـاع هؤلاء واعـادتهم الى البحـرين. وبالتالى اتخاذ قرار رسمي باعادة طلاب البعثة جميعهم. . هذا هو ما كان يأمله البعض ـ لـلأسف الشـديـد ـ مـن تبادل تلـك الـرسائل الضـارة التى فعلـت فعلها فى نفـس كل طالب. . او مسئول في البحرين.

وتمر الايام ويتوالى ردود الـرسائل من البحرين الى بعض الطلاب وكلهـا تحمل قصصا جديدة عن مـوضوع اعادة البعثة. كان بعض الطلاب لا يتيح لبقيـة زملائه الاطلاع على ما يصلـه من رسائل حتى يمكن التيقن من الـوقوف على حقائق الأمـور. بعض الطلاب كان يعتبر هـذه الرسـائل خاصـة به ولا يجوز ان يطلع عليهـا احد غيره. وقـد حمل هذا الموقف المريب من بعض الطلاب على قيـام البعض منهم بتصرفات خالية مـن المسئولية.

وعدم المبالاة. الامـر الذى زاد فى تحميل ادارة المعهد بعض طلاب البعثـة هذه التصرفات والصاق التهم بهم. . دون ان يكون بعض هؤلاء الطلاب قد قاموا انفسهم بها.

وصلتني رسالة من صـديق عزيز من البحرين يقول فيها انه علـم من احد معارفه ان حكومة البحريـن قد قررت رسميا اعادة طلاب البعثة الى البحـرين. . ويرى تجنب اثارة بعض الاخبـار التى يتناقلهـا اهالى الطـلاب فى البحـرين. . مفضلا ارجـاء الادلاء بمثل هذه الاقـاويل الى ما بعـد عودتنـا الى البحرين. واطلعنـي في هذا الصديـق على فحوى الرسالة الـرسمية التى وجهتها حكومة البحرين الى كل اوليـاء امور الطلاب بشأن اعادة البعثة. . . وانقل فيما يلي ما جاء فيها بالنص الحرفي

ادارة مستشار حكومة البحرين

رقم E 2 ـ 1365/1370

12 شعبان 1365هـ، 11 يوليو 1946م

حضرة الفـاضل الكـريـم الحاج

المحترم

بعد التحية:

نفيدكم ان الحكـومة بعـد الامعان الدقيق وجـدت ان ارسال التـلاميذ الى مصر للتعليم العـالي لم يسفـر على العمـوم عن نجـاح مرضى. فلهـذا تقـرر سحبهم مـن مصر واعـادتهم الى البحريـن. وستخبركم الحكـومـة عن مـوعـد رجوعهم.

هذا ما لزم.. ودمتم

(توقيع)

س. دريميل بيلجريف

مستشار حكومة البحرين

ومن هذه الرسالة. . لم يبق اي شك امـام الجميع عما تنوى الحكومة عمله. واصبحنا نواجـه الواقع. عـدم النجاح المرضى هـو سبب اعادة الطـلاب. . ولا شيء غير ذلك. وقد يكـون هناك اسبـاب اخرى غير «النجـاح» يكمن وراء اعادة الطـلاب. ولكن ليس الغاء البعثـة كما هو الأمر. فـالنجاح يمكن التغلب عليـه وذلك بتأدية امتحـان الملحق فقـد يسفر ذلـك عن نتيجـة مرضيـة. . وليس هنـاك الا الانتظـار شهـرين اثنين فقط. وحالنا هـذا لا يختلف كثيرا عن حال طلاب الكويت. والا فما الذى يفسر لنـا بقاء بعثة طـلاب الكـويت. . واستمـرار الحياة المعتـادة في بيت الكـويت. . لا ان ذلـك لم يكن الشيء الوحيـد فقد استمرت البعثـة لعدة سنـوات. . رغم نتائج النجاح. . والـرسوب. اذن وهذا هـو الواقع لابـد وان يكون وراء اعـادة طلاب البحريـن دوافع اخرى وهـذا ما اوضحته الايام فيما بعد.

لقد كان من الواضح ان يبقى الطلاب الـذين نجحوا بنتائج مشرفة. . ولو ان عددهم ثـلاثـة فقط. . والى جـانبهم طـلاب اخـرون كـانـوا يعيشـون معنـا فى البيت وملتحقين بمدارس اخرى. وكان ينبغي الانتظـار حتى امتحان الملحق. . ليتبين كم عدد الناجحين من الـراسبين وغير ذلك هـو يمكن التفكير في اعـادة الطلاب او عـدم اعـادتهم. ولكن هذا ما حدث وهـو يثبت بلا شك سوء نية الحكومة من قضيـة الدراسة العليا في مصر. . كما ورد في ارسال الطلاب الى القاهرة قبل سنة.

بعد ايام مـن وصول الرسالة المذكـورة. . سمعنا ان الحكومة تفكـر في ارسال الطلاب الثلاثة الـذين نجحوا من بيننا الى بيروت لاستكمال دراستهم الثـانوية فى معاهـدها. . ان لم يكن في الجامعـة الامريكية. وهـذا ما تحقق لاثنين مـن الثلاثة. . امـا الطالب الثـالث فلم يشأ قبول هذا «العطف» الحكومي. . وفضل ان يعـود على حسابه الى المملكة العربية السعوية . . بينما عاد الاثنان الاخـران. . وهما حسين جعفر المنديل. . وابراهيم يعقوب السعـد الى بيروت وواصـلا دراستهما هنـاك بضع سنـوات حتى انهيـا المرحلـة الثـانـويـة والتحقا بعد ذلك بكليات الجامعة. كان الطالب الثالث هو جاسم الفائز الذى انقطعت اخبـاره عنا منـذ سفره الى السعـودية. وتبـع هؤلاء بعض الطـلاب الـذين ظروف اوليـاء امورهم الماديـة تمكنهم من السفر والتحـق بعضهم هناك لفترات قصيرة. . ثم مـا لبثوا ان عادوا الى البحرين دون ان يكملوا الدراسة المقررة.

هـذا هو مـا حدث بـالفعل. . فقـد استغل موضـوع «النجاح المرضـى» واغلق بيت البحريـن. . وشتت اعداد الطلبـة. . خشية ان يتحـول بيت البحريـن بالقـاهرة. . الى





■ بيت البحرين بالقاهرة سنة 1946 م.

مركز من مراكز العلم او مركز من مراكز المعارضة وكلا الامرين لا يرضى خاطر سعادة مستشار حكومة البحرين بطبيعة الحال. وربما لا يرضى اولئك النفر الذين وقفوا يناصرونه في اتخاذ هذه الخطوة. اذ اننا لم نسمع عندما عدنا الى البحرين صوتا واحدا يعارض سعادة المستشار في الخطوة التى اتخذها.

بيت البحرين.. في أيامه الأخيرة

تأزمت الحالة في البيت كثيرا. وفقد الطلاب اي أمل لهم في البقاء في القاهرة. وراح الجميع ينتظر وصول تعليمات المعهد البريطاني بالاستعداد للعودة الى البحرين.

وخلال ذلك بدى ان السيد مدير البيت قد خفف من قبضته وادارته لشئون البيت. او تطبيق النظام الداخلي الذى اعتدنا عليه طيلة الشهور الماضية. وما عاد احد من الطلاب يهتم في الحضور او الانصراف من البيت كالسابق. .او يحرص على تناول وجبات الطعام. . فى مواعيدها او غير مواعيدها. وبدأ الطلبة يغيبون ساعات طويلة خارج البيت. واصبحت الامور معكوسة فى كل شىء. وكان بعض الطلاب لا يخفي رغبته في تفويت الايام على مثل هذه الصورة. . تعويضا عن الأيام التى انتهت. . وقد انهمك جميعهم فى شراء ما يتمكنون من شرائه من هدايا.

وفي اوائل شهر يوليو 1946 غادر اول فوج من الطلاب متوجهين الى بيروت ثم بعد أيام تبعهم فوج اخر يتكون من 12 طالبا عائدين الى البحرين عن طريق بيروت. واصبح وضع بيت البحرين كئيبا. والوضع داخله لا يطاق.

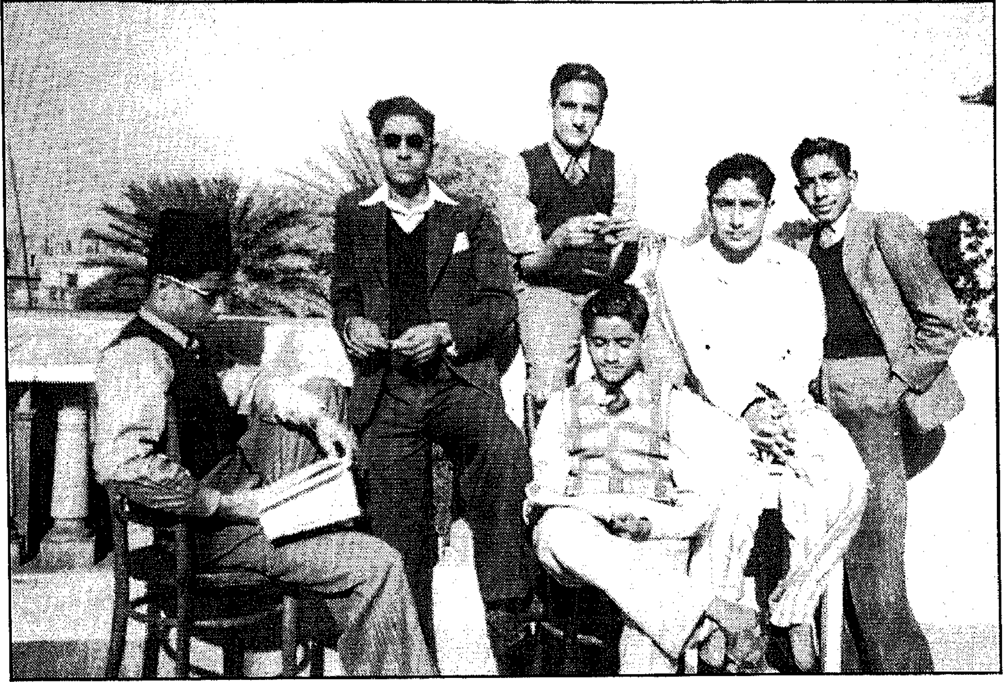
ذات ليلة. . كان بعض الطلاب عائدين الى البيت من سهرة امضوها فى احدى دور السينما. . وفاجأهم السيد المدير وهم يدخلون بأن عليهم ان يستعدوا للسفر صباح غد. . وقد حاول هؤلاء ان يحتجوا. . ويرموا تذاكر السفر. . ولكن نظرات المدير قد أسقطت كل حجة عندهم. وراحوا الى اسرتهم وخزانات ملابسهم يرتبون ما يستطيعون ترتيبه من اغراضهم داخل شنطهم. . ولم يناموا تلك الليلة. . وسهرنا معهم نواسيهم فى مصيبتهم حتى الصباح.

في الصبـاح . . والساعـة لم تـزل بعد السـابعة . . بكـى بعضهم بكـاء يقطع القلب . ولكن مـاذا بأمكـاننا ان نفعل لهم . فقـد اصررنا ان نصحبهـم الى المطار. وهنـاك عندمـا حانت ساعـة الفراق انخرط الجميع فى البكاء والنحيب . ولكـن ما الفائدة . وهل يجدى البكاء شيئا . عدنـا بعد ان ودعناهم ونحن لا ندري متى يحين الدور علينا . عنـدما عدنا الى البيت . ابلغنا المدير بان علينا ان نستعد لمغـادرة البيت فى خلال يومين او ثلاثة ـ على الاكثر ـ والاقـامة فى مكان اخر لم يحدد بعـد . . ولعله قد يكون احـد الفنادق او الشقق المفروشة القريبة من البيت .

بعد سفـر هذه المجمـوعة من الطلاب بقـى فى البيت سبعة او ثمانية مـن الطلاب . . كنت احدهـم . وقد رحنا نتشـاور فى الحالة التى وصلنـا اليها . . فأقترح احدنـا ان ننتقل الى بيت الكـويت . . بدلا مـن السكن فى فندق او شقـة مؤقتـة . . وابلغنا السيـد مديـر البيت بهذا الاقتراح . . الذى نقله بدوره الى ادارة المعهد البريطـاني . والغريب انه ما حان مساء ذلك اليوم حتى جـاء الاستاذ حبشي وابلغنا وهو متهلل الوجـه بموافقة المعهد على هذا الاقتراح ويطلب منا الاستعـداد للانتقال الى بيت الكويت . . وذلـك لبضعة ايام . . ريثما يعد المسئـولون تـذاكر السفر الخاصـة بنا الى البحـرين . لكن بعد يـومين طلب من اثنين من الطلاب الاستعداد للسفر . وبقى مجمـوعة الطلاب الاخيرة خمسة طلاب هم . . عبدالرحيم علي . . وعلي المسقطي . . وعلي سيار وخليفة احمد المجرن . وكنت خامسهم .

كنا بعـد سفر آخـر طالبين نتوقع ان تصلنـا تذاكـر السفر في اي ساعـة . . ولكن الله كـان بنـا . . رؤوفا فقـد مضـت بضعة ايـام ونحن نـرفل في ضيـافـة الاشقـاء من طلبـة الكويت . وتوثقت عرى الـزمالة والصداقة مع بعضهم . وبالنسبة لي نشأت صـداقة قوية مع طالـب كلية الحقوق السيـد عبدالعزيـز عبدالله الصرعاوي الطـالب بالسنة الثـانية او الثالثـة . كما تعرفنـا كثيرا على السيد مـدير ادارة البيـت الاستاذ عبـدالعزيـز حسين الذى سبق وكان يزورنا في بيت البحرين بين حين واخـر . شيء اخر لم يكن في بالنا ابدا . فقد اقترح احد الطلاب ان نتقدم الى ادارة المعهد البريطاني بطلـب سلفة نقدية بعد ان نفذت النقود القليلة التى كانت بحوزتنـا . . وذلك للمساعدة في شراء بعض الملابس التى كنا في اشد الحاجة لها . ولشراء بعض الهدايا الصغيرة .

وبالفعل وعلى غير مـا نتوقع فقد استجاب المعهـد لطلبنا واعطونا بضعـة جنيهات . . لا اتـذكر مبلغهـا . وقد ذهبنـا جميعا في وقـت واحد الى محلات «اورزدي بك» او «عمـر افندي» المعـروفة بشـارع عبدالعـزيز . . واشترينـا بعض الملابس والهدايـا كما رغبنا وقـدمنا



■ بيت البحرين بالزمالك سنة 1946م .

فواتيرها الى مندوب المعهد الذى صحبنا في هذه الجولة. وقد اخبرنا هذا المندوب بان علينا تسديد المبلغ بالكامل عندما نصل الى البحرين. وما كان منا الا الموافقة والقبول. وهل لنا ان نفعل غير ذلك. والذى لازلت اتذكره من هذه القصة هو اننا عندما التقينا بالاستاذ احمد العمران. نائب مدير المعارف عندما التقيناه في مكتبه سألناه عن موضوع هذه السلفة النقدية. ولكنه ابلغنا بان لا نهتم لذلك كثيرا. ولو كنا ندرى ان حكومة البحرين لن تطالبنا بتسديد تلك المبالغ واسترجاعها لكنا طلبنا مبلغا اكبر. واشترينا حاجات اكثر.

كان اكثر ما يشغلنا خلال هذه الفترة الحاسمة هو وصول الرسائل. فقد كنا نتلهف على وصول رسالة تصل احدنا. وكنا نتردد على بيت البحرين لعل بعض الرسائل تكون قد وصلت خلال مغادرتنا. ومرت بنا ساعات شعرنا فيها باننا مثل التائهين. وبمعاونة الاخوة الكويتيين وضعنا برنامجا قصيرا للزيارات الى بعض الاماكن التى لم يتسن لنا مشاهدتها من قبل. وقد كنت اتردد كثيرا على مصلحة البريد بميدان العتبة. . واشترى ما يتيسر من الطوابع المصرية. . التى بدأت هوايتها معى منذ ذلك الوقت.

كان الـواحد منا يـذهب في مشاوير لـوحده. . ويعود لـوحده. ولم يكن السيد مـدير ادارة بيت الكويت يبدى اي اعتراض.

ذات يوم. . وصلت احـدنا رسالة من اهلـه من البحرين داخل ظرف. . « مصـوقر» كما يقول ساعي البريـد او مضمون او «مسجل» كما نعرفه نحن. وبـداخل الظرف مبلغ من المال يزيـد على المبلغ الذى كـان صاحبنا يـأمل ان يحصل عليه. . وقـررنا ان نحتفل بهذه المناسبـة التى يندر ان تتكـرر. وكان الاقتراح ان يقضى ثلاثـة منا بمن فيهم الـزميل اي سهرة. . فى اي مكـان. واستقر الـرأى ان يكون المكـان معروفـا درءا لاى شبهة قـد تنقل عنـا للمسئـولين. واخترنا «الامـريكين» الـذي يقع على نـاصية شـارعي فـؤاد وعماد الـدين. وذلك لاحتـواء المكان الاول على اصنـاف متعددة من الايسكـريم والبسكـويت والحلاوة اكثـر من الثـاني ولم نكتف بهذا المكـان. . بل اننـا غادرنـاه بعـد قليل الى احـد المطاعم الكبيرة الواقعة بشارع سليمان. . قريبا من سينما «مترو» وتناولنا وجبة دسمة.

مر أسبـوعان ونحن لا نزال فى القـاهرة. وكنا خـلال المدة نتردد على بيتنا لمشاهـدة ما يستجـد فيه من امـور. ومرة شـاهدنـا العجوز المسـز «جويلـز» تحضر بعض السماسرة. . وتطوف بهم فى انحاء البيـت. . وكأنها مالكته او ساكنتـه. . وهذا ما آثار استغـرابنا. اما الاستـاذ حسن حبشى. . المدير فلـم يكن يتواجـد في مكتبه في البيت. . الا نـادرا. وفى احد الايام حضر احد السماسرة واشترى كافة لوازم غرفة المطبخ وطاولات الطعام.

كنا نشـاهد هذه التطـورات. . ونحسد بقيـة الطلاب الذين غـادروا القاهـرة قبلنا ولم يشاهدوا مثل هذه «المناظر» المضحكة المبكية.

كان اخر شيء دار في اذهاننـا ونحن نعد العدة لمغادرة القاهرة هـو تقدمنا بالتماس الى الاستاذ السيـد المدير هو الاذن لنـا بالسفر لمدة يـومين او ثلاثة بـرفقة احـد المسئولين من رجال المعهد الى مدينة «الاسكندريـة» ثاني مدينة كبيرة فى مصر. وذلك على اساس انه لا يجوز. . ولا يجوز ان لا نـزورها بعـد ان قضينـا فى مصر هذه المدة التـى تصرمت. ولكن هذا الالتماس تبخر كما تبخر غيره من الالتماسات والاقتراحات.

غادرنـا مصر. . دون ان تتاح لنـا زيارة الاسكنـدرية. وكـان رد السيد المديـر فى عدم تحقيق هـذا الاقتراح. . هـو احتمال وصـول تـذاكـر السفـر الى البحريـن فى اي وقت. . وحين سألنا عـن الطريق الذى سيتـوجب علينا ان نسلكـه وهل هو نفس الطـريق الذى بـدأناه اول وصـولنا. . رد بـانـه لا يعرف عن ذلـك شيئا. وان علينـا الانتظار. . وعـدم

استعجال الأمـور. فنحن أسعد حظا من غيرها مـن الطلاب الذين سبقونـا فى العودة الى البحرين.

وذات يوم.. حضر الاستـاذ حسن ومعه مندوب من ادارة المعهد البريطـاني.. وطلبا منـا ان نعد في شنطـة (متوسطـة الحجم) ما يمكـن ان يعتبر من «العفش» الزائد تمهيـدا لارسالة بطـريق الشحن البحري.. وكانت هـذه فرصة ذهبية امامنـا للتخلص فعلا من بعض الاغـراض.. وعلى الاخص مجمـوعات الكتـب المدرسية والكتب التـى اشتريناهـا طيلة السنة. وبالفعـل فقد كانت مجموعات الكتب.. الخ تـزيد فى الوزن كثيرا.. وكان موضـوع التصرف فيها يشغـل البال.. وقـد اسفت كثيرا الى اننى قبل ذلك قـد تخلصت من كثير من الصحف.. والمجلات القديمـة التى ارهقت نفسي كثيرا في الحصول عليها. ولكن ما الحيلة. وقد انتهى كل شي.

اننى لازلت اتـذكـر تلك المجـلات.. واعداد مجلـة «الاثنين» بصورة خـاصـة وبعض الكتب القـديمـة.. وقصص الجنس الصغيرة.. التى وان كـانت خفيفـة فى وزنها.. الا انها كثيرة العدد.. وزهيدة الثمن.

ـــــــ أيام.. في بيت الكويت

كانـت فترة الايام التى امضينـاها فى رحـاب بيت الكويت نسبيـة نوعـا ما عـن الأيام التي كنا نقـدر من قبل ان نمضيها فيه. فمنذ الـوهلة الاولى لانتقالنا.. استقبلنـا السيد مدير البيت وبقيـة طلاب البعثة.. صغارهم وكبارهـم.. احسن استقبـال. وقد رحبوا بنا كثيرا. وخلال سـاعات قليلـة استطاعوا ان يخصصـوا لنا غـرفتين في مبنى البيت. احتل الغرفـة الاولى طالبان.. هما على راشـد.. وعبدالـرحيم علي.. اما الغرفـة الثانيـة فقد كـانت اكبر مساحـة وتطل على الحديقـة الشمالية من البيـت فكانت مـن نصيبي ونصيب الزميلين علي عبـدالله سيار وخليفـة احمد.. ثم انضم الينا ايضـا الزميل عبـدالله الشكر. وحين استقر بنا المقام في هذه الغرف استـدعى السيد مدير البيت.. احد المشرفين الذى ساعدنا كثيرا في ترتيب امور السكن.

كان نمط الحياة فى البيت لا يختلف كثيرا عما كـان يجرى من قبل فى بيتنا مع اختلاف بسيط يتمثـل فى بعض الانظمـة. . وتنــاول وجبـات الطعـام. وكـانـت اعـداد الطلبـة الكويتيين تتناقص كـل يوم. . لسفر بعضهم الى الكويت لقضاء الاجـازة الصيفة. وكان هـؤلاء الطلاب في مختلـف مراحـل الدراسـة. كـان من بينهم مـن هو في الابتـدائي وفي الثانوي. . وفى الدراسة الجامعية. والاغرب مـن كل ذلك انه كان من بينهم من يرتدي ملابـس الكويت الشعبيـة. لا فرق بين هذا وذاك. ولـذلك كانـت تجربة بقائنـا في بيت الكويـت تلك المدة القصيرة تجربة مفيـدة لنا من نـواح كثيرة. استفدنا منهـا فى كثير من جوانب حياتنا.

كان البيت اقرب الى الطراز الشرقي. . فقد لاحظنـا ان بعض جدرانه والصالة الكبيرة فيه تغطيهـا في بعض جوانبها النقوش الشرقيـة وبعض آيات القرآن الكـريم. . كما علمنا ان هـذا البيت قد افتتح فى القـاهرة منـذ اكثـر من سنتين. . وانه يضم غـرفا وصـالات كثيرة وهـو يتسع لما يصل الى مـائة طالـب واكثر. وفى الايـام الاولى لانتقالنـا بـدأ بعض الطـلاب يحيطون بنـا ويسألوننـا عن انماط الحيـاة فى البحرين وانهم كثيرا مـا تمنوا السفـر اليهـا من خلال المراكـب والسفن الشراعية التـى تمخر البحـر فى الخليج. وكـان بعضهم يقارن بين الاحوال السائدة فى كل من الكـويت. . والبحرين. وكان بعضهم لا يرى اى فارق بين البلدين في كثير من نواحي الحياة. . بل هى واحدة فيهما.



,, كـان أغـرب شيء لقينـاه من مسئـولى البيـت.. وبعض الطلبة هو رفض العودة الى البحرين.. وذلك بتقديم طلب الى ادارة المعهد بتفضيل البقـاء في مصر.. وقد تعهد لنـا الاشقاء بتدبير الانفاق والصرف من ميزانيـة بيت الكويت.. وكان من الصعـوبة بمكـان الاقدام على مثل هـذه الخطوة ولم يـرد في أذهـاننـا ان نقـدم على مثل هـذه الخطـوة.. ولكن ذلك كـان شعور الاخـوة في بيت الكـويت.. وبالطبع شكـرنا لهم هـذه العواطف والمشاعر الكريمة التى املت عليهم هذا الاقتراح..,,

كان يـدير البيت كويتي فـاضل هو الاستاذ عبـدالعزيز حسين. . الـذى اصبح وزير الـدولـة لشئون مجلـس الوزراء بـدولـة الكـويت بعـد نيلهـا الاستقـلال يعاونـه مشرفـان مصريان. وقـد التقيت بـالاستاذ عبـدالعزيز فى احـدى زياراتـه للبحـريـن فى السبعينات بمناسبـة الاحتفال بالعيد الـوطني لدولة الكويـت وذكرته بتلك الأيام التى أمضينـاها فى بيت الكويـت بالقاهرة خـلال ادارته. . ولكن الاستاذ حسين بـدا لي انه لا يتذكـر شيئا من تلك الايام الماضية. اقيم هذا الاحتفال في احدى قـاعات فندق «دلمون» بالمنامة. اما الاستاذ عبدالعزيز الصرعاوي فقد زرته مـرة فى الكويت. . عندما كان يتولى وزارة البريد والبرق والهاتف وامضيت فى صحبتـه يومين كانت حـافلة بـالزيارات والمنـاسبات. كما ان السيـد الصرعـاوي زار البحـريـن فى اوائل السبعينـات والتقى بـالعـديـد مـن اصـدقـائه ومعارفه. . وكان موضع حفاوة الجميع.

وبقيت العلاقة الوثيقة قائمة مع السيد الصرعاوي.. حتى اليوم. وكان آخر عمل رسمي تولاه السيد الصرعاوي كما اتذكر هو منصب سفير دولة الكويت بالمملكة المغربية. وما فتىء منذ ذلك الوقت يتولى رئاسة جمعية الاجتماعيين بالكويت.. وهى من انشط الجمعيات على الصعيد الاجتماعى بالكويت.

كنا نتمنى لو طالت بنا الأيام مع الاخوة الكويتيين ولكن لابد لكل شيء من نهاية. وفى آخر يوم لنا بالقاهرة.. حضر الى المطار معنا بعض الاخوة.. ومنهم السيد الصرعاوى وقاموا بتوديعنا.. وكانت هذه المكرمة منهم ما أنسانا قسوة الفراق.. ومغادرة الاراضي الجميلة.. والمرابع التى لا تنسى. وكان سفرنا قد تقرر واعطينا مهلة يوم واحد فقط لاعداد اغراضنا وتجهيزها. وكما حضرنا الى القاهرة.. عن طريق المطار البحرى فى روض الفرج.. فقد غادرناها بنفس الطريقة. وهذا ما كنا نخشاه. ولكن ما في اليد من حيلة. ولا ندرى هل كانت هذه الرحلة المكررة نكاية بنا.

على اية حال. لقد سلكت الطائرة نفس الطريق السابق. مع فارق بسيط هو اننا واصلنا السفر من مطار شط العرب مباشرة الى البحرين.. دون ان نضطر للبقاء في الفندق كما حدث لنا فى وقت سفرنا من البحرين. وكانت المحطة الاخيرة هذه المرة.. مطار الجفير في البحرين حيث توجد القاعدة البحرية البريطانية.. وهناك على رصيف ميناء القاعدة.. استقبلنا عدد من الأهل والاصدقاء.. وأوصلونا الى بيوتنا في موكب اشبه ما يكون بموكب الزفة.. وفى اكثر من سيارة.

وفى البيت.. التقيت بالأهل وكان عدد من الاصدقاء يقومون بزيارتنا بين وقت واخر.. ولقد سعدنا بلقاء الجميع.. والاجتماع بهم او الاستماع الى الموضوعات والقضايا التى يثيرونها. وكان اكثر ما نعانيه هو الحياة الصعبة من الناحية المادية التى تمر بها العائلة.. ومعظم العائلات فى المنطقة.. والتفكير فى تحسين الاوضاع.

ودخلت في وضع جديد.

ومضت بضعة ايام.. كنا فيها نتشاور مع الأهل.. والاصدقاء فيما يتوجب علينا القيام به. وكان الشيء الواضح امامنا هو العمل. العمل فى اي مكان.. كسبا

لاحتياجاتنا المعيشية المقبلة.. وكانت هذه تجرى سريعا.. او اننا فى الواقع لم نكن لنحسب حسابها. وكان السؤال الذى ما برح يؤرقنا.. ماذا نفعل.. كان بعض الزملاء يقترح استئناف الدراسة ومواصلتها بالسفر الى بيروت.. لانها البلد الذى بدأ يستقطب اهتمام الجميع.. ولكن كان يقف حائلا دون تحقيق ذلك المصروفات الباهظة التى تتكلفها الدراسة.. وكان البعض يرى ان تدبير مثل هذه المصروفات يمكن ان تأتى عن طريق المساعدة والتبرعات.. من جهة او جهات. لكن كيف يمكن ان يتحقق مثل ذلك.. دون ان يجد من يعمل له بكل جد واخلاص.. ومتابعة. فكرنا في استيضاح موقف الحكومة من موضوع مواصلة الدراسة فى بيروت.. او غيرها.. وكان الرد المباشر هو ان لا تنتظروا شيئا من الحكومة. كان بعض من اجتمعنا بهم لا يخفون شماتتهم للمصير الذى وصلت اليه احوال الطلبة.. بل ان بعضهم كان يوجه الينا عبارات لا تخلو من الغمز واللمز بأنه بتلك النتائج التى اسفرت عنها تجربة الدراسة في القاهرة.. فاننا نستحق هذا المصير. وكلما دار موضوع الدراسة.. والسفر كان البعض يتهرب ولا يود ان يستمر هذا الحديث. الغريب ان يقف بعض اولئك النفر هذا الموقف الغريب.. وبدلا ان يزجوا لنا النصح والارشاد.. ويأخذوا بأيدينا للسير في الطريق الصحيح فان بعضهم يتلبسه الغرور ويركبه الكبرياء.. ويهز كتفيه غير مبال لما نوجهه اليه من استفسارات واسئلة. الى درجة ان بعضا من هؤلاء بدأ يبتعد عنا.. ويتحاشى الاجتماع كلما صادف وضمنا مجلس واحد.

موقف الصحافة المصرية:

قبل مغادرتنا القاهرة بأيام.. نشرت بعض الصحف المصرية الصادرة في تلك الفترة اخبارا قصيرة عن بعثة طلاب البحرين.. تضامنا مع مصير الطلاب.. وتعبيرا عن الشعور المشترك بينهم.

فكتبت مجلة «الاثنين والدنيا» الاسبوعية في عددها الصادر يوم الاحد 22 سبتمبر 1946 ما يلي:

ألغت الحكومة البريطانية «بيت البحرين» بالقاهرة. وكان يضم من ابناء هذه الجزيرة نحو 30 طالبا.

ونشرت جريدة «البلاغ» الناطقة بلسان حزب الوفد فى عددها الصادر يوم الاثنين 23 سبتمبر 1946 مقالا تحت عنوان «تبقير لا تنوير» جاء فيه ما يلي:

لقد أصدر الانجليز بالامس قرارا بإلغاء بعثة البحرين فى مصر. بعد ان اقام طلابها في معاهدنا سنة واحدة. وكانت حجتهم في ذلك ان هؤلاء الطلاب قد نالوا كفايتهم من العلم.

وربما نشرت اخرى غير ذلك.. ولكن هذا ما تسنى لي ان اطلع عليه. وقد احضرت معى الاعداد التى نشرت هذين الخبرين.. ولكن - للأسف - فقد ضاعت المجلات التى نشرت هذين الخبرين.. كما ضاعت غيرها من المجلات والصحف.

اتصالات.. ومشاورات:

جاء من يخبرنا ان نتوجه الى دار الحكومة (بيت المستشار) لمقابلة المسئولين بغرض ترتيب التحاقنا بالخدمة في الحكومة. وكنا اربعة او خمسة من افراد البعثة.. اتذكر منهم الزملاء الاخوان على راشد المسقطى.. وخليل ابراهيم المطوع.. وخليفة احمد المقرن.

توجهنا الى دار الحكومة.. وقابلنا السيد سعيد عبدالنبي الزيرة الذى يقوم بأعمال «رئيس كتاب» المستشارية وابلغنا ان حكومة البحرين تنوى استحداث قوة جديدة ضمن دائرة الشرطة.. والحاجة الى إلحاق عدد من الشباب المتعلم الواعى كمتدربين فى سلك الشرطة والأمن العام. وتعيينهم بعد انهاء فترة التدريب.. فى مراكز متعددة بصفة «صف ضباط» او ما يعرف بالانجليزية (POLICE CADETS).

تساءلنا عن امكانية عودتنا لمواصلة الدراسة.. سواء فى البحرين.. او فى الخارج.. وطلب المساعدة الحكومية لنا في هذا الشأن.. لاسيما واننا جميعا لم نكمل المرحلة الثانوية. ورأى المسئولون اصرارا في هذا الطلب. كما طلبنا معرفة الاسباب الحقيقية التى حملت الحكومة على ارجاع البعثة.. دون اتاحة الفرصة امام الطلاب لتأدية امتحانات النقل المعروفة. وفي خلال ما كان يدور بيننا وبين بعض موظفى المكتب.. حضر السيد «نارايين» الذى يشغل وظيفة معاون المستشار وسكرتيره الخاص وهو هندي انيق

المظهـر يتكلم بلكنـة ولهجة عـربيـة مكسرة وابلغنـا بانـه ليس مـن حقنا اثـارة مثل هـذه الاسئلة الآن. وان الحكومة لا تتعهد بشيء من المساعـدة لو رغبنا في مواصلة الدراسة. . ولكنها لا تمنعنـا من ذلك شرط ان يكـون على حسابنـا الخاص. وفى اي بلد نـرغب في الذهـاب اليه. وقبل ختام المقـابلة ذكر السيد «نـاراين» انه سيطلع المستشـار على كل ما قلناه. . وانه سيرسل في طلبنـا مرة اخرى للحضور الى مكتبه. . وابلاغنـا بقرار الحكومة النهائي في طلبنا.

بعد يـومين او ثلاثـة. . اتصل السيد سعيـد الزيـرة بنا وطلب ان نتـوجه الى «مـركز شرطة المنـامة» لمقابلة آمـر المركز «الضابط عبـدالكريم الحاج سلمان بن جـاسم المنصور» والذى يقع في الميدان الكبير امام مبنى دائرة الجمارك بفرضة المنامة.

قابلنا الضـابط المذكور وبعد استراحة قصيرة في مكتبـه بالمركز اخبرنا بـأنه سينقلنا الى قلعة الشرطـة لمقابلة الرئيس (الشيخ خليفـة بن محمد بن عيسى آل خليفة) وقـد استقبلنا في مكتبه الواسع الكبير الـواقع فى احد اركان القلعة الذى كـان عبارة عن برج مبني على الطراز القديم مستـدير الشكل به نافذتـان صغيرتان من جهته الغربيـة ويطل على ساحة واسعـة الارجـاء من النـاحيتين الشماليـة والغـربية. وفي المكتـب ارائك وثيرة. . وكثير من صور الحائط التاريخية والخرائط التفصيلية والنشرات.

طلب منـا الشيخ خليفـة ان نقـدم له شرحـا مـوجـزا عن الـدراسة التـى تلقيناهـا فى القاهـرة. والمراحل التى قطعناها وحل بعض المسـائل الحسابية والريـاضيات. . وبعض ما نعرفه مـن جمل مفيدة باللغة الانجليزية في عبارات يجرى التعـامل بها فى الحياة المعتادة بين الناس. . وقـال سيتركنا لوحـدنا فى المكتب لبعض الـوقت. . ثم يعود الينـا بعد اقل من ساعـة بعد ان نكون قد سجلنـا الاجابة على ما طـرحه علينا من اسئلـة. والواقع ان تلك الاسئلة التى وجهها رئيس الشرطة لم تكن بالهينـة السهلة. . ولكننا قدمنا ما اسعفتنا به الـذاكرة منهـا. وقام الشيخ خليفـة بتوديعنا ونحـن نغادر مكتبه، واضـاف قائلا بـانه سيرفع نتيجة هذا «الاختبـار» الى مكتب سعادة المستشار وهو الذى سيقـرر قبولنا للعمل او خلافه. . والبت فيما يراه صالحا لنا وللحكومة.

لم ننس ونحن نغـادر مكتب الشيـخ رئيس الشرطـة ان نخبره باجتماعنـا ولقـاءاتنـا مع والده الشـاعر الاديب الشيخ محمـد في القاهرة. . ومـا دار بيننا من مـداولات وندوات. وقد كان لذلك ـ كما لاحظنا ـ ابلغ الاثر في نفسه ولاقى استحسانه واعجابه.

مقابلة مستشار حكومة البحرين:

بعد ايام من مقابلة رئيس الشرطة. . طلب منا ان نستعد لمقابلة مستشار الحكومة. . السيد تشارلس دريمبل بلجريف. . وكنا فى هذه المرة ثلاثة طلاب فقط هم علي راشد. . وخليل المطوع. . وأنا.

وبعد وصولنا دار المستشارية. . او دار الحكومة قابلنا السيد كي. بي. نارايين الذى اجتمعنا به من قبل في زيارتنا الاولى للمكتب. وبعد دقائق طلب منا ان ندخل الى مكتب المستشار. ولا اخفى ان بعض القلق قد انتابنى لاول وهلة وانا افكر فيما يمكن ان يقوله لنا هذا الرجل الذى نعرف عنه ويعرف عنه جميع الناس في البحرين. . انه المستشار الاول، استقبلنا الرجل من وراء مكتبه الكبير بابتسامة عريضة. ولا اتذكر الكلمات التى بدأ بها حديثه. . ولكننا كنا ننصت لما كان يقوله بكل تقدير واهتمام. وكان يتكلم تارة بلغته الانجليزية في صلف وكبرياء واضحين. . وبدون حدود. وتارة بلغة عربية مكسرة يتخللها بعض الكلمات الكبيرة الفخمة. ولكن في عبارات واضحة وقوية. كان يوجه اسئلته واستفساراته الى كل واحد منا على حدة. ويركز على ما درسناه في مادتى التاريخ. . والرياضيات.

استهل حديثه بالقول ان حكومة البحرين كانت ترغب في الحاقنا بقوة الشرطة. . ولذلك مهدت لتحقيق ذلك بمقابلة الشيخ خليفة رئيس الشرطة. . ولما كان من الصعوبة تحقيق هذا الهدف بالنظر لصغر سننا. . فان من الافضل التحول عن ذلك. . والتفكير في الحاقنا بدائرة اخرى قد تكون مناسبة اكثر. وقال انه لمن الاوفق لنا القبول بما سيعرضه علينا من الوظائف المتوفرة فى هذه الدوائر وهى فى صالحنا على اي حال. . وذكر ثلاث وظائف بالتحديد: الاولى وظيفة فى دائرة الجوازات. . والثانية فى دائرة الجمارك. . والثالثة الاخيرة في كراج سيارات الحكومة. وهى وظائف ادارية محترمة ـ حسب قوله ـ وقد رددنا جميعا باننا نقبل هذه الوظائف دون تردد. . ودون شروط.

قام المستشار من كرسيه خلف طاولة مكتبه. . ودخل علينا السيد نارايين المعاون.

وصحبنا الى خارج المكتب. . حيث جلسنا على احد المقاعد الخشبية الطويلة المنتشرة فى مدخل المكاتب وكنا نتشاور فيها بيننا فى اسماء الدوائر التى سمعنا عنها فى مقابلتنا. ولا ندرى اينا ستكون من نصيبه تلك الدوائر او غيرها. وصادف خلال مكوثنا في المستشارية وصول صاحب العظمة الشيخ سلمان آل خليفة حاكم البلاد فى زيارته الاسبوعية لدار الحكومة. وقد هرع كل من كان موجودا آنذاك من الموظفين للتحية والسلام عليه. . والترحيب بمقدمه والحاشية المرافقة. وكان على رأس المستقبلين المستشار نفسه والمعاونون. وقام احد رجال الحاشية بتقديمنا الى صاحب العظمة وتعريفه بنا. وتولى السيد سعيد الزيرة (رئيس الكتاب) ادارة الحديث بيننا. . كان عظمته يسأل عن اسماء العائلات التى ننتمى اليها. . والاحوال بصورة عامة في مصر. وهل قابلنا الملك فاروق ام لا. . وما هو العمل الذى يؤديه آباؤنا او اولياء الامر واين تقع بيوتنا. . ومن منا من اهل المحرق. وغير ذلك من الاسئلة التى ما كنا نظن ابدا باننا ستلقاها من عظمته. ولاحظنا ان سعادة المستشار كان يهمس في اذنيه بين لحظة واخرى بكلام لا نتبينه او نفهمه. وقبل ان يدخل الشيخ الى مكتب المستشار قال لنا عبارة لا انساها الى اليوم. . قال: هذه بلادكم وانتم اولادنا.

كانت هذه اول مقابلة لنا مع عظمة الحاكم. وكان رجل من الحاشية يتولى السكرتارية هو «عبدالله بن جبر الدوسرى» وهو رجل طويل القامة. . مهيب الطلعة. . حاضرا معنا الحديث. وقد عرفنا فيما بعد ان هذا الرجل هو سكرتير الحاكم وكاتم اسراره.

بعد قليل حضر احد الموظفين. . وهو يرتدي غترة حمراء. واخذ يسألني ما اذا كنت احمل الاسم الفلاني. وطلب مني مرافقته الى احدى السيارات المتوقفة في الساحة الجنوبية من مبنى المستشارية. . ونقلتنا السيارة. . وكانت سيارة (بيك آب) حمراء اللون خارج المبنى الى مكان قريب يقع على بضع خطوات هو عبارة عن ورشة للسيارات. وهناك تركني الرجل واقفا عند احدى الورش ريثما عاد من عمل له. واخبرني بان هذا المكان. . هو مكان عملي في المستقبل. وهو دائرة النقليات. . او كراج الحكومة كما يعرفه الناس.

سألت بعد ذلك عن الرجل فاخبرني من كان هناك من العمال بانه هو السيد شرف

احمد العلوى. . رئيس الكتاب. . لموظفي عمال قسم الكراج. وحين سألت عن العمل الذى يقومون به. . قيل لي انه صيانة وتصليح جميع السيارات الحكومية المستعملة في دوائر حكومة البحرين.

اما الزميل علي راشد فقد ذهب الى دائرة الجوازات، وأما الزميل خليل ابراهيم المطوع فكان نصيبه دائرة الجمارك. وبعد ايام سمعنا ان الزميل خليفة المقرن قد التحق بدائرة الشرطة. . وعين ضابط صف تحت التدريب. وكان هو الوحيد بين طلاب البعثة الذى قبل فى هذه الدائرة وبذلك تحققت امنيته التى طالما كان يصبو اليها منذ كنا في القاهرة. اما بقية الزملاء فقد تفرق بهم الطريق. فقد ذهب البعض ـ كما علمنا ـ لمواصلة الدراسة في بيروت بينما فعل البعض الاشتغال بالاعمال الحرة مع اهله. . وذويه في البحرين. . بينما واحد او اثنان للعمل فى المملكة العربية السعودية.

وهكذا بدأت عجلة العمل تدور. وكنت خلال المدة التقى بعدد من الزملاء. . وعلى الاخص علي راشد. . وخليل المطوع. . وعبدالحميد الشتر. . وعبدالرحمن كانو.

اما الباقون فكنا لا نلتقى الا نادرا.

كانت هذه الدائرة تعرف بهذا الاسم الغريب منذ تأسيسها في اوائل العشرينات من هذا القرن. وهى منذ ذلك الوقت البعيد تعتبر واحدة من كبريات الدوائر الحكومية في البحرين. . وكانت لها مسئوليات متعددة وان ظلت شئون الكهرباء وما يتصل بها هى المسئولية الاولى لها. . ومن هذه المسئوليات:

1ـ ادارة تشغيل وصيانة جسر الشيخ حمد الذى يربط مدينتي المنامة والمحرق. وبقى هذا الوضع قائما حتى انتقلت المسئولية الى دائرة الاشغال العامة

2- تشغيل سيارة الحريق التابعة لبلدية المنامة وقد كانت ـ فيما أظن ـ السيارة الوحيدة الموجودة لدى البلدية.

3- صرف رخص سياقة السيارات التى تعطى لمن يجتازون امتحان الفحص على الطرق العامة، وقد استمر هذا الوضع حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. . او قبل ذلك بقليل. . حين تسلمت المسئولية كاملة شرطة حكومة البحرين. . وأنشئت ادارة المرور بها على اثر ذلك.

4- دارة بدالة التلفونات. . وقد كان عدد الاجهزة بها فى ذلك الوقت لا يتعدى

اصابع اليد. . وكان موقع البدالة فى ركن قديم من مبنى قديم ايضا يقوم عليه مبنى باب البحرين المعروف في الجهة الشرقية.

5ـ ادارة كراج الحكومة. . الذى كان يقع ضمن مبانى محطة القوة الكهربائية بمنطقة رأس رمان. وهو ما تحول فيها بعد الى دائرتنا. . اى دائرة المواصلات.

6ـ صيانة وتشغيل الماكنات والآليات المتحركة في عدد من الدوائر الحكومية. . والاشراف عليها. كان من جملة من التحقوا بالخدمة فى هذه الدائرة ابان تأسيسها. . ونشأتها الاولى عدد من الموظفين الذين برزوا في مجالات عملهم بالدائرة. . وكان لهم شأن كبير فيها بعد حين توزعوا على عدد من الدوائر الحكومية. . ومنهم. :

محمد صالح يوسف الشتر وقد كان يقوم بوظيفة رئيس الكتاب. . ثم انتقل الى بلدية المنامة وتقلد منصب معاون رئيس البلدية.

احمد علي موسى العمران. . وكان مسئولا عن المخازن. . ثم نقل الى بلدية المحرق. . معاونا لرئيس البلدية. . ثم الى دائرة المعارف حيث اصبح مديرا للمعارف. . ثم اخيرا وزيراً التربية والتعليم قبل ان يتقاعد ويصبح مستشارا بالديوان الاميرى.

حسن جواد الجشي. . رئيس المجلس الوطني وناظرا في عدد من المدارس. . وكان يعمل فى المخازن.

السيد شرف احمد العلوي. . عمل فى قسم المخازن ايضا. . ثم مسئولا عن كراج الحكومة. . ثم اخيرا المدير الاداري بدائرة الكهرباء. ثم تقاعده اخيرا.

وهناك عدد من الموظفين الذين مازلت اذكرهم ومنهم. . راشد قراطة. . واحمد علي حسين الخلفان. وقد عمل بعضهم فى بدالة التلفونات. وغيرهم وغيرهم.

ولغرابة الاوضاع فى هذه الدائرة فاننى اتذكر قصة طريفة. . ففي اواخر سنة 1949 استوردت حكومة البحرين . . بناء على استشارة بعض المسئولين. . آلات ومعدات خاصة بالمطابع لغرض استعمالها فى اعداد فواتير الكهرباء التى تصدرها الدائرة للمستهلكين. . او في مراسلاتها مع بقية الدوائر والشركات. . وقد طلب من دائرة المواصلات ـ دائرتنا ـ الاشراف على تركيب هذه المطبعة حسب الكتالوجات والمواصفات الفنية التى ارسلت مع المعدات.

لم يكن لـدى المواصلات. . او مـوظفيهـا ادنى معلومـات او خبرة سـابقة بمثل هـذا العمل. وقـد تم تـركيب المعدات الخاصـة بها في احـدى غرف مبنـى باب البحـرين. . وبالتحديد في غرفة بالقسم الغـربي. الا انه بعد ايام من تشغيل المطبعة اشتكى المسئولون عن المبنى من الازعاج الذى كانت تسببه لهم. . وللمارة فى الطريق المجاور للغرفة.

وبعد مـدة قصيرة بدأ تفكيك هذه الآلات وتحولت المطبعـة الى قطع صغيرة من الخردة (سكراب). . والله أعلم بالمصير الذى آلت اليه.

ـــــــ في الوظيفة

وتدور عجلـة الايام. . وأصبح موظفـا في كراج الحكومـة. . او دائرة النقليات التى يحلو للسيـد شرف رئيسنا فى العمـل. . ان يطلق عليها. ومنـذ اليوم الأول لم اكن راضيـا عن العمل فى هذا المكـان. ولكن الاهل والاصدقاء كـانوا يقولون بأن المستقبل امـامنا. . ولا داعي للعجلة او ترك العمل الى مكان آخر. . بدون حجة. . او سبب.

كـان واضحـا ان العمل فى الـدائرة ينصب على صيـانـة وتصليح جميع سيـارات دوائر حكـومـة البحـرين. . وقـد كـانت اعـداد هـذه السيـارات قليلـة جـدا عنـدمـا التحقت بـالعمل. . واظنهـا لا تتعـدى العشريـن او الثـلاثين سيـارة فى مجمـوعهـا. . ومعظمهـا سيارات قديمـة العهد. . ومتعددة الاغراض. ولم يكن بينها من سيارات الصـالون سوى سيارتين او ثلاث. . كانت افخمها السيارة التى يستعملها مستشار حكومة البحرين.

وقد اكتشفـت فيما بعد ان الكراج هـو قسم من دائرة كبيرة كان يطلق عليهـا فى ذلك الـوقـت اسم: دائرة مهنـدس حكـومـة البحـريـن ــ State Engineers Department. ويرأسها ضابط انجليزى متقاعـد هو السيد كروب كابتن. . ليه. «G/C. Hpg Leigh» يعاونـه موظف مـن البحرين عـالى الرتبـة هو السيد عبـداللطيف المحمود. . مـن اهالى مدينة الحد. وكان مسئولاً عن شئون الكهربـاء بصفة عامة. اما في قسمنا او دائرتنا فلم يكن فيهـا من الموظفين والاداريين سوى السيـد شرف احمد العلوى. . الـذى بقى يشغل وظيفة رئيس الكتـاب سنين طويلة. . قبل ان تنفصـل الادارة عن شئون الكهربـاء. . اما بقية الموظفين فقد كـان عددهم بين ثلاثين واربعين. . معظمهم من الميكـانيك واصحاب الحرف الاخـرى، وبعض السـائقين. . وعلى رأسهم مشرف هنـدى الجنسيـة من طـائفـة

«السيخ» اسمه درشـان سينج Darshan Singh ولم يكن راتب اكبر مـوظف فيهم يـزيد على 50 روبية. اي ما يعادل مبلغ 5 دينار هذه الايام.

سجل تاريخ التحاقي بالعمل.. فى يوم السبت الواقع فى 8 من شهر ذى الحجة عام 1365 هجرية.. ويـوافقه 2 من نوفمبر عام 1946 ميلادية. ولكن هـذا التاريخ تغير في فترة لاحقة.. عندما جرى تحويل التقويـم الهجري الى التقويم الغريغورى (الميلادى) المعمول بـه فى دائرة حكومة البحرين وهيئـاتها. اى انه ارتد الى الخلف الى مـا يقرب من سنة واحدة.. واعتبر التاريخ الجديد رسميا هو 13 نوفمبر 1945.

بعد اكثـر من اسبوع تسلمـت قرار التعيين الصادر مـن ادارة المستشارية وهـو يقضى بتعييني كاتبا بـراتب اساسي قدره 75 روبية (خمس وسبعون) مضـافا الى مبلغ 25 روبية علاوة غـلاء. Dearness Allowance.. وكـان هذا في ورقـة صغيرة كتبها المستشـار بخط يـده.. وهى في شكل مـذكرة اداريـة موجهـة الى السيـد محمود احمد العلـوي.. شقيق السيد شرف.. والذى كان يشغل فى ذلك الوقت منصب رئيس الحسابات Accounts Officer.. والذى تحول فيما بعد الى منصب مدير المالية.. ثم الى منصب وزير المالية.

من ذكريات العمل الأولى التى لا تنسـى.. اننى منذ الايام الاولى فى العمل كنت فى صراع مـرير مـع السيد شرف العلـوى حـول التسليم والاقتنـاع باسـم الادارة التى نعمل فيهـا.. فـالسيــد شرف كـان يطلق عليهـا دائرة النقليـات.. واحيــانـا دائرة نقليـات الحكـومـة.. امـا انا فقـد كنت ارى ان يطلـق عليهـا اسم.. دائرة المواصـلات. ولكن السيد.. ومعـه جماعة من الموظفين في الدائرة نفسهـا وفي غيرها من الدوائر الحكـومية.. كانوا يـرون الوقوف على الاسم الاول.. ومرت فترة.. كـان العمل يجرى فيها بالاسمين فى وقت واحد.. واخيرا جاءتنـا رسالة موجهة من دائرة المعـارف تحمل في مضمونها اسم دائرة «المواصلات» فكانت هـذه الرسالة بمثابة الاعتراف الـرسمي بالاسم الجديد. وعلى اثر ذلك قمت من جانبي باخطار اصحاب المطبعـة الشرقية بالمنامة.. وطلبت طبع كمية من الاوراق الـرسميـة تحمل الاسـم الجديد.. وبهذا انتهـى الاشكال الـذى كنـا نعـاني منـه.. واستقـر الاسم الجديـد والـذى بقيت تحملـه حتى تحولـت الى وزارة.. وانضمت اليها ادارات اخرى بعد ذلك.

فرحت كثيرا بـاول راتب تسلمته.. وهو مبلغ لـو قورن بالرواتب والاجـور التى كان يحصل عليها الموظفون فى الدائرة لعد من دون شك.. مبلغا كبيرا.

فقد كانت رواتب بعضهم لا تتعدى اربعين او خمسين روبية.. رغم ان بعضهم ايضا امضوا فى العمل سنتين او اكثر. واشغالهم كما هو واضح تتسم بالمسئولية والخطورة احيانا الى جانب المشقة والتعب.

واعتبارا من الشهر الأول وبقية الشهور. والى ما يقرب من سنة كاملة.. عملت بفضل هذا الراتب على تحسين شئوني.. وشئون البيت.. بما يكفل الراحة والطمأنينة وساعدت والدى ـ رحمة الله عليه ـ في التخفيف من الاعباء التى كان يعانى منها.. وتثقل كاهله.

وأنا اختتم هذا الفصل من الخواطر والتأملات لا يسعنى الا ان اذكر بالفضل العميم.. مساعدة رئيسي فى العمل السيد الفاضل.. شرف احمد العلوى.. فقد كان بالنسبة لي بمثابة الاب. ولا أنسى كرمه ومساعدته لي فى كل الاوقات..

لقد تدرجت فى العمل بالدائرة المذكورة سنين عديدة تعرفت فيها وتمرست على وجوه كثيرة من وجوه المعرفة والادارة.. والخبرة. ولست في هذه الاوراق في مجال تعدد هذه الاعمال.. وتفصيلها. ولكن يكفي القول انني وبتوفيق من الله.. قد شهدت تحول الادارة/ الوزارة. وقيامها بدور فعال فى انتقال شركة البرق واللاسلكي المحدودة Cable & Wireless Limited كشركة محتكرة لمجالات الاتصالات على مختلف تعددها الى شركة البحرين للاتصالات السلكية واللاسلكية.. او ما يعرف بشركة بتلكو Batelco.. لقد قمت نيابة عن حكومة دولة البحرين بتوثيق عقد تأسيس الشركة واقرار نظامها الاساسي. ونشرت تفاصيل الاتفاق بين الحكومة والشركة.. في ملحق الجريدة الرسمية رقم 1448 الصادر فى 13 اغسطس 1981 بتاريخ 23 يوليو 1981 (الموافق 22 رمضان 1401 هجرية) تم بمكتب التوثيق بادارة المحاكم (وزارة العدل والشئون الاسلامية) توقيع العقد التأسيسي لشركة البحرين السلكية واللاسلكية الذى يتضمن تفويض مندوبي حكومة البحرين.. وشركة البرق واللاسلكي بالتوقيع على العقد. كما يتضمن بالاضافة الى ذلك فصولا خاصة باسماء المؤسسين.. واسم الشركة.. واغراضها.. ومركز الشركة.. ومدتها.. وتأسيسها.. ومحلها القانوني ورأس المال.. والاسهم المكتتب بها.. وكيفية طرح الاسهم للاكتتاب العام.. ومدة الاكتتاب.. والشهادات المؤقتة والاسهم.. وحقوق اصحاب الاسهم والتزاماتها وعدم جواز الحجز على اموال الشركة وممتلكاتها.. وسجل الشهادات المؤقتة.. وبيع الاسهم والشهادات المؤقتة ورهنها.

كما تضمنت الفصول الاخرى.. ابوابا ومواد اشتملت على تعديل او زيادة رأس مال الشركة او تخفيضه. واصدار سندات القروض.. وادارة الشركة.. ومجلس الادارة.. وشروط العضوية في مجلس الادارة.. وملء الشواغر.. واختصاصات مجلس الادارة.. وتمثيل الشركة والتوقيع عنها.. وقرارات مجلس الادارة.. واجتماعاته.. ومسئوليات اعضاء مجلس الادارة.. ومكافآتهم.. وانهاء العضوية.. ومحاضر الجلسات.. والجمعيات العامة.. وكيفية اعداد جدول الاعمال.. والتصويت.. والتسجيل.. ومحاضر الجلسات.. وقرارات الجمعيات العمومية وصلاحياتها وواجباتها.. ونصابها القانوني..

وتضمنت الفصول ايضا.. تعيين مراقبي الحسابات وصلاحيتهم وواجباتهم.. والسنة المالية.. عملية الجرد.. الحساب الختامي.. المال الاحتياطي.. توزيع الارباح الصافية وكيفيتها. وفصلا خاصا بالمنازعات.. وحل الشركة وتصفيتها ودفاتر الشركة وسجلاتها.

وقد ورد كل ما تقدم بالتفصيل في ملحق الجريدة الرسمية.. العدد 1448 الصادر يوم الخميس في 12 اغسطس 1981 الميلادية.

وبتاريخ 11 اغسطس 1981 (11 شوال 1401) صدر عن ديوان صاحب السمو امير دولة البحرين مرسوم بقانون رقم (18) لسنة 1981 يقضى بانشاء شركة البحرين السلكية واللاسلكية.. وهو يتضمن عقد التأسيس والنظام الاساسي للشركة.

وقد تضمن عقد التأسيس اسماء الذين قاموا بتوثيقه لدى الكاتب العدل بدولة البحرين.. وهو عبدالعزيز يوسف المحميد بمبنى وزارة العدل والشئون الاسلامية.. المنطقة الدبلوماسية وهما:

1ـ حسن علي المدني.. طرف اول وحضر معه بصفة شاهد السيد عبدالله محمد فولاد.. سكرتير مكتب وزير المواصلات.

2ـ جون دودلي ماندى.. طرف ثان.. وهو بريطاني الجنسية.. بصفته الرئيس التنفيذى لشركة البرق واللاسلكي المحدودة. وذلك بموجب التفويض الصادر من لندن والمصادق عليه من قبل جميع الجهات المختصة. وحضر معه بصفة شاهد.. السيد عبدالحسين علي مدن الموظف بالشركة المذكورة.

وقد جاء فى النظام الاساسي ان المؤسسين لشركة البحرين السلكية واللاسلكية الذين اكتتبوا في رأس المال الصادر باسهم.. والبالغ عددها 54 مليون سهم.. قيمتها الاسمية 54 مليون دينار موزعة كما يلي:

1ـ حكومة دولة البحرين	10,000,000
2ـ شركة البرق واللاسلكي المحدودة	24,000,000
3ـ الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية	6,000,000
4ـ صندوق التقاعد المدنى	4,000,000
5ـ بنك البحرين الوطني	2,500,000
6ـ بنك البحرين والكويت	2,000,000
7ـ صندوق التقاعد العسكري	2,000,000
8ـ شركة الاستيراد والتصدير	1,600,000
9ـ شركة مشاريع الخليج	300,000
10ـ البنك الاهلي التجاري	250,000
11ـ شركة السينما وتوزيع الافلام	250,000
12ـ شركة البحرين للاستثمار	200,000
13ـ شركة الصناعات الخفيفة	200,000
14ـ شركة التأمين الاهلية	100,000
15ـ بنك البحرين الاسلامي	100,000
16ـ شركة دلمون للدواجن	100,000
17ـ شركة البحرين للتأمين	100,000
18ـ شركة مطاحن الدقيق	100,000
19ـ شركة البحرين لتصليح السفن	100,000
20ـ الشركة البحرينية الكويتية للتامين	50,000
21ـ الشركة العامة للتجارة والصناعة	50,000

وطرحت باقي الأسم من رأس المال الصادر وعددها ٦ ملايين للاكتتاب العام. وقد تولت غرفة تجارة وصناعة البحرين الاشراف عليها.

ويجدر بالذكر انه فى يوم التوقيع على الاتفاق بين الحكومة والشركة السابقة حضر الى ديوان وزارة المواصلات بعض المدعوين.. حيث قام السيد ابراهيم محمد حسن حميدان.. وزير المواصلات.. ومندوب شركة البرق واللاسلكي، بالتوقيع. وكان من بين من حضر. السيد عيسى عبدالله بورشيد وكيل وزارة المالية والاقتصاد الوطني.. والسيد صلاح علي المدني وكيل (مدير عام) وزارة الدولة للشئون القانونية.. والسيد حسن علي النصف وكيل وزارة التجارة والزراعة.. والسيد احمد جاسم حبيل الوكيل المساعد لشئون الشركات بوزارة التجارة والزراعة.

ان الافكار والخواطر تزدحم فى رأسي وأنا استعرض مسيرة العمل والاحداث التى شهدتها فى وزارة المواصلات طيلة الاربعين سنة او يزيد.. ولكنى لا بأس ان اذكر بعض هذه الخواطر والذكريات للحقيقة ليس الا.. وقبل ان يطمسها النسيان.

انني ارى ان تأسيس شركة البحرين للاتصالات السلكية واللاسلكية.. التى بدأت تعرف باسم شركة (بتلكو/ Batelco) قد حقق ما يلي:

1- كسر الاحتكار الذى كانت تمارسه شركة البرق واللاسلكي السابقة منذ تأسيسها في عهد المغفور له الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين.. قبل اكثر من مائة سنة.

2- فتح المجال امام المواطنين للانخراط في اعمال الشركة ومهامها المتعددة مما اوصل بعضهم الى شغل المناصب القيادية فيها.. وباعداد كبيرة.

3- امكانية كسب ارباح مجزية من قبل المساهمين في رأس مال الشركة. وهى الارباح التى توزعها الشركة.. كما نشاهد فى السنوات الاخيرة. مما جعل شركة بتلكو على رأس الشركات المربحة فى البحرين.

4ـ وضع البحرين كبلد متقدم وفي طليعة البلدان التى تتمتع بافضل وسائل التقنية الحديثة فى مجال الاتصالات، والاقمار الصناعية. واصبحت خدمات الاتصال الدولي المباشر تمتد الى ما يقرب من 200 بلد.. او دولة فى جميع دول وقارات العالم.

وعلى صعيد آخر.. فى الوزارة وفى خلال العقدين الاخيرين.. امكن انجاز ما يلي:

1ـ تأسيس ادارة النقل العـام. . وقد كـان لذلك تـأثيره الكبير على تطويـر الخدمات التى تقـدمهـا الـوزارة. . لقـد كـان من جـراء تـأسيس هـذا الجهـاز انتقـال الأعمال من المنامة. . الى المحرق. . حيث وفقت للحصول على مكـان مناسب في الورش التى كانت تابعة لسلاح الطيران البريطاني (R. A. F) القريب من مطار البحرين الدولي. .

وقد عمل في الجهـاز الجديد عدد مـن الخبراء الامريكيين لفترة من الوقـت. . انتدبتهم الدولـة من شركة TWA للطيران الامريكيـة. كان على رأسهـم السيد «بـارتوسكـا» الذى عمل بكل جد ومثابرة حتى وفاته في شهر ديسمبر من عام 1972.

لقد توسعت شئـون النقل العام حتى بات من الضروري نقلها الى محل جـديد. فوقع الاختيار على مـوقع مناسب في مدينة عيسى. الا انه مما يحد من نشاط الادارة وفـاعليتها العدد المحـدود من الحافلات التى تسيرهـا الادارة على خطوطها العـامة خدمـة للمواطنين فى طـول البلاد وعـرضهـا. . وذلك بسبب قيـود الميزانيـة العـامة التى يـرجـو الجميع ان تتحسن في مستقبل قريب.

2- تعريب الاعمال فى ادارة الشئون المالية والاداريـة بالوزارة بعد مجهـودات مضنية. ولعدة سنـوات كانت جميع الاعمال فى ادارة الوزارة تجرى بـاللغة الأنجليزيـة. . حتى تلك الـرسـائل التـى يتبـادلها الموظفـون فيها بينهم. وكـذلـك المراسـلات الجاريـة بين الـوزارة والوزارات الاخرى. . والشركات وغيرها. وقد

لا تكون عمليـة التعريب ـــ فى حد ذاتها ـــ بالشىء الملموس مـن قبل الكثيرين ممن كـانـوا يتعـاملـون مع الـــوزارة او بعض اداراتها. . ولكن ـــ كما نـرى ـــ حلـت كثيرا من الاشكالات والعقبات التى كنا نلاقيها في اعمالنا اليومية.

3ـ لسنوات طويلة. . ومنـذ انشاء الادارة قبل ما يقرب من خمسـة عقود لم يكن لها مكاتب قائمة بذاتها. وكان الموظفـون يشكون من هذا الوضع مر الشكوى. الى ان قيض الله ان تنتقل الوزارة الى مبنـى مستقبل خاص بها يقع في المنطقـة الدبلومـاسية بالمنـامة. . وبقيت بعض الادارات مـوزعـة بين المنامـة. . والمحـرق. . ومدينـة عيسى بسبب طبيعـة العمل فى هذه الادارات.

وبانتقـال الوزارة الى هـذا المبنى الجديد. . تمكن الموظفـون بعد طول انتظـار من اداء اعمالهم يغمـرهـم شعـور بـالـراحـة والاطمئنـــان. . وأسـوة ببقيـة زمـلائهـم في الـوزارات والمؤسسات الحكومية. . الاخرى.

طريق البحر.. عودة:

بعد بضعة شهور من التحاقي بـالعمل فى المواصلات وصلتني. . وبقية طلاب البعثة من الزملاء رسالـة من دائرة المعارف مؤرخة في 30 رجب 1366 هجرية الموافق 19 يونية 1947 ميلاديـة موقعة من الاستاذ احمد العمـران الذى لازال يشغل منصب نائب مـدير المعـارف. . وذلك بشأن موضـوع حقائب الملابـس والحاجات الخاصـة التى خلفناهـا في القاهرة قبل سفرنا منها. كانت رسالة قصيرة جدا وجاء فيها ما يلي:

لقـد وصلني مـن مصر نبأ التمكـن من ارسـال مـا تبقـى من حاجيـاتكم وذلك لان الشنط مقفلة.. فهل تودون فتحهـا وارسال الجميع عن طريق البحر. أرجو الافادة حالا.

ودمتم محروسين.

وبعد التشـاور بيننا قمنـا بالـرد على الرسالـة المذكورة بـالموافقة على ارسـال الاغراض بطـريق البحر اذا كـان ذلك هـو السبيل الوحيـد لوصـولها سالمة اليـنا. . والحمد لله اننـا تسلمنا الشنط سليمة بعد مدة من وصـولها. . ولم نلاحظ نقص فى حاجاتها. ولكن هذا الترتيب ذكـرنا بـاصرار رجـال المعهد البريطـاني الثقـافي بالقـاهـرة. . على التعامل دومـا بطريق البحر. . وهذا ما حدث فى سفرنا. . في الذهاب والاياب.

رابطة خريجي المعارف الثقافية:

لا يكتمل الحديث عن بعثـة طلاب القـاهرة 1946 وعودة افرادهـا الى البحر. . الا بذكر شيء حول ما جرى من نشـاطات واتصالات سواء على المستوى الشخصي او العام لتشكيل رابطـة او جمعيـة تجمع طلاب البعثـات الـدراسية الـذين بـدأ بعضهم يعـود من

دراسته من الخارج. . والحاجة التى تدفعهم الى التجمع في تنظيم جديد يؤطر نشاطاتهم وآمالهم.

وبعد اقل من سنة من عودة طلاب القاهرة الى البحرين. . وكذلك بعض الطلاب من بيروت. . كنا نلتقى احيانا فى السوق. . او بعض الأندية او في المحلات الخاصة نستعرض فى هذه اللقاءات ما يخصنا من امور وما نتطلع اليه من آمال. . ونتذكر تلك المرابع الجميلة التى شهدناها فى كل من القاهرة. . وجبال لبنان. . ودمشق وغيرها من البلاد العربية التى اسعد الحظ بعضنا بزيارتها. وقد طرح بعض الزملاء فكرة انتشرت بين الزملاء قبل مدة. . تدعو الى انشاء جمعية. . او رابطة. . تجمع شمل الشباب العائدين. . او الشباب الذين يرغبون ان ينضموا اليهم. . او ممن سبق لهم التخرج من جامعات او معاهد عالية في الخارج.

وكان الطلاب وزملاؤهم يجتمعون فيما بينهم كلما تسنى لهم ذلك وتطورت الفكرة من رابطة الى تأسيس ناد. . يضم اكبر عدد من الأعضاء. . ووضع نظام له يتفق عليه الجميع. وقد عقدت لهذا الغرض جلسة خاصة فى مبنى القسم الداخلي حضرها بعض الزملاء من طلاب البعثة. . وبعض الطلبة من جامعة بيروت وعدد من المدرسين فى المدرسة الثانوية. . وغيرهم. وتم الاجتماع عصر يوم الجمعة 26 يناير 1949 حيث ترأس الجلسة الاستاذ عبدالوهاب عسل. . مدير المدرسة الثانوية.

طرحت في الاجتماع عدة اقتراحات. . وكانت وجهات النظر بين الحاضرين متضاربة جدا. . الى درجة تعذر فيها تقريب مسائل الاختلاف بينهم. وكان بعض الحاضرين قد تقدم بمشروع النظام الداخلي. . وشرح بعض القضايا الاساسية والقانونية. ولكن بعد المناقشة المستفيضة فى الموضوع. . اتفق على رفع الجلسة وعقد جلسة ثانية لاستكمال مسائل المقترحات. وقد استغرق هذا الاجتماع اكثر من خمس ساعات.

بعد ايام بدا ان فكرة النادي. . او الرابطة تلقى الموافقة من قبل جميع من التقينا بهم من الطلاب. وكذلك أخذ بعض الاخوان يعمل لتحقيق الفكرة بكل جد.

وفي 16 مارس دعي لعقد اجتماع ثان في القسم الداخلي حضره عدد اكبر من المدرسين من مختلف المدارس الحكومية وبعض زملاء المدرسة القدامى. وطرحت مسودة النظام الذى اعدته لجنة تحضيرية اشرف عليها الاستاذ عبدالوهاب بنفسه. وكانت

الفكرة قد تبلورت فى اذهان الكثيرين . . ولكنها اخذت تميل الى ان تكون المؤسسة . . نادياً للخريجين . . والمعلمين . لكن هذه الفكرة لم تلق إقبالاً من الجميع . . وانقسموا بين مؤيد ومعترض . واخيرا لاقت فكرة ان يكون النادي للمعلمين ويجوز ان يلتحق كل راغب من الخريجين . . موافقة جميع الحاضرين . وقد طلب المجتمعون من الاستاذ عبدالوهاب ان يعرض هذه النتائج التى توصل اليها المجتمعون على الحكومة لنيل موافقتها . واقترح بعض الحاضرين ان يكون النادي . . خاضعا فى دورته الاولى لاشراف دائرة المعارف تتولى الصرف عليه حتى تتحدد مكانته المالية .

كان المؤمل ان تتواصل خطوات تأسيس هذا النادي . . الا انه بدا ان المسئولين عن ذلك بدأ ينتابهم الملل . . او انهم لم يجدوا التشجيع والدعم المطلوبين من قبل جهات كثيرة اتصلوا بها . ولذلك فان فكرة تأسيس ناد للخريجين . . او ناد للمعلمين . . ماتت . . واندثرت .

لكن بعض الطلاب العائدين من بيروت خلال الاجازة الصيفية قد عملوا ما في وسعهم . . على الخدمة الاجتماعية . . التى تمثلت في فتح فصول لمحو الأمية . . استمرت لبضعة اسابيع في قاعات مدرسة عائشة ام المؤمنين للبنات . واشترك فيها عدد من المتطوعين كنت من بينهم . . مع مجموعة من اعضاء رابطة طلاب بيروت . كما كانت هذه الانشطة المحدودة . . فاتحة لتأسيس نادي «الشباب الوطني» الذى استمر في المنامة لبضع سنوات قبل ان يغلق أبوابه .

ـــــــ مع الأندية.. والجمعيات:

على اثر فشل تأسيس نادي الخريجين . . وبدء تأسيس «نادي الشباب الوطني» بقيت مع بعض الزملاء فترة طويلة نشعر بالملل والضيق . . وكيفية قضاء اوقات الفراغ . . كان الواحد منا يشعر بالحاجة الملحة لمكان ما يقضى فيه بعض وقته . . بعد انتهاء العمل . . او في بعض الليالي والامسيات . كانت الاندية الوطنية موجودة في المنامة . . وكنا نعرف طريقنا اليها . . ولكن لم نجد في انفسنا اي دافع يدفعنا للاشتراك في عضويتها . وقد سبق لي ان ذهبت مرات كثيرة الى نادي العروبة الذى يقع في الطريق الى مدرستنا . وحتى قبل ان نسافر الى القاهرة للدراسة . كما ذهبت مرتين او ثلاثا الى النادي

الأهلي. . الذى يقع في وسط حي من احياء مدينة المنـامة آنذاك. . ولكن هذه الزيارات الى كل من نادي العـروبة. . والاهلي. . لم تكن لتروي ظمأنا للتواجد فى مكـان ترتاح فيه نفوسنا اكثر.

لذلك كان «نـادي الشباب الوطني» الذى انشىء حديثا. . قـريبا من «بيت فاروق» المعروف بمنطقة رأس الرمان. . هو الملاذ الوحيد الذى يمكن ان نلجأ اليه. وقد كان.

كـان هذا النـادي الـوليد يضـم عددا من طـلاب بعثـة القاهـرة. . وبعض طـلاب بيروت. . الى جانب عدد مـن الشباب والفتيان من سكان المنطقة المجـاورة وهو يقع فى مقر متـواضع. . وكـان هذا النـادي في اول تأسيسه نشطـا في تقديم بعـض المسرحيات القصيرة ويقـوم ببعض الحفـلات والـرحـلات التى تستقطب اهتمامـات الشبـاب. . كما كانت قاعته تـزخر بالعديد من الصحف والمجلات المصرية. . والعربيـة الاخرى وهو ما لا يتوفـر في اي مكان آخـر. . وكنت كغيري من الشبـاب اعضاء النـادي نحرص على الحضور كل ليلة. . ونشارك في بعض النشاطات.

وفي اول انتخـابات سنـوية عـامـة يجريها النادي لانتخـاب مجلس ادارة جـديد بعـد تأسيسه. . انتخبت عضوا اداريـا. . وكان ذلك بداية سلسلة من النشـاطات الاجتماعية والثقافية. ومن بينهـا الاسهام في دروس محو الامية التى بدأهـا جماعة مدارس بيروت. . وكـــان من بينهـم. . المرحـوم جيمـس «حمد» بلجـريـف. . نجل مستشـــار حكـومـــة البحرين. . والذى كان عضوا فعالا في المجموعة.

لم تكد سنـة واحدة تمر على تأسيس هـذا النادي حتى بـدأت عوامل الوهـن والعجز تعتريـه. . وذلـك بسبب تخلف العـديــد من اعضـائه. . والمنتسبين اليـه مـن تسـديـد اشتراكـاتهم فى النـادي. . الامـر الـذى استـوجب ان يقـوم مجلـس الادارة بتنظيم حملـة للتبرعات. . ولكـن هذه المبادرات لم تغير مـن واقع الأمر شيئـا. . وبدأ النـادي يتحول تـدريجيا الى مكـان اشبه مـا يكـون بالمقهى لا يـرتـاده الا عدد محدود من الاعضـاء. . وانصرف عنـه الجميع. وبذلـك فان مجلس الادارة اضطـر الى اتبـاع اسلوب آخـر يحفظ للنادي مكانته ومركزه.

بدأت الاتصـالات مع الأنديـة الكبرى الموجودة آنذاك وكـان الغرض اول الامـر هو اطلاع هذه الانـدية على الحالة التى وصل اليها نادي الشباب. . ومحاولـة ايجاد وسيلة ما لانتشـاله من الهوة التى يتردى فيهـا. واستمرت مثـل هذه الاتصـالات ردحا من الـزمن

دون ان تسفر عن نتائج مضمونة.

وتطورت هذه الاتصالات الى نوع من المفاوضات التى ترمى الى دمج النادي فى احد تلك الاندية وفق اشتراطات يقبل بها الطرفان. وبات الجميع مقتنعا ان فكرة الدمج هى أفضل الحلول المطروحة.

كان اول اتصال جرى في هذا الشأن مع اعضاء «نادي الثقافة المختلط» وهو ناد قديم في المنامة يقع مبناه في مقر قديم على شارع الحكومة البحرى بالمنامة كان رئيس النادي فى ذلك الوقت هو السيد ابراهيم قمبر (من كبار موظفى بلدية المنامة) واستمرت الاتصالات مع ادارة هذا النادي.. لكنها لم تسفر عن نتيجة مرضية، وذلك لاصرار مجلس ادارة نادي الثقافة على شروط والتزامات رأى مجلس ادارة نادينا انها مجحفة بحقوقه فرفضوها وانقطعت الاتصالات بين الطرفين.

ثم بدأ اتصالات جديدة مع «النادي الأهلي» وكان هذا النادي يختلف فى كثير من شئونه عن نادي الثقافة. فقد كان بعض اعضاء نادي الشباب.. أو اخوانهم واصدقاؤهم اعضاء في النادي الأهلي.. وكانت العلاقات وثيقة بين هؤلاء الاعضاء في كلا الناديين ولذلك لم يكن من الصعوبة ان يدخل مجلس الادارة في مفاوضات مع النادي الكبير. ويحقق بعد بضع جلسات مع اعضاء مجلس ادارته موضوع دمج الناديين.. دون ان يتقدم النادي الاهلي بأية شروط.

وفي غضون أيام قليلة تم دمج الناديين وانتقلت ممتلكات «الشباب» الى «الاهلي» دون عناء او تعب. واصبحت العضوية واحدة تلقائيا في النادي الاهلي.. دون مطالبة بتسديد الاشتراكات المتخلفة على اعضاء نادي الشباب.

في نفس الفترة تقريبا. كنت من جانبي اتردد كثيرا على «نادي العروبة» الذى كان مقره بشارع الشيخ عبدالله قريبا من منطقتنا.. لوجود العديد ممن نعرفهم من المعارف.. والاصدقاء كأعضاء فيه.

كنت ارقب النشاط الدائر في كل من «العروبة والاهلي» من حفلات وندوات ادبية وثقافية واجتماعية.. وكنت ارى سيل الزائرين الذين يتوافدون على «العروبة» من مختلف اقطار الوطن العربي بصورة ترجح على ما هو موجود في «الاهلي» وهذا ما دفعني الى التوجه اكثر واكثر صوب «العروبة» والالتصاق به الى ابعد حد. وابتعدت شيئا فشيئا عن «الاهلي».

وفي رحاب «نـادي العروبـة» بدأت فصول جـديدة كتبت عنهـا شيئا على غـرار هذه السطور. . ولعلها ترى النور. . يوما ما. . والله الموفق.

عود على بدء:

بقيت هذه الاوراق مـركونة فى احد اركان غـرفة المكتبة فى بيتنا سنين طـويلة. . حتى عـلاهـا الغبار ونسيتهـا. وكـان الفصل الأخير فيهـا ــ كما يلاحـظ ـ هـو مـا كتبتـه عن الأندية. . وشئونها. وكان المظنون ان ذلك الفصل هو الفصل الاخير.

ولكن شـاء الله ان اعود اليهـا من جـديد واضيف عليهـا فصـلا جديـدا. . هو هـذا الفصل. . وهـو ليس مـن عندى. . ولكـن رأيت انـه يكمل حـديث هـذه الذكـريـات والخواطر. . القـديمة المتجـددة. وشاءت الظـروف ان يقوم الاخ الكـريم السيـد عبدالله جاسـم الشكر. . احد الـزملاء في بعثـة طلاب القاهـرة بدعـوتنا لحضور امسيـة نجتمع فيها. . تحقيقا لحلم قديم استبد.

وشاءت الظـروف ان يكتب الاخ الكريم السيد علي عبـدالله سيار. . احد الـزملاء فى بعثة الطـلاب الى القاهرة. . ايضـا. . ورئيس تحرير المجلـة الاسبوعية (صـدى الاسبوع) مقالا صغيرا عن ذلك الاجتماع: فقد جاء في العدد 800 الصادر يوم الثلاثاء الموافق 14 من ابريل 1987 ما يلي:

اما في القاهرة أو في الجنة

1945... 1946

عـامان في تـاريخ المسيرة التعليميـة في البحريـن لن يتعرضـا للنسيـان. ففى 1945 خرجت من البحريـن اول مجموعة من الطلاب فى بعثة دراسيـة الى القاهرة ضمت 3 من المعلمين. . هم حسن جـواد الجشي. . وعيسى حمد المحميـد. . ومطر علي مطـر وثلاثـة من المدرسة الثـانوية ضمت الشيخ خـالد بن محمد بـن عبدالله آل خليفة ـ وزيـر العدل السابق ــ وعلى بن الشيخ. . وفهد الظاعن . . وثـلاثة من مدرسة الصنـاعة ضمت احمد

علي الشوملي وعبدالرحمن علي الجودر. . وعلي عبدالله سيار.

وفي العام الذى تلاه ابتعثت حكومة البحرين عددا آخر من طلاب الثانوية هم:

ابراهيم يعقوب (وكيل وزارة الصحة للشئون الفنية) وعبدالرحمن جاسم كانو. . وعبدالرحمن قاسم الشيراوي. . وعبدالله جاسم الشكر. . وحسين جعفر منديل. . وحسن المدني. . وخليل ابراهيم المطوع (مدير الجمارك) وسلمان خليل كانو. . وعلي راشد المسقطي (احد كبار موظفي الهجرة والجوازات) وحسن عبدالله المنصوري وعبدالرحيم علي. . ومحمد يوسف المحمود. . وخليفة احمد المقرن. . وعبدالحميد محمد صالح الشتر. . وابراهيم محمد بوحجي. .

كل هؤلاء فيما عدا الاربعة الأخيرين الذين انتقلوا الى رحمة الله الشيخ خالد بن محمد آل خليفة الذى كان مسافرا. . وحسن الجشي (لطارىء صحي) تعرضت له احدى قريباته. . وعيسى المحميد الذى اعتذر. . ومطر علي مطر الذى هاجر الى الكويت قبل اكثر من ثلاثين سنة. التقوا في الاسبوع الماضي عند عبدالله الشكر (قنصل البحرين العام في نيويورك) الذى كان يطمح منذ زمن بعيد لتجمع زملاء المدرسة.

وقد تحقق حلمه. . والتأم الشمل للجميع وتبادلوا الكثير من ذكريات الدراسة. . واستعادوا شبابهم لساعات كانت - كما قال احدهم - من احلى ساعات العمر.

عبدالله الشكر قال فى كلمة قصيرة ألقاها بالمناسبة بانه يأمل ان يجتمع شمل الجميع بعد اربعين سنة اخرى مرة ثانية. . اما في القاهرة. . او في الجنة.

وفي نفس العدد من المجلة. . كتب علي سيار مقالا مطولا على الصفحة الاخيرة بعنوان «والعجلة تدور» جاء فيه مايلي:

ترى كيف يمكن ان يكون شعورك وانت تتأهب لتلتقي بزملاء الدراسة بعد اربعين عاما. . باعدت فيها بينهم الحياة واخذت كل واحد منهم في طريق. . بل ربما بعد ان تكاثر صدأ الايام على الذاكرة فغابت صورة بعضهم او لم تعد الذاكرة تعي من صورهم الا ملامح ضبابية لا تعني شيئا ولا تدل على شيء.

انها تجربة مثيرة بلا شك. . وربما قليلون هم الذين مروا بها. . ذلك انه ليس من الامور العادية ان يضيع منك صديق - او تضيع منه — طوال هذه المدة. . ثم تجد نفسك امامه بلحمه وصوته وصورته.

في الاسبوع الماضي مـررت بهذه التجربة كما مر بها الـزملاء انفسهم الذيـن تفرقت بهم السبل وباعدت بينهم دروب الحياة. . ثم اذا بواحد منهم ـ هو الصديق وزميل الدراسة ـ عبدالله الشكر ـ الـذى يقضى هذه الايام اجازته السنويـة كقنصل عام في نيويورك. . اذا بـه تستهويـه فكرة تجمـع ـ او تجميع ـ كل اولئـك الذين زاملهـم في القاهـرة في اواسط الاربعينـات مـن افـراد البعثتين الـذين ابتعثتهما الحكـومـة في عــامي 1944 و 1945 ليستعيدوا ـ على حد قوله ـ بعض ذكرياتهم القديمة فى محاولة لتنشيط ذاكرتهم.

في الطـريق الى مكان الحفل ـ او التجمع ـ تحركت الذكـريات الهاجعـة في رأسي. . وبـدأت الآلات التى توقفت عـن الدوران منـذ اربعين عامـا تدور ببطء فى محاولـة لمسح الغبار عـن العدسة الـواقعة في جـزء معتم من الذاكـرة و. . و. . و. . اكتوبر مـن العام 1944 والحرب العالمية الثانية توشك ان تضع اوزارها.

تسعه من مختلف مدارس البحرين. . ثلاثة مدرسين وثـلاثة من الثانوية. . وثلاثة من مدرسـة الصناعة وجـدوا انفسهم يلتقون على احد ارصفـة قاعدة «الجفير» البحـرية. . ثم اذا بهم ينقلـون في قـارب صغير الى طائرة بحـريـة كـانت تجثم في القـاعـدة لتنقلهم الى القـاهـرة ليستكملـوا تعليمهم. . هـواجس السفـر بـالطـائرة تملـؤ الـوجـدان بمشـاعـر متناقضـة. . فراق الأهل. . والوطـن. . ركوب الطائرة لأول مـرة. . الخوف من حوادث الطائرات التى كنا نسمع عنها وهى تتساقط فى الحرب. . القـاهرة (أم الدنيا) وما يمكن ان تثيره من مشاعر واحاسيس. . قاهـرة زكى مبارك وطه حسين. . وعباس محمود العقاد واحمد حسن الـزيـات. . قـاهـرة كـل هـؤلاء الـذيـن كنـا نقـرأ لهم ونستمتـع بعصـارة افكارهـم. . قاهرة أم كلثـوم. . وعبدالـوهاب وافلام الـوردة البيضاء ووداد ورصـاصة فى القلب.

فى هذا الجو المشحون بالاحاسيس والعـواطف الجياشة اسلمت نفسي شأنى شأن بقية زمـلائي لقائد الطـائرة ـ لم يكن بـالطائرة مضيفـون او مساعـدون فقـد كانت من طـراز (السنـدرلانـد) التى تستخـدم فى الاغراض العسكـريـة ـ ليربطني على المقعـد المستطيل المواجه للمقعد الآخر والذى كان يصطف عليه باقى افراد البعثة.

بعد برهـة دارت مراوح الطائرة لتزحف على الماء كعملاق بحـري. . ثم اذا بها ترتفع فى السماء وهى تهتـز كقـارب صغير وسط بحـر هـائج. . فيما الشعـور بـالخوف والقلق والطائرة تـدخل فى الغيـوم وانت على علو شـاهق وسط قفص حـديدي لا تـدري كيف

يسير ولا تعرف سر الاجهـزة التى تتحكم فيه والاهتـزازات العنيفة التى يحدثهـا اصطدام الطائرة بكتل الغيوم ثم عبورها المطبات الهوائية ـ التى لم نكـن قد عرفناها بعد ـ وما كان يخيل الينـا معه انها على وشك السقـوط ونحن نشعـر بها وهى تهوي بدرجـة حادة تكـاد تقفز معها قلوبنـا من اماكنها وما يحدثه ذلك من رعب حقيقي لنا لـدرجة اننا كنا نصرخ خـوفـا وهلعـا في كل مـرة يعترضنـا فيها مطـب هـوائي. . وما اكثـر المطبـات الهوائيـة. فطائرات ذلك الوقت لم تكن قد وصلت فى تقنيتها الى الطيران فوق مستوى الغيوم بعد.

بعد ثـلاث او اربع ساعات من الطيران حطت بنـا (السندرلاند) في المياه القـريبة من فندق شط العرب بالبصرة بعد رحلة اشبه ما تكـون بالرحلات البحرية في جو عاصف. ومن هناك نقلنـا بقارب صغير الى الفندق. فندق شـط العرب بالذات الـذى كان يعتبر من اكبر واضخم الفنادق في الـوطن العربي آنذاك. وفي هـذا الفندق الذى اخذنـا بجماله وروعـة ابهائه الفسيحة واثـاثه الفـاخر. وبعـد ليلة مثيرة وغـريبة تقلبنـا فيها على وسـائد وارائك لم نتعودها في حياتنا البسيطة والمتواضعـة ثم نقلنا الى الطائرة من جديد لتبدأ رحلة طيران اخرى مفـزعة ومخيفة عبرنا فيهـا الاجواء من البصرة الى الحبانية ببغـداد. . ثم بعد ساعـات من الرحلة والتـزود بالوقـود ـ على ما أظن ـــ دارت محركات الطائرة من جـديد لتعبر بنا هـذه المرة الاجواء العربية الممتـدة من بغداد الى بحيرة «طبرية» حيث بتنـا ليلتنا بمدينة (اللـد) هناك. وفى هذه المحطة رأينـا اعدادا من النساء اليهوديـات وهن بملابس البحر. . بعضهن كان وسط البحر. . والاخريات على الشاطىء.

منظر لم تألفـه عيوننا قط. بعد ليلـة قلقة دارت عجلات السندرلانـد لتنقلنا هذه المرة الى القاهرة حيث حطت بمطار «امبابة» النيلي. ومنهـا بدأنا رحلة استكشاف المجهول فى القاهرة. و. . . و. . . و. . .

وتوقفت آلة الذكـريات وانا اصل الى مكان التجمع. . بيت كانـو للضيافة. . وما ان دخلت حتى اصطدمت عيني اول مـا اصطدمت بعبد الرحيم الـذى لم اره منذ اكثر من اربعين سنة. انه لم يتغير كثيرا فيما عدا مجموعة كيلوات من اللحم اضافها الى جسمه.

«انا أعمل مدرسا باحدى مدارس الحد منذ ان عدت الى البحرين».

يـا الله. . اربعين سنة تـدريس. . لـو كنت ان اصنع شيئـا فى وزارة التربيـة والتعليم لصنعت تمثـالا لهذا الـرجل الـذى استطاع ان يعيـش اربعين سنة مـع اجراس المدرسـة وشقاوة الطلاب واكداس الدفاتر. . و. . و. . و. .

وهذا هـو عبدالرحمن الجودر. . زميـل آخر من زملاء الـدراسة. . كنت اسمع بـه منذ عـدنا معـا من القـاهرة ولا اراه. . ولكنـه ها هـو ذا الآن يقف منتصبـا بلحيته البيضـاء وصوتـه الهادىء. لقد اخذه الدين عنـا بعد ان تحول عن المطارق وبرادة الحديـد الى امام وخطيب في احد مساجد المحرق.

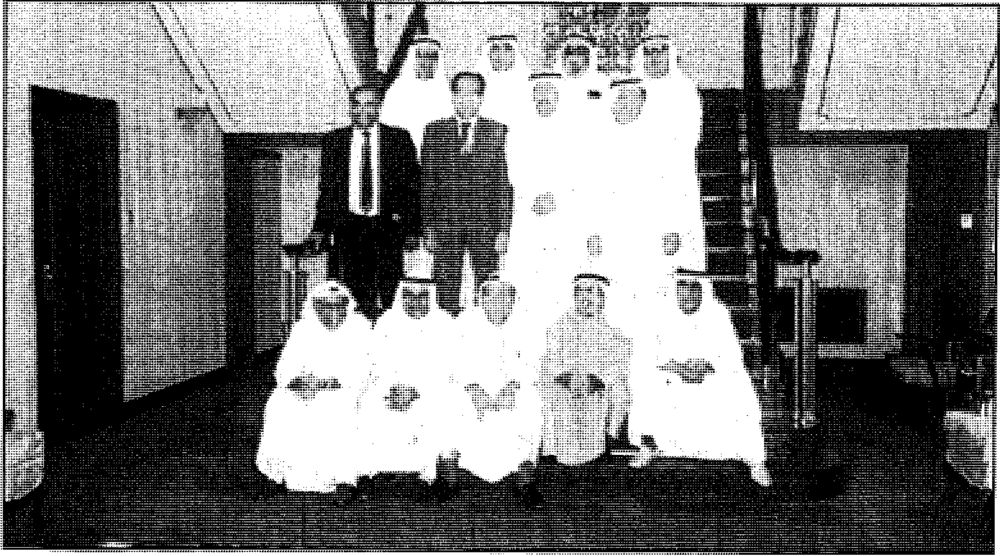
وحسين منديـل واحد من الذيـن كنت اتشوق لرؤيتهـم. . علامات الـزمن لم تستطع ان تخط الكثير على وجهه.

و. . . على المسقطـي. . وحسن المدني. . . وعلي بـن الشيـخ. . وخليـل المطــوع. . وابـراهيم يعقوب وعبـدالرحمن كـانـو. . . و. . . و. . . و. . ولم يحضر بعض الزمـلاء ربما لانهم رأوا فى الحضـور مضيعة لـوقتهم. بيد أننـى افتقدت زميـلا عزيـزا تعرضت احـدى قريباتها لطارىء صحى فى ذات اللحظة التى كان يهيىء نفسه فيها للمجيء. انه الاستاذ حسن الجشى الـذى عرفتـه البحـرين واحدا من فـرسـان الكلمة ومن ابـرز كتاب مجلـة «صوت البحـرين» التى كـانت تصدر فى الخمسينـات كما عرفتـه رئيسا مقتـدرا للمجلس الوطني فى اوائل السبعينات.

و. . . و. . . و. . ولكن كان هناك من تغيب عن الحضـور لا لانهم مشغولون بشىء آخر. . ولكن لانهم رحلـوا عن عالمنـا. كانوا اربعـة. . محمد يوسف المحمـود. . وخليفة المقرن. . وابراهيم بوحجي. . وعبدالحميد الشتر.

كان مكـانهم خاليـا. . ولكنهم رغم ذلك كـانوا معنـا. . فقد كانـوا جزءا مـن ماض جميل. . بيننـا وبينـه اربعـون سنـة. . فليرحمهم الله. . ويـرحمنـا معهـم الله. . ومـازالت العجلة تدور.





■ بعض طلاب بعثة البحرين الى القاهرة خلال حفل اقيم في تبت كانو للضيافة بعد مرور 65 عاماً ، ويظهر في الصورة جلوســاً من اليمـين: حسن المدني ، خليل المطوع ، عبدالــرحمن الشيراوي ، علي بن الشيخ وعلي سيار. اما الــواقفون من اليمين : علي المسقطي ، احمد الشــوملي ، عبداللــه الشكر، ابــراهيم يعقــوب ، عبدالــرحمن كانــو ، عبدالــرحمن الجودر ، عبدالرحيم علي ، حسـين منديل .



■ ملتقى طلاب بعثة البحرين من اليمـين : عبدالرحمن الشيراوي ، على بن الشيـخ ، احمد الشوملي ، عبدالله الشكر ، علي سيار ، حسن المدني .

الفهــرس

الفهرس